الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
مخبر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر

أطروحة دكتوراه

مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم
الشعبة: تاريخ
التخصص: تاريخ حديث ومعاصر

العنوان: محمد بن أبي شنب الجزائري وحسن حسني عبد الوهاب التونسي ودورهما في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه (1884-1968) - دراسة تاريخية مقارنة -

إعداد الطالب: حسين الاسود
إشـراف: أ.د/ علي غنابزية

نوقشت أمام لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
لزهر بديدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسًا
علي غنابزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفًا
محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشًا
عثمان زقب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشًا
نوي بن مبروك	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور- خنشلة	مناقشًا
محمد الطيب رزوق	أستاذ محاضر- أ	المدرسة العليا للأساتذة مسعود زغار- سطيف	مناقشًا

السنة الجامعية: 1446-1447 هـ / 2024-2025 م

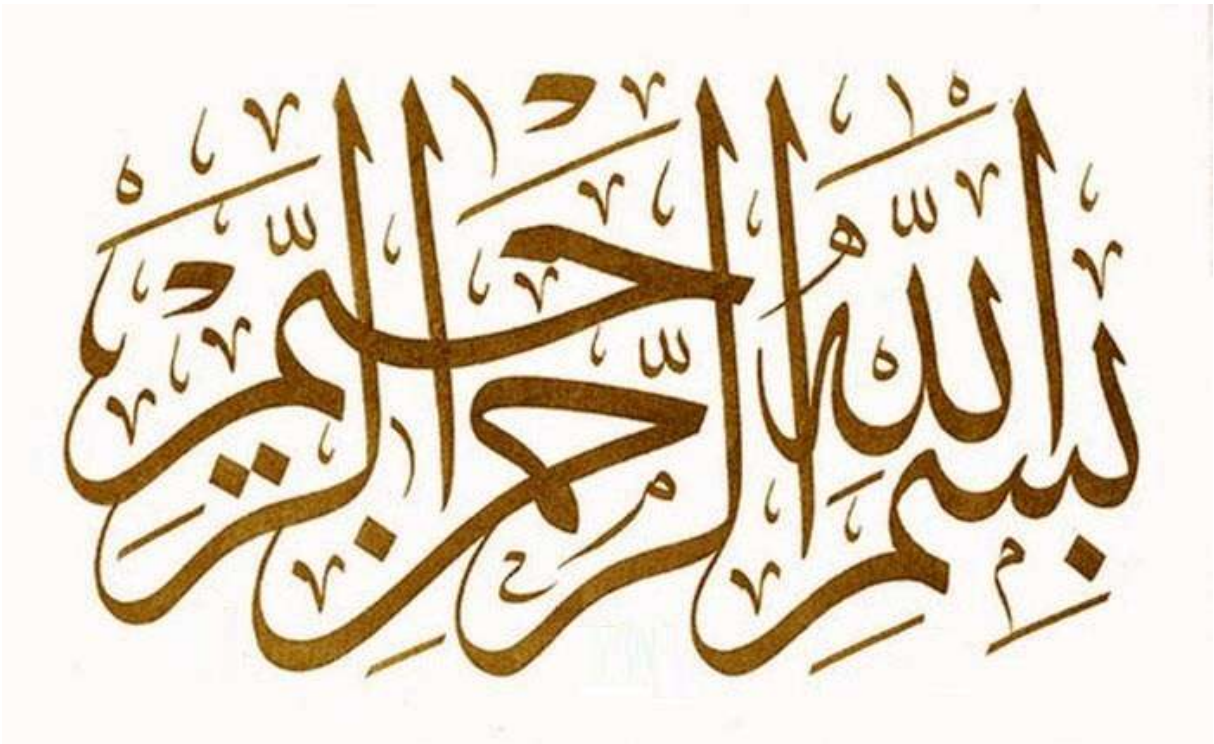
بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلـى من خلق فيّ رُوح التحدي.. والدي.

إلـى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل.. والدتي.

إلـى من غرزت في نفسـي الحب.. زوجتي.

إلـى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة.. بناتي.

إلـى أخي، وأخواتي الفضليات.

إلـى الذين رسـموا خارطة الوطن بدمائهم وتضحياتهم.. الشـهداء الأبرار

والمجاهدين الأخيار.

إلـى الذين أطلقوا شـرارة السـابع من أكتوبر.. أبطال غزة الشـجعان.

إلـى جميع الأصدقاء.

هؤلاء وأولئك أهدي هذا الانجاز العلمي.

شكــر وعرفــان

أشكر الله الكريم رب العرش العظيم الذي وفقني لإنجاز هذه الدراسة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلي وإليه مآبي إنه نعم المولى ونعم النصير، كما أصلي وأسلم وأبارك على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، وسيد المرسلين، صلى الله عليك يا علم الهدى، وعلى آلك وصحبك أجمعين.

أما وقد يسر الله عز وجل إخراج هذه الرسالة، فيسرني أن أتقدم بخالص الشكر وجزيل التقدير لكل من ساعدني على النهوض بها، لتصل إلى ما وصلت إليه وهم كثيرون.

وأما من كان الشكر أقل ما يمكن أن يقدم له فهو أستاذي الدكتور علي غنابزية، المشرف على هذا العمل، ومن قبله الدكتور عاشوري قمعون-متعه الله بالصحة والعافية- على ما قدماه لي من كرم الرعاية، وتذليل الصعوبات التي واجهتني، وقد أفدت كثيراً من توجيهاتهما وتعليماتهما، فجزاهما الله ورعاهما.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، سائلا الله أن يجزي الجميع عنيّ خير الجزاء، كما أسأله التوفيق والسداد، إنه سميع مجيب.

المقدمة

المقدمة:

1- الإطار العام للموضوع:

تُعد مسألة إحياء التراث العربي الإسلامي من أبرز القضايا الفكرية التي شغلت النخب العلمية في العالم العربي والإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، لما تمثله من صلة وثيقة بالهوية الحضارية والذاكرة الجمعية للأمة. فعندما تمرُّ المجتمعات بتحولات عميقة أو تواجه ضغوطا خارجية، يتحول التراث من كونه إرثا ثقافيا ساكنا إلى قوة فاعلة في الحفاظ على الذات، ووسيلة لإعادة بناء الوعي الجماعي ومقاومة لكل محاولات الطمس والتغريب. ومن ثمّ، غدت العودة إلى التراث عملا واعيا يهدف إلى استعادة التوازن بين الاصالة والمعاصرة، وإثبات الخصوصية الحضارية في وجه التحديات الخارجية.

في هذا الإطار، تبرز تجربتا العالمين محمد بن أبي شنب الجزائري(1869-1929) وحسن حسني عبد الوهاب التونسي(1883-1968) بوصفهما نموذجين متميزين جسّدا وعي المثقف المغاربي بدوره في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي وتوظيفه لخدمة قضايا أمته. فقد اشتغل كلاهما على تحقيق النصوص التراثية، وجمع المخطوطات، والتأريخ لأعلام الفكر الإسلامي، مستثمرين معارفهم الواسعة بالعربية واللغات الأجنبية في التعريف بالتراث العربي الإسلامي داخل الأوساط العلمية العربية والغربية على حد سواء.

وتمثل المقارنة بين تجربتهما نموذجا في التفاعل مع التراث في ظل التحدي الاستعماري؛ فبينما تجلى تحول التراث ضمن اهتمامات ابن أبي شنب إلى أداة للمقاومة الثقافية وصمود الهوية في وجه الاستعمار الاستيطاني المباشر في الجزائر، اتخذه عبد الوهاب في تونس مدخلا للتجديد الحضاري والانفتاح المنهجي في ظل نظام الحماية الفرنسية.

تكشف هذه الثنائية المقارنة عن عمق التأثير الذي مارسه السياق التاريخي والسياسي المختلف في تحديد أولويات الاهتمامات الإحيائية لدى كل منهما. وتأتي هذه الدراسة تحت عنوان: "محمد بن أبي شنب الجزائري وحسن حسني عبد الوهاب التونسي ودورهما في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه (1884-1968م) - دراسة تاريخية مقارنة-، في محاولة لإعادة قراءة تلك الاهتمامات في ضوء السياقات التاريخية والسياسية والثقافية التي احتضنتهما، وإبراز المناهج العلمية، والمنطلقات الفكرية التي وجهت جهود العالمين في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه.

2- دوافع اختيار الموضوع:

هناك جملة من الدوافع العلمية والمنهجية التي جعلتنا نختار هذا الموضوع، يمكن تلخيصها في ما يلي:

- سد الفراغ البحثي القائم في الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت جهود هذين العالمين، إذ لا تزال المقارنة بين تلك الاهتمامات نادرا رغم وحدة الهدف المتمثل في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي.

- الكشف عن الطابع المقاوم للمعرفة، وكيف يمكن للبحث الأكاديمي والتحقيق العلمي أن يتحول إلى شكل من أشكال المقاومة الثقافية في وجه الاستعمار.

– ربط الجهد الأكاديمي بالسياق الحضاري العام، من خلا إبراز تفاعل المثقف المغاربي مع بيئته التاريخية والفكرية.

– اعتماد المنهج المقارن لفهم تأثير طبيعة الاستعمار –الاستيطان في الجزائر مقابل الحماية في تونس– على صياغة الاولويات الإحيائية لدى كل من ابن أبي شنب وعبد الوهاب.

– جمع وتوثيق الإنتاج العلمي المتناثر للعالمين في المجلات والدوريات والمجامع العلمية، خدمة للباحثين ولتاريخ الثقافة العربية الإسلامية.

3– إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذه الأطروحة حول التساؤل الرئيسي التالي: كيف ساهم كل من محمد بن أبي شنب الجزائري وحسن حسني عبد الوهاب التونسي في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه؟ وما هي أوجه التشابه والاختلاف بين اهتماماتهما الإحيائية في ظل اختلاف السياقين الاستعماريين في الجزائر وتونس؟

وتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الجزئية، من أهمها: ما الظروف التاريخية التي أحاطت بجهود كل من ابن أبي شنب وعبد الوهاب في إحياء التراث؟ وما طبيعة منهجهما في التعامل مع النصوص التراثية تحقيقا ودراسة ونشرا وترجمة؟ كيف كانت علاقتهما بالمحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية العربية؟

4– منهجية البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة بالأساس على المنهجين التاريخي والمقارن، الأول لتتبع السياقات السياسية والثقافية التي نشأ فيها كل من ابن أبي شنب وعبد الوهاب، وفهم أثرهما في تكوين شخصيتهما العلمية، أما المنهج المقارن فهو أحد الأطر الهامة التي اعتمدت عليها الدراسة، فقد أتاح لنا المقارنة بين العالمين من حيث النشأة والتكوين والمنهجية والإنجاز العلمي، وكشف عن نقاط الالتقاء والافتراق بينهما. وتم تدعيم هذين المنهجين بجملة من المناهج الثانوية المتكاملة، أهمها: المنهج الوصفي والتحليلي: لتحليل إنتاجهما العلمي وصفا ومضمونا، واستخلاص أفكارهما من خلال النصوص المحققة والمؤلفات المنشورة.

5– الإطار الزماني والمكاني للبحث:

يمتد الإطار الزماني للبحث بين (1884م، و1968م)، ليرصد مرحلة بالغة الأهمية في تاريخ القطرين الشقيقين الجزائر وتونس، ففي مطلع هذه الحقبة كانت السيطرة الاستعمارية الفرنسية قد اكتملت على البلدين، مما أفرز جيلا من المثقفين وجد نفسه في مواجهة تحديات الهوية واللغة والتراث. وتختتم الدراسة بعام 1968م، الذي شهد وفاة حسن حسني عبد الوهاب، لتكون رمزا لاختتام مرحلة بارزة في مسار النخبة المغاربية التي ساهمت في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي، خلال الحقبة الاستعمارية وما بعدها. أما الإطار المكاني فيشمل الجزائر وتونس أساسا، مع امتدادات فكرية وثقافية في المشرق العربي من خلال تواصلهما مع المجامع العلمية بدمشق والقاهرة، والمراكز الاستشراقية في أوروبا.

6- خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى هيكل متسلسل ومتكامل على النحو التالي:

- **مقدمة:** وتشمل تحديد الإطار العام للبحث ودوافع اختياره، وطرح الإشكالية، وكذا المنهج المتبع، والإطار الزماني والمكاني، وأهم المصادر والمراجع، والصعوبات التي واجهت البحث.
- **فصل تمهيدي:** الجزائر وتونس في عصر محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، ويتناول الأوضاع العامة في الجزائر وتونس خلال الفترة المدروسة. مع دراسة مفهوم التراث العربي الإسلامي وأهميته.
- **الفصل الأول:** سيرة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، ويتكون من ثلاثة مباحث. الأول: نبذة عن حياة وآثار كل من العالمين. الثاني: مكانتهما العلمية عند العرب والأجانب. الثالث: موقفهما من الاستعمار الفرنسي.
- **الفصل الثاني:** جهود محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال التحقيق، ويتضمن: مفهوم التحقيق وأهميته - جهود محمد بن أبي شنب في التحقيق - جهود حسن حسني عبد الوهاب في التحقيق.
- **الفصل الثالث:** دور محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث من خلال التأليف والنشر والترجمة، ويبحث في دور العالمين في خدمة التراث عبر التأليف والنشر بالعربية، والترجمة والتأليف بالفرنسية، بما يعكس التفاعل الثقافي بين الذات والآخر.
- **الفصل الرابع:** دور محمد ابن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال المحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية، ويتضمن دراسة إسهاماتهما في المؤتمرات الاستشراقية والبعثات العلمية والمجامع اللغوية العربية، وأثر ذلك في خدمة التراث العربي الإسلامي.
- **خاتمة:** تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأبرز أوجه التشابه والاختلاف بين العالمين، مع توصيات.

7- الدراسات السابقة:

تنوعت الكتابات التي تناولت جهود كل من محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في خدمة التراث العربي الإسلامي، غير أنها ظلت في معظمها دراسات متفرقة يغلب عليها الطابع الوصفي والتعريفي، دون أن تجمع بين العالمين في إطار مقارنة علمية شاملة.

ففيما يخص محمد بن أبي شنب، فإن أغلب الدراسات جاءت في شكل مقالات علمية أو فصول ضمن أطروحات أكاديمية، ركزت على سيرته وإنتاجه الفكري، دون التعمق في التحقيق والتعامل مع النصوص التراثية. ويعد كتاب عبد الرحمان الجيلالي "محمد بن شنب: حياته وآثاره" العمل الأشمل الذي خصه بدراسة مستقلة، إذ يبرز فيه ملامح شخصيته العلمية ومساره الأكاديمي، ودوره في نشر التراث الجزائري، غير أنه لم يتجاوز الإطار التعريفي إلى التحليل المعمق لمنهجه في التحقيق.

أما فيما يتعلق بحسن حسني عبد الوهاب، فقد تناولته بعض الدراسات الجزئية ضمن بحوث التراث التونسي المعاصر، في حين أفرد له جلول ريدان دراسة أكاديمية في أطروحته للدكتوراه بعنوان"حسن حسني عبد الوهاب 1883-1968"، وقد ركزت فيها على الجانب الإداري في مسيرته بوصفه موظفا و"قايد" من أصول مخزنية في الدولة التونسية –تحت الحماية وبعد الاستقلال–، مع إضاءات محدودة حول نشاطه العلمي والثقافي، دون تحليل منهجي لجهوده في خدمة التراث وتحقيق النصوص.

ومن خلال مراجعة هذه الأعمال، يتضح أن أغلب الدراسات السابقة بقيت أسيرة السرد التاريخي والعرض البيبلوغرافي، ولم تعالج بعمق البعد العلمي والمنهجي في جهود العالمين في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لسد هذا النقص عبر مقارنة تاريخية تبرز جهود العالمين، وتكشف أثرهما المشترك في إحياء التراث العربي الإسلامي وتحقيقه خلال الفترة 1884-1968م.

8- المصادر والمراجع:

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، شملت مؤلفات وتحقيقات العالمين مثل: كتاب "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب وأمثال العوام بأرض الجزائر والمغرب وتحقيق كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لابن أبي شنب من جهة. وكتاب "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، وخلاصة تاريخ تونس، وتحقيق كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر" لحسن حسني عبد الوهاب من جهة أخرى. والتي تعد مصادر كشفت عن منهجهما في خدمة التراث، وتميزت باعتمادها على مخطوطات نادرة أغنت المادة التاريخية. كما استفادت الدراسة من مقالاتهما المنشورة في المجلات العلمية كـ"المجلة الإفريقية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وغيرهما"، التي قدمت معطيات جديدة وقراءات مهمة للنصوص، إلا أنها لم تخلو من أخطاء نقل أو نقص في الإحالات.

إضافة إلى كتب السير والتراجم، ككتاب "محمد بن أبي شنب: حياته وآثاره" لعبد الرحمان الجيلالي، و"حسن حسني عبد الوهاب(1883-1968)" لجلول ريدان، التي ساهمت في توفير خلفية لحياة العالمين، غير أنها اتسمت أحيانا بنزعة التمجيد أو نسب غير دقيق.

وإجمالا، فقد ساهمت هذه المصادر المتنوعة في بناء رؤية شاملة لدور العالمين في خدمة التراث العربي الإسلامي، وتحليل أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما في ظل السياقات التاريخية والثقافية للبلدين.

9- صعوبات البحث:

واجهتنا في هذه الدراسة عدة صعوبات منهجية وميدانية، تمثلت في ندرة الوثائق والمخطوطات المتعلقة بأعمال محمد بن أبي شنب، حيث لم يتسن لنا الوصول إلى بعض مؤلفاته إلا في شكل صور رقمية غير واضحة. كما تشتت مصادر حسن حسني عبد الوهاب بين مكتبات تونس والأرشيفات وبعض المراكز الثقافية خارجها، مما استدعى جهدا مضاعفا في تتبع موارده الفكرية. ويضاف إلى ذلك ندرة الدراسات المقارنة التي تجمع بين

العالمين في إطار تحليلي واحد، كما أثرت ظروف خاصة سلبا على سير العمل في جمع المادة البحثية، حيث حدت من إمكانية الوصول إلى بعض المصادر الأصلية في وقتها المناسب.

وقد تم التغلب على هذه العقبات من خلال الاعتماد على المصادر الأولية المتاحة، والمراسلات العلمية، والمقالات المنشورة في الدوريات المتخصصة، مع الاستعانة بمصادر رقمية موثقة لسد الثغرات وبناء عمل بحثي متكامل.

وأخيرا تم إنجاز البحث، وتمت المقارنة، وتوجت بالنتائج المتوصل إليها، ويعود الفضل لله تعالى، ثم دور أستاذي المشرف الدكتور على غنابزية الذي كان دوما يحفزني، ويشجعني، ويوجهني بآرائه السديدة منذ اقتراحه لموضوع البحث وحتى استكمال فصوله، فله كل الشكر والتقدير. وأثني بالشكر لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، وأحسب نفسي قد اجتهدت، فإن أصبت فذلك توفيق الله وتسديده، وإن كان غير ذلك في بعض الجوانب، فتلك طبيعة البشر، فأسل الله العفو والغفران، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المختصرات الواردة في الهوامش

- **إ.ش:** إشراف.
- **ب .ت.ط:** بدون تاريخ طبع.
- **ب.م.ط:** بدون مكان طبعة.
- **تح:** تحقيق.
- **تر:** ترجمة.
- **تق:** تقديم.
- **تع:** تعريب.
- **تعل:** تعليق.
- **تص:** تصدير.
- **ج:** جزء.
- **جم:** جمع.
- **مخ:** مخطوط.
- **حو:** حوار.
- **ط:** طبعة.
- **ط.خ:** طبعة خاصة.
- **ص:** صفحة.
- **مج:** مجلد.
- **مر:** مراجعة.
- **ع:** عدد.
- **فه:** فهرسة.

- **A**.**N**.**T**: Les Archives Nationales de Tunisie
- **C** : Carton.
- **D** : Dossier.
- **éd** : édition.
- **F** : Folio.
- **S** : Série.
- **P**: Piéces.
- **R**.**Afr** : Revue Africaine.

➢ الفصل التمهيدي: الجزائر وتونس في عصر محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

- المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر.
- المبحث الثاني: الأوضاع العامة في تونس.
- المبحث الثالث: مفهوم التراث العربي الإسلامي وأهميته.

الفصل التمهيدي: الجزائر وتونس في عصر محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

انطلاقا من نظرية أن الإنسان ابن بيئته، نخصص هذا الفصل للحديث عن الوضع العام للجزائر وتونس خلال الفترة التي عاش فيها كلا من محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، وسنحاول من خلال هذه الدراسة تقديم مقاربة تاريخية لتلك العناصر التي تظهر على أنها مختلفة عن بعضها، ولكن يبدو أنها تتماسك وتنسجم لتكون ما يسمى بالحدث التاريخي الذي سيكون له أثر كبير في البيئة التي عاش فيها الرجلين، فلا يمكن لأي باحث في السير والتراجم أن يغفل البيئة والظروف التي عاشتها الشخصيتين، لما لهما من تأثير في تكوينهما وفي دفعهما لأعمال وانجازات معينة، بالإضافة إلى تقديم مفهوم للتراث العربي الإسلامي.

فلا شك أن البيئة الجزائرية والتونسية قد كانت لهما دورا رئيسيا في تنشئة وتكوين شخصية وثقافة العالمين، وهو ما سيظهر جليا في فصول هذه الرسالة.

فقد عاش محمد بن أبي شنب حياته في ظل الاحتلال الفرنسي، الذي أحكم السيطرة على الجزائر لمدة 132 سنة، انتهج خلالها سياسة تستهدف الهيمنة على العقول والأبدان، وطمس كل ما له علاقة بتراث الأمة الجزائرية، بعدما تمكن من الاستيلاء بالقوة على الأرض؛ فمارس القمع والإقصاء، والتهميش ومصادرة الحقوق السياسية والمدنية، ولجأ إلى التفقير ونشر الأمية بين صفوف الشعب، وأحكم قبضته على الدين، وحارب العلماء والمثقفين الوطنيين بالتضييق تارة والإبعاد والنفي والسجن تارة أخرى[1].

وعلى النقيض من ذلك فقد فتح الباب واسعا أمام المعمرين القادمين من مختلف البلدان الأوربية، للتمتع بكل الامتيازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لم تكن متاحة لهم حتى في بلدانهم الأصلية.

ويختلف الأمر نسبيا بالنسبة لحسن حسني عبد الوهاب، الذي عاش في بيئة تونسية تميزت بمرحلتين هما: مرحلة الحماية الفرنسية منذ 1881م، ثم مرحلة دولة الاستقلال ما بعد 1956م، تباينتا فيها بعض الجوانب الحياتية والثقافية وتشابهتا في جوانب أخرى.

وعليه سنحاول في هذا الفصل استعراض جوانب من الواقع العام الذي عاش فيه الرجلين حتى يمكننا الوقوف على مدى تأثيره في تشكيل شخصيتهما، وتحديد دورهما من مختلف القضايا التي لها علاقة بالتراث العربي الإسلامي، والتي حاولا معالجتها انطلاقا من رصيدهما العلمي والثقافي الذي اكتسباه أثناء مرحلة الطفولة والشباب من ناحية، ومن رحلاتهما وأسفارهما التي ساهمت هي أيضا في ذلك من ناحية أخرى.

1 – ينظر، عميراوي احميدة وآخرون، **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830–1954)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص7–30.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر.

ورد في تقرير اللجنة الإفريقية المؤرخ عام 1833م، « لقد حطمنا...ممتلكات المؤسسات الدينية. وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام. وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض...وذبحنا أناسا كانوا يحملوا عهد الأمان...وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم...لأنهم كانوا شجعاناً»[1]، وهو تصريح يميط اللثام عن تجاوزات المحتلين الفرنسيين، رغم تلك الاتفاقية الموقعة بين آخر دايات الجزائر وقائد قوات الاحتلال الفرنسي، والقاضية بأن المقومات الروحية والمادية للجزائريين لن تمس، وأن القادة الفرنسيون يعدون بصدق ذلك وعد شرف!

المطلب الأول: أوضاع الجزائر السياسية.

وضع الاستعمار الفرنسي حدا لسيرورة الدولة الجزائرية الحديثة[2] منذ توقيع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830م[3]، حيث قامت قوات الاستعمار بعد توقيع اتفاقية الاستسلام بالدخول إلى مدينة الجزائر، والقيام بعملية القتل والنهب والسلب، وقد استولى دي بورمون(De Bourmont) القائد العام

---

1 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1992، ج2، ص20.

2 – ظهرت الدولة الجزائرية الحديثة بحدودها الجغرافية الحالية منذ بداية القرن 16م، يقول فرحات عباس عن ذلك: «في سنة 1830م كانت الجزائر دولة ذات سيادة، لا جدوى في إنكار هذا الواقع، نعم إن تحطيم هذه الدولة يظهر قوة فرنسا ولكن ليس معناه عدم وجود الدولة الجزائرية، إن هذه الدولة بحدودها الحالية تعود إلى سنة 1515م، ولم يكن نظامها، لا أقل ولا أكثر إحكاما من دول أخرى كثيرة. كانت لهذه الدولة حياة وطنية ودولية، وكان يعترف بها عدد كبير من الدول الأوربية منها فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة وهولندا، وقد أبرمت معها اتفاقيات عديدة، أما في الميدان العسكري كان لها جيش منظم فيه تقريبا 15000 رجل وأسطول مكون من 60 مركبا. إن حدود الجزائر التي كانت محددة تحديدا دقيقا شرقا وغربا، كانت تعترف بها جميع الدول، سواء فرنسا أو الدول المتاخمة لها، لا ننسى بأن غرفة مدينة مرسيليا التجارية التمست من داي الجزائر إنشاء مستودع تجاري في مرسى القالة، وبقي هذا الخط الشرقي عبارة عن الحدود الشرقية للمستعمرة الفرنسية. أما الحدود الغربية كفانا برهانا لتأييد نظرتنا، ذلك النزاع الذي قام بين فرنسا والمغرب حين خرق الأمير عبد القادر تلك الحدود سنة 1844م، من البديهي أنه لا تخرق حدود لا وجود لها. وبقيت تلك الحدود الجزائرية المغربية إلى يومنا هذا». ينظر، عباس فرحات، **ليل الاستعمار**، تر، أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص ص56–57.

3 – جاء في بنود معاهدة الاستسلام:

– يسلم حصن القصبة وجميع الحصون الأخرى التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة إلى الجيوش الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة (بالتوقيت الفرنسي).

– يتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو داي الجزائر بترك الحرية له وحيازة كل ثرواته الشخصية.

– سيكون داي الجزائر حرا في أن يتصرف هو وأسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يعينه. ومهما بقي في الجزائر سيكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام الفرنسي، وسيتولى حرس ضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته.

– يضمن القائد العام لجميع جند الإنكشارية نفس الامتيازات ونفس الحماية.

– ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، ولن يلتحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم، ولا تجارتهم وصناعتهم، وستكون نسائهم محل احترام. والقائد العام يلتزم على ذلك بشرفه.

ينظر، عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1900**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص ص69–70. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3، ص ص325–326. عثمان خوجة، **المرآة**، تر، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص ص203–204.

للجيش الفرنسي على كل أموال الخزينة الجزائرية والتي كانت تقدر بـــ 55.864.527 فرنكا[1]، وأعطى الحرية لجنوده في التصرف في الجزائر، ولم يحترم المعاهدة التي وقعها بشرفه وشرف فرنسا.

أما الملك الفرنسي شارل العاشر(Charles X) الذي وصله خبر سقوط الجزائر صبيحة يوم 09 جويلية 1830م، فقد ابتهج بذلك وكتب رسالة إلى أسقف فرنسا يبشره فيها بذلك الانتصار الذي باركته العناية الإلهية حسب قوله[2].

لم يمض وقت طويل حتى اعتبرت الجزائر جزءا لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية وفقا للمرسوم الذي أصدره الملك الفرنسي لويس فيلب (Louis Phillip) يوم 22 جويلية 1834م، والذي نص على اعتبار الجزائر جزءا من الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا[3]، ودعم المرسوم بدستور 1848م، الذي جاء في مادته 109: «الجزائر أرض فرنسية»[4]، ليفسح المجال لانطلاق أكبر مشروع استيطاني في القارة الإفريقية.

ورغم أن تشجيع الاستيطان كان منذ بداية الاحتلال، إلا أن الجمهورية الثالثة 1870م-1914م، كانت أكثر تحمسا لذلك، ففي سنة 1876م أصبح عدد المعمرين حوالي 344 ألف معمر، إضافة إلى يهود الجزائر الذين أصبحوا بموجب قانون كريميو (Crémieux) الصادر في 24 أكتوبر 1870م[5] مواطنين فرنسيين يتمتعون بجميع الحقوق ويتبوءون مختلف المناصب العليا.

وفي سنة 1899م صدر قانون التجنيس الآلي الذي يشمل أبناء الأجانب المزدادين في الجزائر من أجل إرغامهم على الجنسية الفرنسية، قال الوالي العام لويس تيرمان (L. Tirman) في هذا الشأن: « حيث أن الأجانب لا يرغبون في الجنسية الفرنسية فما علينا إلا أن نجعلها إجبارية »[6].

واعتبارا من صدور قانون 19 ديسمبر 1900م في عهد الوالي العام جونار(Jonnart)[7] الذي منح الحكم الذاتي والمالي للمستوطنين، استقلوا بميزانية الجزائر عن الميزانية العامة لفرنسا، وبسطوا سيطرتهم على كل

---

1 - حول هذه الأرقام ينظر، أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ط2، القاهرة، 1963م، ص49.

2- M. Alfred Nettement, **Histoire de la conquêt d' Alger**, éd, librairie Jacques Lecoffre, France, 1867, pp 142-143.

3 - عبد الكريم بوصفصاف، **الفكر العربي الحديث (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)**، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص ص54-55.

4 - Charles Robert Ageron, **Histoire de L'Algérie Contemporaine**, P.E.F, Paris, 1977, pp8-9.

5 - للمزيد حول قانون "كريميو" وما أحدثه من تداعيات ينظر، شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919**، تر، مر. حاج مسعود، أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص ص، ج01، 31-38.

6 - Charles Robert Ageron, op.cit, pp8-9.

7 - **جونار**: نائب في البرلمان الفرنسي ثم عضوا في مجلس الشيوخ، تقلد عدة مناصب منها وزيرا سنة 1893م، وقد عين حاكما على الجزائر ثلاث مرات ما بين 1900م و1918م. للمزيد حول هذه الشخصية ينظر، عباس فرحات، المصدر السابق، ص ص56-57.

السلطات المالية والاجتماعية الخاصة بالجزائر وتحكمها في رقاب الأهالي، يقول عن ذلك أبو القاسم سـعد الله: « هذه الإجراء جاء خصيصا لخدمة المعمرين بهدف تطوير صناعتهم، ومراقبة مصاريفهم التي جمعوها من ضرائبهم وضرائب الأهالي»[1].

كانت الجمهورية الثالثة في خدمة المستوطنين وحدهم، وأهملت الجزائريين كل الإهمال، بل مارست عليهم الضغط والمراقبة بواسطة الجيش والشرطة والقوانين الردعية كقانون الأهالي(Code de L'indigénat)،[2] فهم في نظرها عنصرا خطيرا.

وهكذا اختلفت أشكال الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، إلا أن أهدافها ظلت واحدة تتمثل بصورة خاصة في إحكام السلطة والسيطرة على الجزائريين، حتى تتمكن من إخضاعهم وتحقيق استسلامهم لأجل تمكين المعمرين من استنزاف خيرات الجزائر واستغلال أهاليها، ومن ثمة تقضي على انتفاضاتهم بواسطة مختلف القوانين والإجراءات الاستثنائية ذات الطابع التعسفي.

ومن بين تلك الأدوات القمعية التي سلطها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين في بداية القرن العشرين إلى جانب قانون الأهالي، المحاكم الزجرية التي أنشئت بموجب مرسوم صادر في 27 مارس 1902م، وعددها مائة وخمسة وخمسون محكمة منتشرة في كل البلديات المختلطة، وتتكون كل محكمة من هذه المحاكم من قاضي الصلح وقاضيين أحدهما يختار من كبار المستوطنين والآخر من أعيان الأهالي، وأحكام هذه المحاكم الاستثنائية غير قابلة للاستئناف إلا إذا تجاوزت العقوبة ستة أشهر سجن أو خمسمائة فرنك غرامة، وليس للمتهم الحق في توكيل محام عنه[3].

ولعل أهم ما ميز السياسة الفرنسية في الجزائر خلال الربع الأول من القرن العشرين هو إصدار قانون التجنيد الإجباري في 03 فيفري 1912م، الذي نص على إجبارية أداء الجزائريين للخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين[4].

لكن رغم السلاح والقهر والقوانين الجائرة، فإن اليقظة السياسية أخذت تنمو وتتشكل، وزادت الأفكار المقاومة لفرنسا والتي لم تأت من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية فحسب، إنما كانت كذلك لدى العديد من الجزائريين المثقفين بالفرنسية والذين تلقوا تعليما في المدارس الفرنسية اللائكية.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، ج2، المرجع السابق، ص 102.

2 – صدر هذا القانون في 10 أفريل 1874م، وهو عبارة عن مجموعة قوانين استثنائية خُص بها الجزائريون دون غيرهم. ينظر، شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919**، ج01، المرجع السابق، ص ص 315–320.

3 – جمال قنان،"مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 1882م–1914م"، **مجلة المصادر**، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ع09، ماي 2004م، ص39. وللتوسع أكثر ينظر، شارل روبير أجرون، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871–1919**، تر، مر. حاج مسعود، أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ج2، ص ص 99، 148.

4 – بوعلام بلقاسم، "سياسة التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي بين 1845و 1945"، **حولية المؤرخ**، إتحاد المؤرخين الجزائريين، السداسي الثاني، 2002، ج1، ص 425.

ومع بداية القرن العشرين تغير أسلوب المواجهة[1]، وبرز على الساحة ما أصطلح عليه بـ "حركة الجزائر الفتاة" تحت قيادة النخبة الجديدة المثقفة بالفرنسية، والتي تعني الحركة الوطنية التي كانت تهدف إلى تحرير البلاد بطرق شرعية سياسية، مستعملة في أغلب الأحيان وسائل غربية.

وقد كانت هذه الطريقة تختلف عن طريقة الجزائر في بداية الاحتلال، التي حاولت مع بعض الاستثناءات أن تطرد الفرنسيين بوسائل عسكرية، وأن تقضي على وجودهم بالمؤامرات، وغموض الجمعيات الدينية، والدعوة إلى الجامعة الإسلامية[2].

وهكذا نلاحظ أنه بينما لجأت الجزائر بداية الاحتلال غالبا إلى الثورات، استعملت الجزائر الفتاة طريقة العرائض والوفود والإضرابات، وصخب الشوارع، وإن هذا التكتيك الجديد للضغط، مع بعض الثورات المتجددة قد جعل الجزائر تبدوا باستمرار في حالة غليان وعدم استقرار ويقظة[3].

تحسبت السلطات الفرنسية لتلك اليقظة، وحاول مشروع الوالي العام جونار(Jonnart) أن يضع حدا لكل محاولة ثورية بإعطاء كل الصلاحيات للرسميين، بأن يتخذوا إجراءات مناسبة ضد كل دعاية قومية في الجزائر.

وفي الإطار نفسه أصدرت السلطات سنة 1908م قرارا يقضي بحظر الحج إلى مكة، ودعا أحد الكتاب الفرنسيين إلى تشجيع اللهجة البربرية قصد تمزيق وحدة السكان حتى لا يتأثروا جميعا بأفكار الجامعة الإسلامية.

لتبرز في الجزائر مطلع القرن العشرين كتلتان متمايزتان تصوران بوضوح التمايز الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، أولاهما كتلة المحافظين التي تتشكل في الغالب من العلماء، ورجال الدين، والمحاربين القدامى، وزعماء الطرق الصوفية، وهؤلاء لم يكونوا مندمجين في تنظيم واضح، ولكن أفكارهم واتجاهاتهم كانت واضحة، وقد طالبوا بالمساواة ودعوا إلى الجامعة الإسلامية«وأغلبهم انغمس في الغموض الديني والسلبية المجردة»[4].

وثانيهما النخبة التي وصفت بأنها جماعة تحسن اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة، فأصبحت مشتتة بين حضارتين عربية وفرنسية، وظهرت منهم طبقة اجتماعية عُرفت باسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين، التي

---

1 – الجدير بالذكر، أنه خلال السبعين سنة التي أعقبت الدخول الفرنسي عاشت الجزائر على وقع المواجهات والانتفاضات الشعبية بقيادة زعماء وطنيين مخلصين أمثال: الأمير عبد القادر، والحاج أحمد باي، ومحمد المقراني، وغيرهم كثير، كبحت الاندفاع الفرنسي في مختلف الاتجاهات، حيث لم يتسن للقوات المحتلة بسط نفوذها على كامل التراب الوطني إلا بعد أواخر العقد الثاني من القرن العشرين، وأظهرت شدة المقاومة أن احتلال الجزائر لا يمثل نزهة في شمال إفريقيا. لتستمر المقاومة بطرق أخرى كانت خاتمتها ثورة التحرير الكبرى في الفاتح من نوفمبر سنة 1954م.

2 – **الجامعة الإسلامية:** هي حركة تدعو إلى تضامن المسلمين من أجل تحقيق الوحدة والقوة بينهم في وجه التوسع الأوربي، أما وسائلها فتقوم على الإصلاح الديني والاجتماعي، وذلك بتمجيد العقل والعودة إلى مذهب السلف، والشائع أن هذه الحركة بدأت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصحاب هذه الحركة هم "جمال الدين الأفغاني(1838-1897)، وتابعه محمد عبده (1849-1905)، ومحمد رشيد رضا (1865-1935)، وآخرون. للمزيد حول الجامعة الإسلامية ينظر، أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، ج2، المرجع السابق، ص 109.

3 – المرجع نفسه، ص ص98-99.

4 – المرجع نفسه، ص 152.

يعتبرها كلا من كلود كولو(Collot Claude) و روبير هنري(Robert Henry): «أنها بداية لظهور الأحزاب السياسية منذ سنة 1912م ».[1]

وتعتبر محطة الحرب العالمية الأولى (1914-1918) منعرجا هاما في تاريخ الجزائر، حيث أعطت دفعا لانطلاق العمل السياسي نتيجة للتغيرات التي حدثت في فرنسا نفسها، وقد تمكنت الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الأولى من تحقيق خمسة أهداف رئيسية هي:

أولا: أنهت بتفاعلها السياسي والعاطفي والعسكري، الأسطورة المرددة باستمرار والواسعة الانتشار والقائلة بأن الجزائريين كانوا مخلصين لفرنسا، وأن بلادهم كانت هادئة وراضية بالحكم الفرنسي.

ثانيا: نجحت في اختراق الستار الفرنسي، وذلك بنقل القضية الوطنية من المسرح الجزائري إلى المسرح العالمي.

ثالثا: دعمت الضمير الوطني بالتعاون الفعال بين الثوار والأهالي من ناحية، وبين العمال والجنود من ناحية أخرى.

رابعا: أرغمت فرنسا على إدخال الإصلاحات، التي تضمنها قانون سنة 1919.

وأخيرا، حققت التعاون بين القوات الوطنية في الداخل وبين المهاجرين الجزائريين الآخرين في الخارج في حملة دعائية ضد الفرنسيين[2].

إن معطيات عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى كانت بارقة أمل للجزائريين، لذلك تشكل وفد برئاسة الأمير خالد سافر إلى فرنسا ليطالب مؤتمر الصلح بتطبيق المبادئ الجديدة (مبادئ ولسن) على الشعب الجزائري[3]، ولكن رغم الفشل في تحقيق الهدف، فإن هذه المحاولة كانت سابقة تبعتها حركة كفاح قوي، توجت بثورة شعبية شاملة قطعت دابر تلك السياسات الاستعمارية.

المطلب الثاني: الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر.

عرف الوضع الاقتصادي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي حالة من التدهور الكبير، حتى وصفت بأنها مملكة للبؤس، يقول عن ذلك جاك مادول(Jeques Madoul):«إذا غضضنا النظر عن المحلات التجارية الفاخرة، وعن القرى النظيفة الأنيقة التي عمرها الأوربيون لأنفسهم، وعن الطرق المعبدة، والمزارع الفرنسية المزدهرة، أحسسنا أننا نخطو أوّل خطوة إلى مملكة البؤس»[4].

---

1 - Ali Mared, "Conformation de presse Islamique à Algérien", **IBLA**, N°02, Vol127, 1964, p13.

2 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، ج2، المرجع السابق، ص 231.

3 - خير الدين شترة، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 30-31.

4 - رابح تركي، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص ص84-85.

إن هذا الاختلال في الوضعية الاقتصادية كان بسبب استحواذ الاحتلال على معظم مصادر الثروة الجزائرية في كل ميادين الحياة، حيث أعلن قادة الاحتلال منذ سقوط الجزائر بأن نزع ملكيات الأهالي هو الشرط الأول الذي لا مناص منه لاستيطان الجزائر، ولتحقيق ذلك صدرت سلسلة تشريعات متتالية، وكان أول هذه القوانين قانون أكتوبر 1844م[1] الخاص بالأوقاف والممتلكات العقارية، ومما أجاء فيه: «مصادرة أراضي الأهالي غير المزروعة والتي لا يملك أصحابها وثائق تثبت ملكيتهم لها». وبعد ذلك دعم هذا القانون بمجموعة من القوانين الأخرى أشهرها قانون وارنييه(Warnier)سنة 1873م والذي نص على إلغاء حق الشفعة وتفكيك أراضي القبائل المشتركة باعتبار أن الملكية الجماعية غير قانونية في الجزائر[2].

أدّت هذه السياسات إلى الاستحواذ على معظم الأراضي الخصبة التي كانت بحوزة الجزائريين، وبغض النظر عن تعدد طرق الاستيلاء فإن النتيجة كانت واحدة، إذ تقلصت أراضي الفلاحين الجزائريين، وطردوا من السهول المنتجة إلى الهضاب الجافة، حيث الزراعة أكثر مشقة وأقل إيرادا.

وتكاد تكون الفلاحة المورد الوحيد لسكان القطر الجزائري على الإطلاق، وفي الوقت الذي كانت نسبة 72% من الجزائريين يعيشون على الفلاحة، ومتوسط ملكية الفلاح لا يتعدى 14 هكتارا، كان بالمقابل 16% من الأوربيين فقط يعيشون على الفلاحة، ومتوسط ملكية الفرد منهم 109 هكتارات حتى مطلع القرن العشرين[3].

وبتتبع تطور ملكية الأوربيين للأراضي، يبرز بوضوح التوسع المستمر، حيث أدت تلك القوانين إلى هدم البناء الزراعي الجماعي في الريف الجزائري، فأصبح الفلاحون مجرد خماسين في أراضيهم مما تسبب في تفكك الوحدة الاقتصادية للعائلة والتضامن الاجتماعي في الريف.

لقد حرم سكان البلاد من أرضهم ومن مناصب شغل تحفظ كرامتهم، وإن حالف بعضهم الحظ في الحصول على عمل؛ فالأجر منخفض جدا في كل من حقلي الزراعة والصناعة، وفي المقابل كثرة عدد ساعات العمل وسوء الأوضاع، ووجود العمل لجزء من السنة فقط[4].

أدت سياسات الاستعمار الفرنسي إلى انقسام المجتمع في الجزائري إلى فئتين، الأولى تضم العناصر الأوربية المتمتعة بحماية الإدارة واحتلال المراكز المرموقة، وتكون منها الإقطاعيون بالريف لاستحواذهم على مساحات شاسعة وخصبة من سكان البلاد الأصليين، كما تكون الرأسماليون بالمدن، وتتميز هذه الفئة بالتعصب، والكره

1 - Charles Robert Ageron, **Histoire de L'Algérie Contemporaine**, op.cit, p240.

2 - صالح عباد، **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص130.

3 - ينظر، عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 2005، ص ص198-199.

4 - جوان غيليسبي، **الجزائر الثائرة**، تر، خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1961م، ص 50.

الشديد للجزائريين كونهم يشكلون خطرا على مستقبلها، والفئة الثانية تتشكل من أصحاب البلاد الشرعيين الذين تحولوا إلى فئة مسحوقة ومشردة ومحرومة من كل تطور اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي يؤدي بهم إلى الترقية.

ولم يقف الأمر عند هذا الإجراء بل تعداه إلى زعزعة البنية الاجتماعية للجزائريين من خلال «إبلاء السكان باستهلاك الكحول وبث عقارب النزاع والفوضى بينهم»[1] وتغليب العنصر الأوربي على العنصر الأصلي، والقضاء على البنية التركيبية المكونة للمجتمع الجزائري، ونشر في أوساطه عادات وتقاليد دخيلة وغريبة عليه، فكثرت ظاهرة «شرب الخمر، وظاهرة التسكع في الطرقات وظاهرة البغاء عند النساء خاصة في المدن الكبرى»[2].

ولتحطيم روح المقاومة في نفوس الجزائريين، حاول المستعمر إشعارهم بالدونية، وترسيخ فكرة تفوق الرجل الأبيض على باقي الأجناس، وما الألقاب التي كانوا يدعون بها الجزائريين إلا دليل على مدى احتقار الأوربيين للعرب المسلمين، ومن بين تلك الألقاب التي كانت متداولة "الأهلي" والتي كانت رمزا للدونية أكثر منها للتمييز بين المعمرين والسكان الأصليين في الجزائر[3].

وأمام تلك السياسات القمعية والقائمة على الإدماج ومصادرة الممتلكات، انطلقت موجات من الهجرة شبه الجماعية نحو الخارج هربا من تلك السياسات، وطلبا للحرية، والاحترام، والفرص التي لم يجدوها في وطنهم.

المطلب الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر.

قبل الاحتلال الفرنسي كانت الجزائر تشهد انبعاثا مستمرا للثقافة العربية الإسلامية، تتولى رسالتها المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية، ومن مظاهر هذا الانتعاش الثقافي؛ انتشار المؤسسات التعليمية في الأرياف والمدن على حد سواء، وانخفاض نسبة الأمية بشكل ملفت للنظر، بالمقارنة مع الدول الأوربية نفسها وعلى رأسها فرنسا[4]، وهو ما أورده بعض الدارسين للواقع الجزائري عشية الاحتلال كتيران إيفون(Turin Yvonne) إذ تقول: «إن التعليم الابتدائي بالجزائر كان أكثر انتشارا مما كنا نعتقده عموما، وقد أظهرت علاقاتنا مع أهالي المقاطعات الثلاث أن متوسط عدد الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة من جنس الذكور، يساوي على الأقل المتوسط الذي أعطته الإحصائيات الولائية عن أريافنا، فهناك حوالي 40% من دون شك، لكن إن لم يكن جميع الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة، فإنهم قد ذهبوا جميعا إلى المدرسة، وكانوا يستطيعون استظهار الأدعية وبعض آيات القرآن، لقد كان لجميع القبائل والأحياء الحضرية معلم مدرسة قبل الاحتلال الفرنسي»[5]،

1 – عباس فرحات، المصدر السابق، ص116.

2 – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد القرن**، تق، عمر مسقاوي، ط4، دار الفكر، دمشق، 2006، ص17.

3 – شاوش حباسي، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830–1962"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع10، معهد التاريخ بجامعة الجزائر، 1997م، ص78.

4 – عباس فرحات، مصدر سابق، ص ص96–97.

5 – إيفون تيران، **المواجهة الثقافية في الجزائر المستعمرة(المدارس والممارسات الطبية والدين 1830م–1880م)**، تر، محمد عبد الكريم أوزغلة، مر، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص135.

ويؤكد ذلك "أوجين كوب" في خطاب له بمجلس الشيوخ الفرنسي قائلا: « مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر كان سنة 1830م أكثر انتشارا وأحسن حالا مما هو عليه الآن»[1].

فقد تميز التعليم في الجزائر حينئذ بالانتشار الواسع والنظام المحكم، لاسيما في الحواضر العلمية كقسنطينة وبجاية والجزائر وتلمسان، بفضل نخبة من المعلمين والأساتذة الذين كانوا يسهرون على ترقية التعليم وتطويره ونشره بين مختلف الأوساط الشعبية، ولعل ما يؤكد ذلك، ظهور مثقفين بارزين من الطراز العالمي قبل وعشية الاحتلال الفرنسي، أمثال: الأمير عبد القادر الجزائري، وابن العنابي[2] وحمدان بن عثمان خوجة[3] وغيرهم، الذين تركوا مؤلفات راقية في مختلف العلوم والفنون والآداب.

غير أن انتشار العلم والمعرفة في الجزائر لم يصل إلى مستوى الإنتاج المادي، مثلما أصبح عليه الوضع في أوربا في ذلك العصر، وإنما كانت الثقافة الجزائرية ثقافة أدبية وروحية وفكرية، لم تتحول وتوظف بعد في الحياة المادية التكنولوجية والصناعية والتجارة وغيرها، فهي عقيمة متوقفة دون حركية أو تطور إذا ما قورنت بالثقافة الشعبية التي أبدت نوعا من النشاط والحيوية.

أما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، فقد انقلبت الموازين وتغيرت الأوضاع، وسعى الاحتلال منذ البداية إلى الهيمنة على منابع المعرفة الثقافية للمجتمع الجزائري المتمثلة في المؤسسات الثقافية التقليدية، وذلك بهدف تمزيقه عن انتمائه ومرجعيته الحضارية، ومن أجل ذلك تم إنتاج سياسة تعليمية تعتمد على التجهيل والفرنسة والإدماج والتغريب[4]، ونجاح هذه السياسة حسب معتقدهم تكمن في: «العزل القسري للمقومات الحضارية للتراث العربي الإسلامي وتغيير الهوية الثقافية السائدة، ومن ثم على الجزائر أن تكون فرنسية في كل شيء، وأن تنسى ذاكرتها وجسور اتصالها بالماضي دفعة واحدة وإلى الأبد»[5]، وفي هذا السياق ؛ تم الاستيلاء على مراكز الثقافة العربية والإسلامية من مساجد ومدارس وزوايا، وتحويلها إلى مراكز للثقافة الفرنسية والهيئات التبشيرية المسيحية، أو إلى ثكنات وإسطبلات ومتاجر.

---

1 – خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة** ، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ج1، ص112.

2 – **ابن العنابي**: ولد سنة 1189هـ/1775م، وتوفي سنة 1267هـ/1851م، من أسرة كانت لها مكانة دينية وفكرية هامة في الجزائر، تمتع بثقافة كبيرة في العلوم الشرعية أهلته لتولى عدة مناصب كالقضاء الحنفي في عهد الداي أحمد باشا. انتقد السلطات الفرنسية لاختراقها اتفاقية الاستسلام في 05 جويلية 1830م. ترك آثار فكرية عديدة منها كتاب"السعي المحمود في نظام الجنود". للمزيد ينظر، عمر بن قينة، **شخصيات جزائرية**، دار البعث، قسنطينة، 1983م، ص21 وما يليها.

3 – **حمدان بن عثمان خوجة(كرغلي)**: ولد حوالي 1773م وتوفي ما بين سنتي 1840م-1841م، عرف بكثرة أسفاره، وخلف وراءه عدة مؤلفات أشهرها كتاب "المرآة". ينظر. حميدة عميراوي، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827م–1840م)**، دار البعث، قسنطينة، 1987م.

4 – رابح تركي، المرجع السابق، ص104.

5 – عبد الكريم أبو الصفصاف، **الأبعاد الثقافية والاجتماعية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس**، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، تونس، موسم 1996م/1997م، ج1، ص87.

ففي العاصمة وحدها قامت السلطات الاستعمارية بتحويل ثلاث مساجد إلى كنائس كاثوليكية، وأعطيت أخرى إلى المصالح العامة المدنية والعسكرية، وهدمت أخرى قصد فتح الطرق والمساحات أو توسيعها أو بناء المؤسسات العمومية كالمستشفيات والمدارس والمسارح والكنائس، وأن من بين 166 مسجدا وزاوية في العاصمة لم يبق إلا 21 مسجدا فقط فيها سنة 1876م[1].

يذكر أحد جنرالاتهم-حاكم وهران-: «عندما أقمنا بالعاصمة، أخذنا المدارس كي نحولها إلى مخازن، أو ثكنات، أو إسطبلات، ووضعنا أيدينا على أملاك المساجد والثانويات، وزعمنا أننا نطبق على الشعب العربي مبادئ الثورة الفرنسية، لكن لم ير المسلمون في ذلك إلا هجوما عنيفا على دينهم...» [2].

أما الأوقاف فقد لاقت المصير نفسه الذي لقيته المؤسسات الإسلامية الأخرى، وهي التي كانت تمنح الديمومة للنشاط العلمي واستقراره، فبموجب مرسوم صدر بتاريخ 07 ديسمبر 1830م تم مصادرة الأملاك الوقفية، وأصبحت كل المساجد والمؤسسات الإسلامية تحت أعينهم. وعمدت إدارة الاحتلال إلى تبديد مواردها كما لو كانت أملاكا عادية. وهي التي كانت منتشرة عبر كامل أرجاء البلاد، ومصدرا للثقافة العربية الإسلامية وحارسة للتراث الجزائر. وفي هذا الصدد يعلق الشيخ الورتلاني عن ذلك التناقض في السياسة الفرنسية قائلا: «وهل يمكن أن يخطر لك ببال أن فرنسا اللائكية تصادر أوقاف المسلمين ثم تنفق أكثر ريعها على التبشير للمسيحية، بل للإلحاد ضد الإسلام؟» [3].

ويتضح الموقف أكثر على لسان النائب طوكفيل(tocqueville) سنة 1848م الذي يقول: «لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال من أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الإنسان والتعليم العام...لقد انطفأت الأنوار من حولنا، وتوقف انتقاء رجال الدين ورجال القانون، وهنا يعني أننا جعلنا المجتمع أشد بؤسا وأكثر جهلا، وأشد همجية بكثير مما كان عليه قبل أن يعرفنا»[4].

نعم كان هدفهم قطع الطريق عن الجزائريين حتى لا يستمروا في التواصل مع تراثهم العتيق؛ بالسعي إلى تجهيل الأمة وسد كل منافذ التعليم والثقافة، يؤكد على ذلك الجنرال ديكرو(Ducrot) في أحد تقاريره إلى نابليون الثالث، يقول فيه:« يجب علينا أن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا كلما استطعنا إلى ذلك سبيلا...وبعبارة أخرى يجب أن يكون هدفنا هو تحطيم الشعب الجزائري ماديا ومعنويا »[5].

---

1 - Paul Gaffarel, **L'Algérie histoire** (**conquête et colonisation**), éditions, Jaques Gandini, France, 2004, p646.

2 - إيفون تيران، المرجع السابق، ص128.

3 - الفضيل الورتلاني، **الجزائر الثائرة**، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ومدعمة بالصور، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2009م، ص298.

4 - أبو العيد دودو، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان(1830م-1855م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص13.

5 - ينظر. الأشراف مصطفى، **الجزائر(الأمة والمجتمع)**، تر، بن عيسى حنفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص128-129.

وحتى المراكز الثقافية التقليدية والمتمثلة أساسا في الزوايا التي كانت تعج بالمشايخ والطلبة في سبيل الإلمام بالعلوم ونشرها بين الجماهير، أصبحت في ظل السياسة الاستعمارية منكبة على تعليم ديني ولغوي بدائي، مكرسة كل إمكانياتها لنشر مبادئ التصوف المزعوم[1].

ومع مطلع القرن العشرين(20م)، وصلت الجزائر إلى منعرج خطير يهدد تراثها الثقافي العربي الإسلامي، حيث نلاحظ مواجهة مباشرة بين ثقافتين متناقضتين؛ ثقافة جديدة!! جاء بها الاستعمار، وثقافة محلية تقليدية لاقت هجوما شرسا من طرف الاستعمار، لإدراك قادته بأن هذه الثقافة هي العائق الرئيس الذي يمكن أن يقاوم ما كانت تسعى إليه من مسخ وتشويه[2]، ومن ثم وجب تجريد الشعب الجزائري منها وطمس معالمها و«صبها في قوالب تلائم أهدافه ومخططاته لتضمن لوجوده البقاء»[3]، وقد صرح بهذه السياسة أحد الفرنسيين قائلا: «إننا لم ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون اللغة العربية، فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم»[4].

ومن هنا فقد كان لفتح مدرسة في نظر الفرنسيين «أخطر من فتح مصنع لإنتاج الأسلحة والذخائر استعدادا للثورة، وأخطر من فتح محششة يدار فيها الأفيون والكوكايين وبقية السموم»[5].

ولترسيخ الثقافة الغربية في الجزائر مارست فرنسا القمع والقهر والتسلط السياسي والقانوني لإدماج الشعب الجزائري في الحضارة الغربية وزعزعة روحه المعنوية «فهي لا تسمح بفتح مدرسة قرآنية إلا بالحصول على رخصة، وبشرط تدريس القرآن فقط، ومنع تعليم الأدب العربي والتاريخ، كما عملت على اضطهاد رجال الدين والعلم، وعملت على استبدال العقيدة الإسلامية بالعقيدة المسيحية، والقضاء على اللغة العربية التي تمثل عنصر التلاحم والتماسك، وبالتالي تفكيك شخصية الأمة» [6].

وقد سخروا الآلة التشريعية في هذا الصدد، فكانت القرارات والمراسيم تتهاطل بلا انقطاع، ومنها المرسوم الصادر في 18 أكتوبر 1892م الذي يمنع على المدارس القرآنية استقبال التلاميذ أثناء ساعات الدراسة اليومية للمدارس الفرنسية، وفرض تقديم رخص فتح المدارس العربية، والتي في الغالب ترفض أو لا يحصل أصحابها على الرد إطلاقا، ثم أتبع هذا القرار بقرار ثان سنة 1904م يؤكد الأول[7].

وما أكثر معلمي اللغة العربية الذين حوكموا أو غرموا وسجنوا مع اللصوص والمجرمين على حد سواء بتهمة "التعليم الحر"، صوّر ذلك المشهد الفضيل الورتيلاني قائلا:« فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق

---

1 – علي مراد، **الحركة الإصلاحية الإسلامية (1925م–1940م)**، تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص37.

2 – أحمد محساس، "التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية"، **مجلة الثقافة**، العدد 85، جانفي– فيفري 1985م، ص57.

3 – حسن عبد الرحمان سلوادي، **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2017م، ص28.

4 – **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، جم، تق، أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1997، ج1، ص07.

5 – الفضيل الورتيلاني، مصدر سابق، ص97.

6 – عبد الحفيظ مقدم، "الحرب النفسية والاستعمار الفرنسي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع10 ، جامعة الجزائر، 1997م، ص154.

7 – أحمد الخطيب، **جمعية العلماء الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص63.

فيها معلمو اللغة العربية في موكب اللصوص والقتلة والمجرمين لمحاكمتهم على صعيد واحد، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين بعض القتلة واللصوص ولكن ما جربت يوما أن تنال معلم اللغة العربية أبدا»[1].

وأما بالنسبة للتعليم في المدارس الفرنسية، فقد سمحت فرنسا لفئة قليلة من الجزائريين بارتياد تلك المدارس على غرار أبناء الجالية الأوربية، لحاجتها الشديدة لخلق نخبة ثقافية وسياسية مفرنسة، تستعملها كأداة هدم لمقومات الشخصية الجزائرية، ولحاجتها إليها في تولي بعض المناصب الإدارية التي يتطلب شغلها أبناء الأهالي، لكن في حدود ضيقة خوفا من أن يتحول المتعلم الجزائري المفرنس إلى سلاح ضد فرنسا ذاتها، فلسان حالهم يقول: «إذا عم التعليم بين الأهالي فإن صوتهم الموحد، سيكون الجزائر للعرب» [2].

فكانت هذه المدارس التي تستقبل في صفوفها بعض الجزائريين تقدم لهم تعليما يمجد كل ما هو فرنسي حضارة وثقافة وجغرافية، ويمقت كل ما هو عربي وجزائري، وفق منهج تربوي محكم يحاول تنشئة أجيال جزائرية مقطوعة الصلة بمقوماتها وجذور تراثها، ليجعل في النهاية هؤلاء المتعلمين المفرنسيين يرددون بصوت مرتفع: «أجدادنا هم القولوا–سكان فرنسا الأقدمون– الرومان هذبونا ومدنونا، أكبر رجالنا نابليون بونابرت، قديستنا القومية جان دارك» [3].

أما الظروف التي كانوا يتعلمون فيها فهي غير مناسبة تماما، عدد محدود للحجرات الدراسية التي تعرف اكتظاظا كبيرا، وتعمد في اختيار أضعف المعلمين، وفارق شاسع في الميزانية المخصصة لهم، مقارنة مع نظيراتها التي تخصص لأبناء الأوربيين، وهذا ما يفسر انخفاض نسبة التمدرس خاصة في الأرياف، إذ كان يلتحق بالمدرسة الفرنسية طفل جزائري واحد من بين خمسين أو سبعين طفلا وصلوا إلى سن التمدرس[4].

أما بالنسبة للتعليم العالي، فلم يكن مفتوحا إلا في وجه أبناء الأعيان المتعاونين مع السلطات الاستعمارية، ولذلك فإن نسبة الطلبة الجزائريين كانت لا تزيد عن 15/1 من مجموع الطلبة الجامعيين[5].

وفي زيارة للجزائر مطلع القرن العشرين، لخص الزعيم المصري محمد فريد الحالة الثقافية التي آلت إليها البلاد والتعليم بالخصوص بالقول: «أصبحت وليس فيها من المدرسين في الجوامع إلا ما يعد على الأصابع، وقل الطالب والمطلوب، وهجرت ربوع العلم، وخربت دور الكتب وصارت الديار مرتعا للجهلاء، وكادت تندرس اللغة العربية الفصحى، وباختصار فحالة التعليم بالقطر الجزائري سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما تندرس اللغة العربية مع مرور الزمن فلا حكومة تسعى في

1 – الفضيل الورتلاني، المصدر السابق، ص97.

2 – أحمد توفيق المدني، "أفضع جرائم الاستعمار"، **البصائر**، ع 267، 1994.

3 – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح(1925م–1954م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.ط، ج2، ص32.

4 – أحمد محساس، المرجع السابق، ص73.

5 – المرجع نفسه، ص67.

حفظها، ولا تدع الأهالي يؤلفون جمعيات لفتح المدارس لمنعها أي اجتماع خوفا من أن تشتغل جمعياتهم بالأمور السياسية»[1].

لقد أدركت فرنسا أن التعليم عموما وانتشار اللغة العربية بالخصوص في صفوف الجزائريين، وما تحمله من دلالات وثقل تراثي أصيل، تمثل خطرا على وجودها الاستيطاني في الجزائر، لكن في المقابل كانت في حاجة ماسة لفهم عقول الجزائريين، وطريقة تفكيرهم حتى يمكنها من إحكام القبضة عليهم، فهذا برسيون(Bresson) المتصرف المدني سنة 1836م، يكتب إلى المفتش العام للتعليم قائلا: «إن مهمة فرنسا في الجزائر تتوقف على دراسة اللغة العربية والتوسع فيها من أجل التعرف على الأهالي والاتصال بهم»، ويقول المستشرق أوغست كور (Auguste Cour):«إن العربية يمكن أن تقدم لفرنسا فوائد لأنها كانت لغة الحديث منذ قرون...العربية لن تمكن الفرنسيين من فهم الذين يحكمونهم فقط ولكن ستمكنهم من تذويقهم طعم الحضارة الفرنسية»، وتوسع "كور" في هذا المعنى قائلا: «إن دراسة أدب الجزائريين سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في مختلف العلوم، ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم»[2].

فالأمران بالنسبة للمستعمر الفرنسي أحلاهما مر؛ كرههم لكل ما يمت بالصلة للتراث العربي الإسلامي والعمل على القضاء عليه أو طمسه والتضييق عليه، وفي نفس الوقت الحاجة الملحة إلى معرفة لغة القوم حتى يسهل عليها حكمهم والسيطرة عليهم.

لقد فهم الفرنسيون أن حاجاتهم الإدارية والاجتماعية لا يمكن أن تلبى إلا باستعمال اللغة العربية، فكانت لهم محاولتان؛ الأولى بإهمال تدريس العربية في المدارس والمؤسسات الإسلامية وذلك بقطع مصادر الوقف عنها كما ذكرنا سابقا، والثانية بالاكتفاء بتدريس العربية الدارجة لضباط الجيش والراغبين في العمل الإداري من الفرنسيين، بالإضافة إلى عناية بعض الفرنسيين بتعليم اللغة العربية الفصحى، وقد أولوها الأهمية من عدة نواحي: سياسية وتجارية وعلمية. ترجموا من تراثها الكثير، ولا سيما فئة المستشرقين أمثال: "فانيان" و"باصييه" و"ماسينيون" مستعينين ببعض الجزائريين في هذا المجال من بينهم: محمد بن أبي شنب، والحفناوي بن الشيخ، وعبد الحليم بن سماية، ومحمود كحول، وأبا يعلي الزواوي[3].

لم يقف الأمر عند حد التعليم والمؤسسات التعليمية، بل تعداه إلى الاستيلاء على المكتبات العمومية، حيث اختفت مكتبات كاملة مثل مكتبة الجامع الكبير بالعاصمة التي كانت في العهد العثماني أغنى المكتبات، ومكتبة الأمير عبد القادر الذي كان يقتفي آثاره الجيش الفرنسي في الصحراء بأوراق كتب مكتبته المبعثرة[4].

1 – حسن عبد الرحمان سلوادي، المرجع السابق، ص30.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1998، ج8، ص ص 17–18.

3 – المرجع نفسه، ص ص14–15.

4 – رابح تركي، المرجع السابق، ص94.

أما فيما يتعلق بالإعلام والصحافة، فقد عرفت الجزائر مطلع القرن العشرين بوادر ظهور صحافة عربية ذات مشروع نهضوي، فكانت جريدة "الجزائر" التي أسسها الفنان عمر راسم سنة 1908م، ولكنها لم تدم طويلا، صدرت بعدها جريدة "الحق الوهراني" سنة 1911م، ثم تلتها جريدة "الفاروق" سنة 1913م لعمر بن قدور وكان شعارها "قلمي لساني ثلاثة بفؤادي***ديني ووجداني وحب بلادي".

ومن الصحف كذلك نجد "المغرب"(1903-1913) وهي جريدة أسبوعية ذات اتجاه إصلاحي، لصاحبها بير فونتانا(Fontana Pear) ، وقد كتب فيها عدة شيوخ من بينهم: عبد القادر المجاوي، والمولود بن الموهوب وغيرهما، ويقال أن "محمد عبده" قال عنها بعد زيارته للجزائر:«رغم أخطائها إلا أنها كانت مفيدة للجزائريين الذين جردوا من الصحافة العربية الوطنية»[1].

إن ظهور صحافة جزائرية إصلاحية باللغة العربية في تلك الفترة، كان يعرضها دوما إلى التوقيف أو المصادرة، بالإضافة إلى ما تعانيه من مشكل التمويل، والرقابة الشديدة من طرف سلطات الإدارية الاستعمارية، والتي كانت تبرر ذلك بحجة تهديدها للأمن العام.

وفي مجمل القول فإن موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر تجلى في ثلاث مظاهر كبرى:

- الفرنسة ومحاولة طمس الهوية العربية الإسلامية للأمة الجزائرية، وإحلال محلها الهوية الفرنسية من خلال محاربة التعليم واللغة العربية والعلوم الإسلامية.

- تدمير البنى التحتية لمظاهر الإسلام المتمثلة أساسا في المساجد والزوايا والأوقاف، وضرب الركائز المتينة الضامنة لاستمرار الشعائر الإسلامية، وبالمقابل تكثيف الدعاية التبشيرية التي تهدف إلى نشر المسيحية بطرق ملتوية ولا أخلاقية.

- محاربة التعليم وكل ما يمت بصلة للتراث العربي الإسلامي، والاستيلاء على المكتبات ومصادرة المؤلفات، وتدجين الصحافة.

رغم محاولات فرنسا لترسيخ الثقافة الغربية غير أن الشعب الجزائري لم يستسلم وقاوم للحفاظ على تراثه الثقافي العربي الإسلامي، ويمكن القول أن الاستعمار استطاع نشر اللسان الفرنسي في إطار محدود، لكنه لم يستطع القضاء على ثوابت الأمة الجزائرية من عقيدة إسلامية ولغة عربية التي ظلت قائمة، فالشعب الجزائري أيقن أن المقاومة الاستعمارية لا تكون فقط بالسلاح وإنما بالحفاظ على مقومات الأمة عن طريق نشر العلم ومقاومة الجهل والحفاظ على التراث.

1 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ط4، ج2، المرجع السابق، ص ص155-157.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في تونس.

عندما احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م، كانت تتطلع لاحتلال جل بلاد المغرب العربي ضمن أطماعها التوسعية الكبرى، وراحت تنتظر الفرصة المناسبة لتحقيق تلك الأطماع التوسعية، ولخوفها من الدور الذي ستلعبه تونس باعتبارها قاعدة خلفية لانطلاق حركة ثورية محتملة قد تهدد وجودها بالجزائر، «قررت سياستها الاستعمارية وجوب السعي إلى إضافة المملكة التونسية إلى أختها»[1]، ساعدها في ذلك ما كانت عليه البلاد التونسية من تدهور في العديد من المجالات.

المطلب الأول: أوضاع تونس السياسية خلال فترة الاحتلال.

مهدت فرنسا لحملتها على تونس بإثارة المشاكل بين القبائل التي تسكن الحدود الجزائرية التونسية، على نحو يظهر أن أمر القبائل التونسية غير خاضعة لسلطة الباي، وأن اعتداءاتها قد تكررت على القرى الجزائرية دون تدخل منه[2].

وقد حدث أن عبرت مجموعة من قبيلة بنو خمير التونسية الحدود الجزائرية في 16 فيفري 1881م واقترفت بعض أعمال السرقة والنهب، إضافة إلى حدوث مناوشات حدودية يومي 30 و31 مارس 1881م بين جنود فرنسيين وبعض التونسيين من قبائل خمير، لتتسرب كتيبة تضم 35000 جنديا فرنسيا من الجزائر إلى البلاد التونسية بقيادة الجنرال لوجيرو(Logerot) يوم 24 أفريل 1881م كانت طليعة القوات المحتلة لتونس[3].

كتبت جريدة لنتيرن(La lanterne) يوم 06 أفريل 1881م عن تلك المناوشات في الحدود الجزائرية التونسية، وشحن الرأي العام الداخلي الفرنسي ما يلي: «لقد سفك دم الجنود الفرنسيين على يد عصابات لصوص قاموا بغزو أراضينا، واعتدوا على قبائل تحت حمايتنا، يجب أن ننتقم للدم الذي سفك ونعاقب الذين تسببوا في إهانتنا يجب أن نأخذ جميع الاحتياطات الضرورية لحماية أراضينا الجزائرية، فهي ليست جزءا فقط من الأرض الأم، ولكن هي أرض فرنسية»[4].

اتهمت فرنسا الباي التونسي بأنه هو الذي حرض تلك القبائل على القيام باعتداءاتها على القبائل الجزائرية، وبناء على ذلك فان التهمة وجهت مباشرة للباي[5]؛ أي عليه تحمل مسؤولية ما يحدث من غزو، وهذا ما

---

1 – محمد الفاضل ابن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس(في القرنين 13–14هـ/19–20م)**، مر، فه، محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج– تونس، 2009، ص 158.

2 - Jean François Martin, **Histoire de la Tunisie de Ferry à Bourguiba 1881–1956**, éd, L'Harmattan, France, 2003, p34.

3 – علي المحجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع، عمر ضو وآخرون، سراس للنشر، 1986م، ص 44.

4 - Mohamed Faroua , **La gouche en France et la colonisation de la Tunisie (1881–1914)**, éd, L'Harmattan, France, 2003, p40.

5 - ibid, p41.

قامت به فرنسا عند غزو الجزائر وتذرعها بقضية المروحة التي تسبب فيها الداي حسين مع القنصل الفرنسي دوفال(Duval).

ومن ناحية أخرى أرسلت فرقة من الأسطول الفرنسي إلى ميناء بنزرت وأنزلت به 8000جندي بقيادة الجنرال بريبار(Bréart)، اتجهوا نحو العاصمة التونسية مباشرة، حيث تم محاصرة باردو أين يوجد مقر إقامة محمد الصادق باي[1].

لجأ الباي محمد الصادق إلى إرسال برقيات إلى السلطان العثماني، والدول الأوربية الموقعة على معاهدة برلين، طالبا منها التوسط بينه وبين فرنسا آملا من الدول الأوربية التدخل إلى جانبه وأن يرسل السلطان العثماني أسطوله لحماية تونس، وأعطى الباي الأوامر لجيشه بالتراجع أمام الجيوش الفرنسية وعدم مواجهتها[2].

لقد كان من نتائج هذه الحملة العسكرية احتلال فرنسا للبلاد التونسية وفرض حمايتها عليها، وقد اعترف محمد الصادق باي بنظام الحماية تحت الضغط والتهديد، ووقع على معاهدة باردو[3] التي عرضها عليه الجنرال بريبار(Bréart) غداة حصاره للقصر السعيد وذلك في 12 جمادى الثانية 1298هـ/ 12 ماي 1881م.

كان إخضاع تونس تحت الإدارة الفرنسية تدريجيا بعد استكمال السيطرة على كامل البلاد. وبعد وفاة محمد الصادق باي في أكتوبر 1882م، اعتمد الفرنسيون على ما عرف باتفاقية المرسى التي عقدت في 08 جوان 1883م مع الباي علي بن حسين، وبموجبها تصبح فرنسا تدير الشؤون الداخلية للبلاد التونسية كما تشاء[4]، فضلا على شؤونها الخارجية.

وإذا رجعنا إلى المادة الثالثة لمعاهدة الحماية الصادرة في 12 ماي 1881م التي تنص على: أن حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد بأن تمد يد العون الدائمة لدعم سمو باي تونس ضد أي خطر يتهدد شخص أو سلامة سموه أو يعكر أمن ممتلكاته. هذا النص إذا جمعناه مع المادة الأولى من معاهدة الثامن من جوان 1883م التي تقضي بأن: يتعهد باي تونس من أجل تسهيل مهمة الحكومة الفرنسية بتحقيق الحماية، بإجراء الإصلاحات الإدارية والقضائية والمالية التي ترى ضرورتها الحكومة الفرنسية[5]. نجد أن الدولة التونسية وحقها العام قد حطما نهائيا برغم وجود الزعم بالمحافظة على كيانها.

---

1 – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، تق، تح، حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015، ص 151.

2 – عبد الرحمان تشايجي، **المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1881–1913)**، تر، عبد الجليل التميمي، دار الكتب المشرقية، تونس، 1973، ص126.

3 – نصت **"معاهدة باردو"** على أن الوجود الفرنسي بتونس مؤقت، وأن القوات الفرنسية سوف تحتل فقط جهات على الحدود والسواحل لتوطيد الأمن، وأن هذه القوات سوف تخرج من تونس عندما تكون السلطة التونسية قادرة على فرض الأمن والنظام، وأن فرنسا ملزمة بحماية الباي وأسرته، وسينوب عن فرنسا وزير مقيم يراقب تنفيذ ما تضمنته المعاهدة. ينظر، علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص152-153-154.

4 – ينظر، أحمد القصاب، **تاريخ تونس المعاصر (1881–1956)**، تع، حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج– تونس، 1986، ص ص 19-23.

5 – عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر، تق، سامي الجندي، دار القدس، بيروت– لبنان، 1975م، ص 33.

لم يرض الشعب التونسي أن تحتل فرنسا بلاده تحت أي شكل من أشكال الاستعمار، سواء باسم الحماية أو غيرها، فقد أعلنت القبائل التونسية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، حيث برز زعماء شعبيون في كل منطقة، على غرار الشيخ محمد السنوسي وعلي بن خليفة النفاتي والشيخ المكي بن عزوز الجزائري وغيرهم كثير. وما شجعهم على ذلك هو اتصال رسول السلطان العثماني بالمقاومة، وأعلمهم برفض المعاهدة «إن الباب العالي احتج بصورة قطعية وحازمة ضد هاته المعاهدة وأن هذه المعاهدة لاغيه ولا شرعية لها»[1].

رغم تصاعد عمليات الكفاح المسلح بعد عام 1883م، إلا أن المقاومة الشعبية لم تستطع الصمود أمام القوات الفرنسية لعدم تكافؤ الطرفين وحاجة المقاومة إلى السلاح إضافة إلى تعدد القيادات وعدم وجود خطة موحدة للكفاح، كما أثر الباي وأعوانه تأثيرا سلبيا على المقاومة المسلحة بوقوفهم إلى جانب المستعمرين[2].

أما الحركة الوطنية التونسية التي نشأت في الأعوام التي أعقبت انتصاب الحماية، فقد تصدت من جانبها للسياسة الفرنسية، فتأسست حركة الشباب التونسي(Les Jeunes Tunisiens) في شهر فيفري 1907م، على يد علي باش حانبه، وكان عبد العزيز الثعالبي من النشطين البارزين فيها، كما شهدت تونس حركات احتجاجية ومطلبية، ومن ذلك ما طرحه حزب التقدم التونسي الذي دعا إلى ضرورة مشاركة التونسيين في حكم بلادهم، دون أن يمس ذلك أساس نظام الحماية، وقد تزعم علي باش حانبه، وأحمد الصافي المؤتمر الشعبي سنة 1910م لمناهضة تجنيس اليهود، وتوسيع دائرة حقوقهم[3].

كما قام في نفس السنة طلبة جامع الزيتونة بمظاهرات وإضرابات مطالبين بإصلاح التعليم الزيتوني، فوجدوا مساندة قوية من النخبة التونسية التي كان جل روادها من خرجي الجامعات الأوربية، إلا أنهم انسجموا مع كل الطبقات الشعبية وشرائحه، وخلقوا بذلك رأيا عاما موحدا [4].

وقد لعبت الحركة الوطنية التونسية دورا مهما في الوقوف ضد الغزو الإيطالي لليبيا سنة 1911م، وتحريض المواطنين على التصدي لانتهاكات الإدارة لحرمة مقبرة الزلاج في 07 نوفمبر 1911م خلال مد خط للترام الكهربائي، مما خلف ردود فعل غاضبة واجهتها الشرطة الفرنسية بعنف[5].

وباندلاع الحرب العالمية الأولى، أعلنت حالة الحصار والأحكام العرفية العسكرية في البلاد التونسية، فأغلقت النوادي ومنعت الاجتماعات، وتوقف كل نشاط وطني بسبب سجن زعماء الحركة الوطنية أو إبعادهم،

1 – عبد الرحمان تشايجي، المرجع السابق، ص134.

2 –ينظر، علي المحجوبي، المرجع السابق، ص ص103–104.

3 – ينظر، الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص ص40–45.

4 – ينظر، علي الزيدي، **الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904–1945**، دار نهى، صفاقس–تونس، مارس 2007.

5 – جمال هاشم الذويب، محمد حسين الزبيدي، **الموجز في التاريخ العربي**، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس– ليبيا، 1997، ص 376.

ومع ذلك فإن المقاومة العسكرية لم تخمد كليا، ففي الجنوب كانت المجموعات الجهادية تتنقل بسهولة عبر الحدود مع ليبيا، وفي الصحراء الجزائرية[1].

أسفرت الحرب العالمية الأولى عن تبلور توجهات الحركة الوطنية التونسية على شكل أحزاب سياسية منظمة متعددة، وقد كان لتطور الأوضاع الدولية دورا في تغذية جرأة المناضلين الوطنيين كي يحددوا مطالبهم الجديدة للحكومة الفرنسية، خاصة أن العالم كان يتطلع إلى السلام والحرية وفق الأسس التي نادى بها الرئيس الأمريكي "وورد ولسن"(البنود الأربعة عشر) والتي انعقد عليها مؤتمر فرساي شهر أفريل 1919م[2].

أمام هذا الوضع قررت النخبة التونسية إيفاد أحمد السقا إلى مؤتمر الصلح ليعمل على نشر القضية التونسية أواخر سنة 1918م، ثم لحق به في شهر جوان 1919م الشيخ عبد العزيز الثعالبي، ولما لم يجدا ما كان يأملانه من مؤتمر الصلح، توجه الثعالبي إلى إثارة الرأي العام الأوربي عموما والرأي الفرنسي خصوصا بحقيقة القضية التونسية فنشر كتابه تونس الشهيدة سنة 1920م[3] ، مما دعم الوعي وعمقه في أوساط الشعب التونسي، فانبعث الحزب الدستوري الحر في 14 مارس 1920م من طرف أنصار عبد العزيز الثعالبي، وهو أول حزب سياسي جماهيري مهيكل أظهر قدرة على تجنيد الشعب في العديد من المناسبات.

إلا أن هذا الحزب أخذت تحيط به المشاكل، وتقلص دوره التاريخي، وانقسم إلى جناحين متصارعين في مؤتمر قصر هلال 02 مارس 1934م[4]، بتفجر الصراع بينهما حول قضية الإصلاحات، لترجح الكفة في نهاية المطاف إلى التيار الجديد بزعامة الحبيب بورقيبة الذي تبنى سياسة المراحل المعروفة بخذ وطالب إلى غاية حصول تونس على الاستقلال سنة 1956م.

المطلب الثاني: الواقع الاقتصادي والاجتماعي لتونس.

وقوع تونس تحت نظام الحماية كشكل مقنع من أشكال الاستعمار، أدى إلى ضعضعة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية القديمة بها، وصاحبه استحواذ وسيطرة على مصادر الثروات، وانعكاسات سلبية على أصحاب الأرض الشرعيين، يصف تلك الأوضاع المقيم العام الفرنسي في تونس "غبريال آلابتيت- Gabriel Alapetite" مطلع القرن العشرين بقوله: «بلاد يفترش الفلاحون فيها الأرض، ويخربشون أديمها بمحاريث

1 – شارل روبير أجرون، **إفريقيا الشمالية تسير(القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر، المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976، ص ص 88-89.

2 – محمد الفاضل ابن عاشور، المصدر السابق، ص 158.

3 – شكل هذا الكتاب لحظة فارقة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، حيث لخص همومها ومطالبها بشكل متكامل، وكنتيجة لذلك رفع الحجر على الصحافة العربية التونسية، وألغي قرار التعطيل في شهر مارس 1920م.

4 – محمد السعيد عقيب، **الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934–1956م**، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية، 2010/2009م، ص 127

خشبية، ولا تتجاوز كنوزهم بعض الخرفان، ورغم ذلك يدفعون الأداء الفردي، وهو ضريبة لا يمكن إلا أن يثور عليها أكثر الفلاحين الفرنسيين ثروة»[1].

لقد بنيت الإستراتيجية الكولونيالية على مصادرة الأراضي وتهجير أصحابها، فكان انتزاع الأراضي وفقا للقانون العقاري الصادر سنة 1885م، وقانون 1890م والسماح بتحويل الأملاك العامة إلى أملاك للمستوطنين، وهذه السياسة قائمة على الاستيلاء ونهب أكبر مساحة من الأراضي تدخل في إطار المنافسة الفرنسية الإيطالية، إذ ترمي إلى تركيز جالية فرنسية هامة بالبلاد التونسية، لمناهضة أطماع إيطاليا في تونس.

فالملاحظ أنه ومنذ البداية الأولى للاحتلال كانت القوانين تصدر من طرف الدولة المستعمرة لصالح الفلاحين الفرنسيين، فتكونت برجوازية فلاحية كبيرة، تتشكل كلها من المعمرين الفرنسيين، أو من الأوربيين بدرجة ثانية، هذه البرجوازية امتلكت آلاف الهكتارات، فقد كان كل مزارع أوربي يمتلك 250 هكتارا بينما لا تمتلك كل أسرة تونسية سوى 6 هكتارات[2].

أما الصناعة فهي كغيرها من القطاعات التي تحت سيطرة الأوربيين الذين يمتلكون الوسائل ورؤوس الأموال، ويحظون بمساعدة الإدارة الاستعمارية، ولم يكن يتاح للتونسيين الاشتغال بالصناعة إلا بصفة ضيقة، ويقتصر في غالب الأحيان على الصناعة التقليدية والتي لا أهمية لدورها في مجموع النشاط الاقتصادي.

وقد أدى توافد الأوربيون بكثرة على البلاد التونسية تحت دعم سلطة الحماية، وسيطرتهم على مفاصل الاقتصاد إلى تحول ثروات البلاد إلى هؤلاء الأجانب على حساب السكان التونسيين، فبرزت تناقضات بين طبقات المجتمع من خلال التفاوت الكبير في التملك ورؤوس الأموال. يصف الطاهر الحداد حياة الشعب التونسي خلال تلك الحقبة بالقول: «ما أخطر وأتعس الحياة التي نقطعها اليوم...فلا ترى إلا وجوها مصفرة تعلوها كآبة خرساء...وثيابا بالية ومرقعة بكل الألوان، وأكثرهم متسولون»[3].

والواقع أن السياسة الفرنسية جعلت السكان طبقة كادحة، ويدا عاملة رخيصة لكثير من القطاعات كالفلاحة والمناجم والنقل، شأنهم في ذلك شأن العبيد في العهد الإقطاعي، وفي هذا الإطار نصَّ أمر 04 أفريل 1884م على أن كل من يرفض القيام بعمل التزم به مثل الخمَّاس والعامل في فترة التدريب يعاقب بالسجن من قبل المحكمة الزجرية إلى أن يقبل الوفاء بالتزاماته[4].

فالدارس للوضع الاجتماعي يلحظ الفارق الواضح بين المجتمعين التونسي والمعمرين، إذ أن التونسيين الذين يمثلون 97% لا يستفيدون سوى 25% من المدارس والتعليم، وكذا تدهور الأوضاع الصحية، فأغلب المواطنين لا يجدون مستشفيات ومستوصفات لعلاج ما يعتريهم كل يوم من الأمراض الخطيرة.

1 – مصطفى فاسي، **البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص16.

2 – مصطفى فاسي، المرجع السابق، ص18.

3 – المرجع نفسه، ص26.

4 – علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 18.

ولعل أبرز القضايا الاجتماعية التي أثارت الجدل والنقاش على صفحات المجلات وفي المنابر وضعية المرأة فيما يتعلق بتعليمها وارتدائها للحجاب، ومن بين الجرائد والمجلات التي اهتمت بقضايا المرأة جريدة الصواب، والعالم الأدبي، والنهضة وغيرها، ووسط تلك التفاعلات ألف الطاهر حداد كتابا بعنوان: امرأتنا في الشريعة والمجتمع، الذي أثار ضجة كبيرة عند نشره لآرائه الجريئة، ووقع سجال بين المحافظين المعارضين لتعليم المرأة، وخروجها إلى ميدان العمل، وبين المتنورين المطالبين بإقحامها الميدان وتخليها عن الحجاب[1].

وإجمالا فان السياسة الفرنسية أنتجت تقسيما اجتماعيا عبر عنه الشيخ عبد العزيز الثعالبي بالعرق الأعلى والعرق الأسفل، فالعرق الأعلى يمثل الطبقة المسيطرة، أما العرق الأسفل فيمثل الطبقة المضطهدة والمغلوبة على أمرها والمحرومة من جميع الحقوق.

المطلب الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية الإسلامية في تونس.

تميزت تونس قبل الحماية الفرنسية بكونها مركزا ثقافيا وحضاريا هاما، تشهد حركة علمية وأدبية متتالية الإنتاج، عريقة التاريخ، لا سيما منذ الفتح الإسلامي، ولو أن أحدا استعرض التاريخ التونسي لوجد أن البلاد كانت منذ عشرات القرون موطناً لحضارات عديدة نشأت فوق أرضها، أو بجهود أبنائها، أو جاءت عن طريق المهاجرين إليها.

فقد استقبلت معاهد تونس عبر التاريخ الطلبة التونسيين والعرب والمسلمين من عدة جهات، وأنتجت فطاحل من العلماء أمثال: ابن الجزار، وابن الشرف، وابن رشيق من نقاد الأدب، والفقيه ابن عرفة الذي مهر الحقوق بالطابع العلمي، كما أن المعجم العربي الأوسع شمولا هو من تأليف العالم التونسي ابن مغدور القفصي.[2] كما انتقلت الحضارة العربية الإسلامية من تونس إلى جميع أنحاء الشمال الإفريقي وإلى أوربا وخاصة جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا اللتان كانتا منفذا لامتداد ونشر هذه الحضارة العربية الإسلامية في جنوب أوربا والتي كانت إحدى الأسس الهامة في قيام النهضة الأوربية.

كما كان لجامع الزيتونة دورا مميزا في نشر الثقافة العربية الإسلامية، وهو إحدى القلاع الحامية للدين والسنة بإفريقيا الشمالية بأسرها[3]، وكان بحق مركزا إشعاعيا لما ضمه من مكتبة بها عشرات الآلاف من الكتب القيمة، وشهرة أساتذتها، حيث فتحت أبوابها لكل طلاب العلم والمعرفة سواء لمواصلة التعليم أو لحضور المحاضرات. وكانت أسرة هذا الجامع على إطلاع بما يجري من تطورات وتغيرات فكرية فلم تكن منعزلة عنها،

1 –ينظر، الطاهر حداد، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، تق، محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011، ص ص223 وما يليها.

2 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص ص53–54.

3 – شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**، المرجع السابق، ص ص87–88.

لذلك صدر قانون في 01نوفمبر 1842م نظم التعليم فيها ومواده ورفع أجرة المعلمين وأجبرهم على ممارسة عملهم التعليمي[1].

إن الهدف من جامع الزيتونة هو الحفاظ على تراث الأمة الثقافي، وتعليم أبناء المسلمين مالهم وما عليهم، وكان التعليم فيه ينقسم إلى فرعين هما[2]:

– **علوم الشريعة:** وتختص في تعليم تفسير القراءات والحديث والتوحيد والفقه والفرائض والكلام والتصوف.

– **العلوم الوضعية:** تختص في تعليم النحو واللغة والمعاني والبيان والأدب والشعر وآداب الحديث والمنطق والتاريخ والجغرافيا والحساب والمساحة، فالتلاميذ الذين يحرزون على شهادة التخرج منه (الشهادة العالمية) لهم الحق في الوظائف العامة.

وبعد منتصف القرن التاسع عشر ميلادي شهدت تونس بوادر نهضة ثقافية إصلاحية، قادها من يعرفون بأمراء الإصلاح وعلى رأسهم خير الدين باشا[3] ، الذي وضع أسسا ثابتة لنهضة علمية واجتماعية شاملة، كللت بإيجاد معهد الصادقية [4].

كان الهدف من تأسيس هذا المعهد هو نقل العلوم العصرية إلى تونس من أجل تحقيق نهضتها، واللحاق بالدول المتقدمة في تلك الفترة. وأدخلت إليه تعليم العلوم العصرية من رياضيات وفيزياء وكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى جانب تعليم اللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية والايطالية، وجيء بأساتذة من فرنسا وتركيا وايطاليا لأداء مهمة التعليم فيه.[5] وكللت الأعمال بوضع قانون لإصلاح التعليم وتنظيمه بالجامعة الزيتونية سنة 1876م، وإنشاء المكتبة الصادقية الملاصقة للجامع الأعظم[6].

كانت اللغة العربية هي لغة التعليم قبل الحماية، وكان جامع الزيتونة وغيره من الكتاتيب والزوايا تشتمل على الكثير من التلاميذ الذين يتلقون الثقافة العربية الإسلامية على الطريقة القديمة، وكانت كامل البلاد تعد حينها حوالي 500 مدرسة، ولا توجد قرية أو تجمع سكني هام دون أن تكون له مدرسة[7]، أين كان التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة والقواعد الأولية للغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي.

---

1 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص58.

2 – محمود بن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تق، تح، حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص ص291-292.

3 – ينظر، أحمد بن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ج4، ص231 وما بعدها. وكذلك، حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص ص138-146.

4 – **الصادقية:** أنشأها خير الدين باشا سنة 1875م على عهد الصادق باشا، وقد كانت تدرس بها لغات عديدة، وتباشر التعليم الابتدائي ثم العالي، ومن خصائصها أن تعول تلامذتها وتؤويهم ليلا بفضل ما أوقف عليها.

5 – محمود بن الخوجة، المصدر السابق، ص312.

6 – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، مرجع سابق، ص 145.

7 – خير الدين شتره، **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، ط.خ، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة-الجزائر، 2013م، ص 99.

وبعد فرض الحماية الفرنسية منذ 1881م، بدأ لون جديد من كفاح الشعب التونسي للحفاظ على تراثه الثقافي العربي الإسلامي، فقد اتجهت سياسة فرنسا التعليمية في تونس إلى محو القيم الثقافية للمجتمع، وذلك بمحاربة اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغة الفرنسية، وبتطبيق برامج خاصة لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية وحضارتها الإسلامية، وقطع الصلة مع ماضيها وتاريخها لتتمكن من إدماجها في العنصر الفرنسي[1].

وبما أن التعليم هو المحور الأساسي لنشر ونقل ثقافة المجتمع للأجيال، وإعدادهم للمستقبل عن طريق المناهج التعليمية؛ والاستعمار لا يغيب عنه هذا، حاولت فرنسا عن طريق المدارس الابتدائية الرسمية فرنسة المجتمع التونسي، ومحاربة اللغة العربية وتوجيه الثقافة التونسية حسب رؤيتها ومصلحتها، وعمل على تكريس سياسة الأمر الواقع كما فعلت في الجزائر، واستطاعت اتفاقية المرسى سنة 1883م أن تقضي على ما بقي من المؤسسات التعليمية في تونس، حيث جاء في البند الأول من هذه الاتفاقية: لما كان مراد حضرة الباي المعظم أن يسهل للحكومة الفرنساوية إتمام حمايتها، تكفل بإجراء الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية[2]، ومنح للمحتل حق الإشراف على إدارة وتسيير المال العمومي، ومسؤولية التوجيه المعنوي للمجتمع التونسي، وبناء على هذه الاتفاقية تعرض التعليم والثقافة في تونس إلى محاولة التحريف والتزييف، وأول عمل قامت به حكومة الاستعمار في هذا المجال هو توقيف تمويل المدارس العربية(التعليم العربي)، الذي وجد نفسه مضطرا للاعتماد على المؤسسات الخيرية ومساعدات أولياء التلاميذ.

وتكملة لهذه السياسة، عمل المقيم العام الفرنسي بول كمبون(Poul Cambon) على تدعيم نظام الحماية بتونس بأحدث إدارة للعلوم والمعارف تولاها المستعرب ماشويل(Machuel) مدرس اللغة العربية بوهران، وهنا يبدأ الدور الثاني لمعهد الصادقية حيث وضع له برنامجا يتماشى مع المناهج التربوية الفرنسية، وألغي تعليم اللغتين التركية والإيطالية، فاسحا المجال بذلك لهيمنة اللغة الفرنسية على جميع المواد الدراسية فيه[3].

اصطدمت سياسة التحديث!! التي أدخلت على معهد الصادقية بمعارضة شديدة من التونسيين والمستوطنين الذين عارضوا تعليم التونسيين تعليما عصريا، لأنهم رأوا بأن ذلك سيؤدي إلى منافستهم في المجالات الفكرية خاصة والتقنية، ولأنه يجعلهم واعين بواقعهم، ولذلك أصدرت سلطة الحماية سنة 1908م توصية تطلب بتوجيه التعليم في تونس كلها، وحتى في المدارس الخاصة إلى التعليم المهني الفلاحي، والهدف من ذلك واضح، وهو تكوين اليد العاملة المختصة لكي يستفيد منها المستوطنون، وهذا ما قام به الاستعمار الفرنسي بالضبط في الجزائر

1 – ينظر، الحبيب تامر، **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، د.م.ط، د.س.ط، ص 56.

2 – علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 155.

3 – محمود بن الخوجة، المصدر نفسه، ص ص312-317.

فقد كان شعار المدرسة الفرنسية الأهلية: تعليم من أجل التطبيق، المعلم لا يعلم التلاميذ لاكتساب المعرفة، ولكن يعلمهم للعمل[1].

وهكذا انحرف دور المعهد الصادقي من مؤسسة تهدف إلى تكوين الإطارات التونسية، فأصبح محصورا في تكوين المترجمين غير الأكفاء لصالح الشرطة أو موظفين من الدرجة الدنيا، وانتقل التعليم فيه من المعلمين التونسيين باللغة العربية إلى المعلمين الفرنسيين الذين عوضوا المعلمين التونسيين، باستثناء بعض المواد التي تركت لشيوخ الزيتونة كالعلوم الشرعية والتاريخ الإسلامي.

وما كان لسكان المدن إلا أن يلجئوا إلى تنظيم دروس خصوصية لأبنائهم الذين لا يدرسون اللغة العربية في المدارس الرسمية، أما الأغلبية العظمى من الشعب التونسي والذين ليست لهم الإمكانيات لذلك فإنهم اكتفوا بالكتاتيب التي ورثوها عن الأجداد، ففي نهاية القرن 19م كانت الكتاتيب وحدها تضم حوالي 23000 تلميذا، وجامع الزيتونة يضم حوالي 800 طالب[2].

وأمام رفض المجتمع التونسي لتلك السياسات، سمح الاستعمار للتونسيين بإنشاء مدرسة للتعليم العربي الفرنسي وهي المدرسة الخلدونية[3] سنة 1896م، ولكنها لم تكن هي الأخرى تتلقى التمويل من الحكومة بل كانت تعتمد على إمكانياتها، ولذلك لم تستطع الاستمرار في عملها التربوي التعليمي، فتعرضت أحوالها إلى التدهور، وهذا ربما ما كانت تنتظره سلطات الاستعمار، فلجأت الحكومة إلى إلحاق بعض صفوفها العربية بالمدارس الابتدائية الرسمية، وجعلت تدريس اللغة العربية فيها اختياريا، ولم يكن التلاميذ يمتحنون فيها.

إن هذه السياسة ترمي بوضوح إلى الحط من اللغة العربية وقيم تونس الإسلامية، فالاستعمار بعد أن فرض سلطته السياسية على تونس لجأ إلى فرض لغة الفرنسيين ومناهجها الفكرية والثقافية، لذلك تمكنت اللغة الفرنسية من الانتشار في تونس بتسخير مجهودات مؤلفين وأساتذة ومؤرخين وباحثين فرنسيين[4].

ومع بداية القرن العشرين(20م)، أخذت وضعية التعليم تتأزم بسبب سياسة الحكومة الفرنسية، ووقوف المعمرين في وجه أي تعليم وبأي لغة كانت حتى تعليم الكتاتيب، ونتيجة لتلك السياسة فقد قل عدد التلاميذ من 4958 تلميذا سنة 1897م إلى 2627 تلميذا سنة 1904م، وهذا بعد ما تم إغلاق عشر مدارس[5].

---

1 - Charles Robert Ageron, **Les Algériens musulmans et la France(1871-1919)**, T2, P.E.F, Paris, 1968, p924.

2 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص ص 57-68.

3 – **الخلدونية:** كان تأسيسها في عهد المقيم الفرنسي "ريني ميلي"(1894م-1900م)، أسسها البشير صفر برفقة الشيوخ: سالم بوحاجب، وعمر الشيخ، وأحمد كريم، وأقيم حفل التأسيس في 15 مارس 1897م، وينقسم التعليم بهذه المدرسة إلى ثلاث أقسام: ابتدائي، ثانوي، عالي.

4 – أنور الجندي، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص146.

5 – شارل أندري جوليان، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تع، محمد مزالي، البشير سلامة، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م، ص08.

وهكذا، طالب التونسيون بتعليم علمي وأخلاقي وروحي، فمنحتهم فرنسا المدرسة الابتدائية التي غرست في نفوس الأطفال احتقار تراث الأجداد والتاريخ الوطني، إلى جانب حشو أدمغة الأطفال بمعلومات خاطئة ومزيفة عن كل ما هو تونسي أو عربي إسلامي، كما عملت على مهاجمة الزيتونة باعتبارها مصدر المقاومة[1].

وعلى مستوى آخر فإن الثلث الأول للقرن العشرين بالنسبة للتونسيين كان خصبا في جانب الصحافة خاصة بعد الزيارة الأولى للشيخ محمد عبده، فتأسست جريدة الرائد التونسي، رائدة الصحافة في تونس، ثم تليها جريدة الزهراء الصادرة سنة 1886م ، ثم المنظر و سبيل الرشاد، وقد كانت تلك الجرائد تحت رقابة سلطات الاحتلال، إذ عطلت جريدة الزهراء سنة 1896م بعد مهاجمتها للإدارة ورجالها[2].

ولتحجيم دور تلك الجرائد أكثر أصدرت السلطات الاستعمارية جملة من القرارات الإدارية الجائرة في حق الصحافة مثل: مرسوم سنة 1897م والذي يقضي بأن يدفع كل مستفيد من إصدار صحيفة ضمانا ماليا كبيرا، وهو ما كان كافيا لأن تحتجب صحف كثيرة وتتعطل عن الصدور، لتأتي بعد ذلك الأحكام العرفية التي أصبحت منذ سنة 1911م هي الحالة الطبيعية في تونس وعلقت معها كل المطبوعات التونسية[3].

ومجمل القول، لم يكتف الاستعمار الفرنسي في تونس كما في الجزائر بقواته العسكرية فقط لفرض سيطرته وهيمنته، وإنما رجع إلى سلاح أخطر بكثير من جيوشه ألا وهو تشويه الثقافة العربية الإسلامية، ورأى أن ذلك لا يتم له إلا عن طريق تعليم الجزائريين والتونسيين تعليما بسيطا باللغة الفرنسية، وجعلهم أداة في خدمته، لذلك شوه التاريخ العربي الإسلامي، وحارب اللغة العربية وجعلها لغة أجنبية في عقر دارها، وحارب الدين الإسلامي والعادات والتقاليد فشجع الرديء منها بكل ما يملك من طاقة ووقف ضد كل ما هو إيجابي منها.

في تلك الظروف عاش محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، وأمثالهما من النخبة المثقفة سواء باللغة العربية أو الفرنسية، حيث وجدوا أمامهم استعمارا عنصريا لا يقيم للإنسان المستعمر، ولا تراثه الثقافي الضارب في عمق التاريخ وزنا.

المبحث الثالث: مفهوم التراث العربي الإسلامي وأهميته.

يعد التراث لبنة أساسية في تركيبة المجتمعات البشرية، فهو يوثق عراقة حضارتها، وما أنجزته في شتى العلوم والمعارف، وما جادت به على الإنسانية من سلوكات ارتقت بالبشرية من الدونية إلى التكريم الذي خص الله به بني آدم، مصداقا لقوله تعالى:"ولقد كرمنا بني آدم"[4].

ولهذا عُني التراث باهتمام الباحثين والدارسين قديما وحديثا، واجتهدوا في وضع تعاريف له.

1 – أنور الجندي، المرجع السابق، ص140.

2 – ينظر، اللولب حبيب حسن، **دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف جمال قنان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم 2000م/2001م.

3 – عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 41.

4 – سورة الإسراء، الآية 70.

المطلب الأول: مفهوم التراث.

1- تعريف التراث لغة: تُجمع معاجم اللغة العربية[1] على أن كلمة تراث مشتقة من الفعل الثلاثي "ورث"، بإبدال الواو تاء؛ بسبب ما يسمى في علم اللغة باسم "القياس الخاطئ"، إذ قد يؤدي هذا النوع من القياس إلى نشوء كلمات جديدة في اللغة؛ فإن بناء "اتبع" من "تبع" مثلا، والتاء فيها أصلية، أدى إلى توهم أن "اتخذ" مأخوذة من "تخذ" مع أنها من "أخذ"؛ وبذلك نشأت كلمة جديدة هي "تخذ". ولا شك أن هذا هو الطريق الذي وصلت إلينا عنه كلمات أخرى مثل: "التكلان" من "وكل، و"التقوى" من "وقى"، و"التالد" و"التلاد" و"التليد" من "ولد"؛ ومعناه: المال المولود عند أصحابه، ومثل ذلك أيضا: "تجاه" من "وجه"، و"التكأة" من "توكأ"، وأخيرا "التراث" من "ورث"[2].

وقد وردت كلمة "التُراث" في القرآن الكريم مرة واحدة بمعنى الميرَاث في قوله تعالى: «وتأكلون التراث أكلا لما»[3] ، وقد فسر الزمخشري عبارة "أكلا لما" بـ" الجمع بين الحلال والحرام"، وهذا هو معنى "اللم"، وبالتالي فمعنى "تأكلون التراث أكلا لما" أنهم كانوا "يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم"[4]، فـ"التراث" هنا هو المال الذي تركه الهالك وراءه.

أما كلمة "وَرث" فقد وردت في عدة مواضع من بينها ما جاء في قوله تعالى: «وورث سليمان داوود»[5]، «يرثني ويرث من آل يعقوب»[6]، والمقصود منهما: وراثة الملك والنبوة والعلم والفضيلة دون المال، فالأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة»[7]. وفي حديث الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم: «إليك مآبي ولك تراثي»، يعلق عليه ابن منظور بقوله: ما يخلفه الرجل لورثته[8].

---

1 – جاء في معجم **لسان العرب** لابن منظر أن: "الوِرْثَ والوَرْثُ والإرَثُ، والوِرَاثُ والإرَاثُ والتُرَاثُ واحد، والميراثُ أصله مِوْرَاث انقلبت الواو ياء كَسْرة ما قبلها، والتُراثُ أصل التاء فيه واو". "والتورثُ والإرثُ والتُراثُ والميراثُ: ما وُرِثَ، وقيل: الوِرْثُ والميراثُ في المال، والإرْثُ في الحسب.. والتُراثُ ما يخلفه الرجل لِوَرَثَتِهِ، والتاء فيه بدل من الواو". ينظر، إبن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط2، بيروت– لبنان، 1992، مج2، ص ص200–201.

– أما قاموس **محيط المحيط** فقد جاء فيه أن: "وَرَثَ: يرث، ورثا وورثا وإرثا وإرثة ورثة وتراثا...وأصل التُراث وَرَاث– أبدلت الواو تاء". ينظر، بطرس البستاني، **محيط المحيط**، تح، محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 2009، ج07، ص456.

2 – ينظر، رمضان عبد التواب، **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، 1407هـ/1985م، ص ص8–9.

3 – سورة الفجر، آية 19.

4 – محمد بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، البهية للطباعة والنشر، القاهرة– مصر، 1995م، ص543.

5 – سورة النمل، الآية 16.

6 – سورة مريم، الآية 06.

7 – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تعل، محمد حسين شمس الدين، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، 1425هـ/ 2004م، ص463.

8 – إبن منظور، **لسان العرب**، المرجع السابق، ص 202.

إذن، فاللغويون يجمعون على أن دلالة هذه الكلمة تعني حصول الخلف على نصيب مادي أو معنوي من السلف، وجعلت المعاجم العربية القديمة من مادة "وَرَثَ" مرادفة للإرْثِ والوِرْثِ، والمِيرَاث[1]، وكلها بمعنى واحد وهو ما يخلفه الرجل لورثته، واقتصر استخدام هذه الكلمة على ما يورث من مال وحسب[2].

ونجد نفس الدلالات التي وجدت في المعاجم العربية، قد جاءت في معاجم اللغة الأجنبية، فكلمة "تراث" مرادفة للكلمتين الفرنسيتين (HERITAGE) و(PATRIMOINE)[3] وتعني: مِيراث، إرْث، موروث وتركة، وبالتالي فإن المعنى اللغوي لهاتين الكلمتين لا يكاد يتعدى حدود المعنى العربي القديم والذي يحيل أساسا على تركة الهالك إلى أبنائه.

2- تعريف التراث اصطلاحا: رغم وضوح معنى التراث لغة وكذا اصطلاحا على أنه: ذلك الإرث الذي يتوارثه الخلف عن السلف، فإن الباحث لا يكاد يجد له تعريفا واحدا، فقد اختلف أهل العلم في تعريفه وتنازعوه بحسب علومهم ومناهجهم، حتى أصبح كل واحد منهم ينظر إليه من خلال منظاره ووجهة نظره، وحتى أصبح للتراث تعريفات كثيرة تتعدد بتعدد المجالات التي يستعمل فيه، فيقال التراث الثقافي والتراث المعماري والتراث الطبيعي، كما يقال التراث الشعبي والتراث الغربي والتراث العربي الإسلامي.

وربما كان من المفيد تناول موضوع تعريف التراث بأنواعه في إطار المصطلح الأصلي أي: «ما خلفه السلف للخلف من ماديات ومعنويات أيا كان نوعها، أو بمعنى آخر كل ما ورثته الأمة وتركته من إنتاج فكري وحضاري سواء فيما يتعلق بالإنتاج العلمي، بالآداب، بالصور الحضارية التي ترسم واقع الأمة ومستقبلها، وهذا يعود إلى بدء المعرفة الإنسانية للكتابة بأشكالها وأساليب التعبير بأنواعها سواء في المخلفات الأثرية أو فيما سجل في وثائق الكتابة»[4]. وفي ضوء مفهوم آخر مكمل له طالما أغفل وهو: ضرورة الحفاظ عليه وإحياؤه، إذ أن شرط التراث هو نقله وتوريثه وإبقائه باستمرار، وهو لا يكون تراثا إلا إذا أحس وارثوه بضرورة التعرف عليه والكشف عنه وحمايته وإحيائه والاستفادة منه. فالآثار التاريخية والمدونات المحفوظة من السلف إلى الخلف هي ثروة قيمة يقاس بها مجد الأمم، وعراقة حضارتها.

1 - علي إبراهيم النملة، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض- السعودية، 1417هـ/1996م، ص ص17-18.

2 - يقول الشاعر العربي سعد بن ناشب: فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراث كريم لا يبالي العواقبا. ينظر، بطرس البستاني، **محيط المحيط**، المرجع السابق، ص456.

3 - جبور عبد النور/ سهيل إدريس، **المنهل(قاموس فرنسي- عربي)**، ط07، دار العلم للملايين/ دار الأدب، بيروت- لبنان، 1983، ص ص515-748.

4 - حسن محمد سليمان، **التراث العربي الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.ط، ص13.

يعرف عبد الستار الحلوجي التراث على أنه: «ما خلفته لنا الأجيال السابقة من آثار فكرية مسجلة على الألواح، وأوراق البردي، أو مدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرف الطباعة»[1]، فهو بذلك ثمرة فكر من سبق من الأمم، حملته لنا الأجيال المتعاقبة مدونا بشتى الطرق.

وقد ضمن أشرف محمد سيد مفهوم التراث أوجها أخرى، حيث عرفه على أنه: «ذلك التراكم المعرفي غير المحدود، الزاخر بالقيم الطيبة والتقاليد النبيلة، والسجايا الراقية، القادرة على البقاء أبد الدهر متى كان الوعي به قائما بالرغم من التطور الحاصل على مختلف الأصعدة والآثار، هي الجانب المادي الذي يشكل مع التراث كل ما تركه الإنسان على فترة من الزمن»[2].

فالعادات والتقاليد عنصر أساسي في تركيبة التراث، تبقى ثابتة مصنفة في قائمة العرف تميز مجتمعات عن أخرى، تماما كما تميز الآثار المادية تراث حضارة عن أخرى.

فالتراث يترجم المخزون الحضاري لكل أمة، ويجسد أفق استمرارها ووجودها، ولا يمكن لأي أمة أن تستعير تراث أمة أخرى بأي شكل من الأشكال، فهو يميز هويتها وبصمتها الحضارية دون غيرها من الأمم.

المطلب الثاني: مفهوم التراث العربي الإسلامي.

التراث العربي الإسلامي كغيره من التراث أثر وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديما وحديثا، وزاد في خصوبته تطور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات والحضارة العربية الإسلامية.

أخذ التراث العربي الإسلامي هذه التسمية من وجهتين؛ فهو تراث عربي لأنه كتب بالعربية ابتداء أو نقلا عن السريانية والفارسية والهندية واليونانية وغيرها، فلغة هذا التراث عربية بالدرجة الأولى، ومع هذا فإن هناك تراثا كتب باللغات "الإسلامية" الأخرى كالفارسية والأردية والتركية، ولغات آسيوية وأفريقية أخرى.

وهو تراث إسلامي لأنه يعبر عن الفكر الإسلامي، وينطلق من المنطلقات الإسلامية، ويخدم الثقافة الإسلامية، وقام أو نشأ بين المسلمين[3].

وفي سياق هذا التوجه ذهب عبد الجبار الرفاعي إلى القول على أن التراث العربي الإسلامي هو: "الإنتاج الفكري للمسلمين عبر التاريخ، أو المعارف والعلوم المنتجة التي أنجزها العقل المسلم في هدى القرآن الكريم والسنة الشريفة"[4].

وبمعنى آخر، فالتراث العربي الإسلامي: هو ذلك التراث الذي سجل بالعربية، واتخذ من الإسلام منهجا، وبنى دراساته على التعليمات الإسلامية، يتأمل فيما جاء به القرآن الكريم، ويتبع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ويفكر بما فيه خير للمسلمين خاصة والإنسانية عامة، ويسجلها في كتب.

1 – عبد الستار الحلوجي، **المخطوطات والتراث العربي**، ط1، الدار المصرية البنانية، القاهرة، 2001، ص52.

2 – أشرف صالح محمد السيد، **التراث الحضاري في الوطن العربي**، مؤسسة النور والإعلام، اليمن، 2009، ص5.

3 – علي إبراهيم النملة، المرجع السابق ص ص17–18.

4 – عبد الجبار الرفاعي، **جدل التراث والعصر**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، 2001، ص18.

ونظر محمد عابد الجابري للتراث العربي الإسلامي على أنه: «...بقايا ثقافة الماضي، بل على أنه تمام هذه الثقافة وكليتها: إنه العقيدة والشريعة، واللغة والأدب، والعقل والذهنية، والحنين والتطلعات، وبعبارة أخرى إنه في آن واحد: المعرفي والإيديولوجي وأساسهما العقلي وبطانتهما الوجدانية في الثقافة العربية الإسلامية»[1].

فالتراث بهذا المفهوم مرتبط بما يميز الحضارة العربية الإسلامية عبر سنوات من التشييد والتطور، وما خلفه مفكروها من آداب وعلوم، وغيرها من المعارف ضمن مسيرة قرون من الزمن، وهو بذلك لا يخرج عن كونه مخزونا يرتبط بماضيها العريق، وهذا ما يميزها عن باقي الحضارات الأخرى.

بعد أن استعرضنا مفهوم التراث، يظهر لنا جليا أن هذا المصطلح أخذ في بعده الشائع كل ما أنتجته الحضارات من معارف وفنون في عصور متلاحقة، وفي شتى الميادين، توارثها الخلف عن السلف. ويتجلى في داستنا في التراث الفكري العربي الإسلامي، وما كتبه الاقدمون، وما تزخر به المكتبات من مخطوطات، وما يتناقله المجتمع من روايات شفوية تعتز بهذا الإرث الحضاري.

المطلب الثالث: أهمية إحياء التراث العربي الإسلامي.

يقصد بإحياء التراث العربي الإسلامي، تحقيق ونشر الكتب العلمية والمخطوطات التي ورثت عن الأسلاف العلماء، تحقيقا علميا دقيقا يتضمن إخراج النص إخراجا سليما، على الصورة التي وضعها المؤلف، كما يتضمن أمورا أخرى علمية وتنظيمية، يعرفها أهل الاختصاص، كمقابلة نسخ الأصول بعضها على بعض، وتخريج ما فيها من آيات وأحاديث وأشعار، والإشارة إلى المراجع التي استمد منها المؤلف، وغير ذلك مما يستوجب التحقيق، ثم طبعها ونشرها وتداولها[2].

وتعد الأمة العربية الإسلامية أغنى الأمم وأوفرها تراثا، فهو شامل لكل فروع المعرفة القديمة، فإذا كان التراث اليوناني فلسفي، والتراث الفارسي أدبي، وللهند تراثها الرياضي، فإن التراث العربي الإسلامي هو تراث عام شامل لكل ذلك جميعا.

وتتجلى قيمة إحياء التراث في أن جزءا مهما منه هو نتاج حضارة كانت مصدر إشعاع في العالم كله، ولا زالت تحمل في طياتها من عوامل النهوض والتقدم الشيء الكثير، فالتراث العربي الإسلامي في مجمله دافع للتقدم والرقي، وإن كان لا يخلوا من أفكار وأقوال تعطل ركب التحضر، إلا أن ذلك صفة قد توجد في تراث أي أمة من الأمم، فلا غنى عن ذلك التراث بحال، «لأن تراثنا هو وجودنا، ولا توجد أمة تزعم أنها ذات حضور إنساني متميز، دون أن يكون لها تراثها الخالد والفاعل والمتميز في التاريخ»[3].

وعليه يمكن أن نلخص قيمة إحياء التراث العربي الإسلامي فيما يلي:

---

1 – محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة دراسات..ومناقشات**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت– لبنان، 1991م، ص24.

2 – أبو الوفاء مصطفى المراغي، "قضية إحياء التراث العربي"، **مجلة الوعي الإسلامي**، س14، ع157، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ديسمبر 1977م، ص26 بتصرف.

3 – جمال سلطان، **الغارة على التراث**، ط1، مكتبة السنة، مصر، 1990، ص154.

- يُعد ركنا أساسيا وفاعلا في ثقافة الأمة.
- يمثل خزانا للخبرات والعبر التي تسهل للأمة التعامل مع حاضرها ومستقبلها.
- التراث العربي الإسلامي محرك ودافع للأمة نحو نهضتها، واستعادة مكانتها، وقيادة ركب الإنسانية كما قادتها من قبل.
- إحياء التراث يمُد جسورا من أجل التواصل بين ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها، فيجعلها متماسكة ومتناسقة، كل حلقة فيها تفضي لما يليها، وينتج عن هذا الترابط، الحماية من محاولات الاختراق والهدم، ويمنحها حصانة ذاتية تحول بينها وبين أية عملية تسلل غريبة تفسد كيانها وتمزق روابطها.

لذلك فإن موضوع التراث يحظى باهتمام أكثر الأقطار العربية والإسلامية، وخاصة التي توافرت لها الإمكانيات والكفاءات، ويكاد يكون لكل قطر هيئة أو هيئات تناط بها هذه المهمة، وفي خلال الاهتمام بموضوع إحياء التراث يحتدم الجدل حول موقف الأمة من تراثها. وهل حقيقة قصرت في حق إحياء تراثها، وتهاونت في واجب بعثه ونشره، وأن الذين تولوا ذلك عنهم هم المستشرقون؟ هذا التساؤل وغيره سنحاول الإجابة عليه بشيء من التفصيل في ثنايا هذه الأطروحة.

خلاصة الفصل.

بعد دراستنا ومقارنتنا للبيئتين الجزائرية والتونسية في عصري محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، وذلك من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي رأينا أنه من الضروري دراستها لما لها من تأثير معنوي ومادي على شخصية الرجلين. وعليه يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

كلا القطرين –الجزائر وتونس – خضعا لسيطرة استعمارية فرنسية ألغت السيادة الوطنية للبلدين، وحولت الشعبين المتأصلين إلى رعايا ومواطنين من الدرجة الثانية، وسنت في حقهم قوانين جائرة.

واجه الداي حسين القوات الفرنسية ولم ينتظر المساعدة من أية دولة، وذلك على عكس الباي التونسي محمد الصادق الذي رفض المواجهة منتظرا مساعدة الدولة العثمانية عسكريا، ولكننا نجد تشابه بين الرفض الشعبي الجزائري والتونسي لعملية الغزو.

اختلفت البيئة السياسية الجزائرية التي عاش فيها محمد بن أبي شنب عن تلك التي عاش فيها حسن حسني عبد الوهاب، وهذا الاختلاف يتمثل أساسا في شكل النظام الاستعماري الذي هيمن بالقوة على البلدين، ففي الجزائر ألغى نهائيا وجود الدولة الجزائرية، بينما حافظ على وجودها شكليا في تونس من خلال الإبقاء على نظام الباي ورجال السلطة، بينما في الجزائر قام بإبعاد الجزائريين نهائيا عن السلطة طوال مدة احتلالها للجزائر، فمعاناة الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي كانت أشد وطأة من معاناة الشعب التونسيين، وإن كانت تلتقي في بعض النواحي التقاء يكاد يكون متطابقا.

شكل مطلع القرن العشرين منعرجا هاما وتحولا في أساليب الكفاح بتسجيل يقظة سياسية وطنية لدى مثقفي القطرين، ساهمت فيها مؤثرات قادمة من المشرق ومن العالم الغربي، تتلخص في أفكار الحركة الإصلاحية، وتأثيرات الحرب العالمية الأولى، وما رافقها وأعقبها من حديث عن الحريات، ومبادئ تقرير المصير، مما رفع من مستويات الوعي الوطني بظهور أحزاب وجمعيات، تراوحت مطالبها بين تحسين الأحوال وفك الارتباط بالدولة المستعمرة.

أدى الاحتلال إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية بفعل المصادرة والاستغلال الممنهج، ومعارضة الكولون المستأثرين بالخيرات في البلدين لكل مشروع تنموي من شأنه تحسين أوضاع أصحاب الأرض الشرعيين.

أفرزت سياسة الاستيطان ولا سيما في الجزائر، مشاكل لا حصر لها انعكست سلبياتها على المواطنين، الذين ابعدوا عن الوظائف الإدارية، وحرموا من خدمات المرافق الصحية، فتدنت مستويات معيشتهم للحضيض، وتحولوا من سادة إلى عبيد مما غرس في نفوسهم الرغبة في التحرير.

لقد رام المشروع الاستعماري تحطيم أسس الثقافة المحلية، والقضاء على مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي، وذلك بإحلال ثقافة دخيلة تقوم على نشر اللغة الفرنسية في أوساط محدودة والدعاية للديانة المسيحية وتشويه مبرمج لتراث وتاريخ المنطقة وأصالتها، مما كان له رد فعل قوي نتيجة الإحساس بوحدة الهوية المعرضة للتدمير.

➢ الفصل الأول: سيرة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب ومكانتهما عند الأخر.

- المبحث الأول: نبذة عن حياة وآثار محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.
- المبحث الثاني: مكانة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب عند العرب والأجانب.
- المبحث الثالث: موقف محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من الاستعمار الفرنسي وعلاقتهما به.

الفصل الأول: سيرة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب ومكانتهما عند الأخر.

المبحث الأول: نبذة عن حياة وآثار محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

إن المعلوم بالضرورة، أن رقي الأمم وازدهارها مرهون بقادة الفكر، وأقطاب العلم والمعرفة، وعلى حساب نشاطهم وجهادهم في سبيل العلم والمعرفة يكون تقدمها، وتكون قوتها ومكانتها بين الأمم.

ويشهد التاريخ على حقبة من الزمن أنجبت فيها الجزائر وتونس أعلاما خدموا العلم والمعرفة وساهموا في إحياء تراث الأمة العربية والإسلامية وبعثه من جديد، رغم السياسات الاستعمارية التعسفية والاضطهاد الذي مارسته على القطرين الشقيقين من كل الجوانب.

وإذا كانت قائمة العلماء على اختلاف كفاءاتهم العلمية في تلك الفترة الاستعمارية الطويلة، يعسر تتبعها باستقصاء، إلا أنه يبرز منها شخصيتين كان لهما اجتهاد كبير في خدمة التراث العربي الإسلامي، وحازتا على تقدير الشرق والغرب على حد السواء، هما: محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

فمن هما هاذين العلمين؟ وكيف كانت نشأتهما وتعليمهما؟ وما هي المكانة التي حازاها عند الغير؟

المطلب الأول: نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب وأهم مؤلفاته

أولا: نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب

محمد بن أبي شنب[1]: هو محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب، ولد يوم الثلاثاء 20 رجب 1286هـ، الموافق لـ 26أكتوبر 1869م[2] بـ"فحص"، إحدى القرى الريفية التي تقع بضواحي مدينة المدية، من أسرة تركية الأصل، ميسورة الحال، فقد كان والداه من أعيان المدية وأشرافها، يعود في أصله إلى أتراك بلدة

---

1 – لـ"**محمد بن أبي شنب**" ترجمة أرسلها إلى المجمع العلمي العربي بدمشق، وقد نشرها المجمع في مجلته بعد وفاته، ومما جاء فيها: «العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد أبي شنب، ولد يوم الثلاثاء في العاشر من رجب سنة 1286هـ الموافق لـ 26 أكتوبر سنة 1869م بقرية يقال لها لمدية (والآن المدية) في جنوب الجزائر وتبعد عنها تسعين كيلو مترا، قرأ شيئا قليلا جدا من القرآن، ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة لمدية الثناوية (الثانوية)، ثم انتقل إلى دار المعلمين الفرنسية بأبي زريعة بقرب الجزائر وبعد عام تخرج منها مجازا بإجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية، وبعد عشر سنين قد مضت كلها في التعليم وتعاطي اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وعروض وقافية وأدب، وشيء من التوحيد والفقه أجيز بإجازة مدرسة الآداب العليا، تقلد خطة مدرس اللغة العربية والنحو والصرف والعروض في مدرسة قسنطينة أول محرم سنة 1316هـ الموافق لـ 22 مايو سنة 1898م، ثم انتقل إلى مدرسة الجزائر أول محرم سنة 1319هـ الموافق لـ 20 افريل سنة 1901م. وبعد أربع عشرة سنة ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة وأقرأ النحو والأدب والمعاني والبيان والمنطق، وفي آخر السنة (1922م) أجيز بإجازة دكتور في القسم الأدبي من كلية الآداب بالجزائر بعد أن قدم إليها تأليفا آخر في حياة أبي دلامة شاعر بني العباس، وتأليفا آخر في الألفاظ التركية والفارسية الباقية في لغة الوطن الجزائري، وقد نوقش فيها أمام الجمهور. وفي أول يناير 1924م انتقل مدرسا إلى كلية الآداب بالجزائر وما زال بها إلى الآن». ينظر، "العلامة محمد أبو شنب"، **مجلة المجمع العلمي العربي** ، مج10، دمشق- سوريا، ذي القعدة 1348هـ/ نيسان 1930م، ج4، ص ص238-239.

2 – يذكر ألفريد بيل في الجريدة الآسيوية، أن ابن أبي شنب ولد في الدمياط-Damiette وهي قرية تبعد بأربعة كيلومترات على أرض تسمى بعين الذهب عام 1848م، ينظر،

- Alfred Bel, "Mohammed Ben Cheneb", **journal asiatique**, Paris, janvier-mares, 1929, p359.

"بروسة" من إيالة الأناضول التركية، وأما أمه فهي من عائلة جزائرية شريفة المنصب، ابنة بشطرزي أحمد طبيجي قائد عرش بلدة "ريغة" ما بين المدية وملیانة.

ولعل يسر حال الأسرة، هو ما ساعد محمد بن أبي شنب في سلك نهج تعليمه الذي اختاره منذ الصغر، وذلك بانضمامه للمدارس الفرنسية التي كانت تضم النخبة من أفراد المجتمع فـ: «عندما بلغ سن التمييز أدخله والده الكُتاب فحفظ بعض القرآن، ثم ما لبث أن غادره لينخرط في سلك التعليم الرسمي الفرنسي بالمكتب الابتدائي، حيث أن ثراء عائلته ونفوذها الاجتماعي قد أتاح له فرصة ثمينة للحصول على تعليم رسمي لم يكن يحصل عليه سوى المحظوظين من أبناء الجزائر، نظرا للسياسة الاستعمارية التعليمية التي كانت تتعمد تجهيل الجزائريين وتسُد أبواب التعليم في وجوههم»[1].

وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية التحق بالمدرسة الثانوية(Collège)، حيث حصّل فيها مبادئ حسنة من علم الجغرافيا والتاريخ واللغة والحكمة والحساب والطبيعيات وغيرها[2]. توجه بعدها من مدينة المدية إلى الجزائر العاصمة سنة 1886م لاستكمال دراسته، فالتحق بمدرسة المعلمين(Ecole normale) ببوزريعة، حيث تفرغ للمطالعة والدراسة، ملازما لأساتذتها فأتقن ما يدرس في مختلف أقسامها ومراحلها. تخرج منها أستاذا للغة الفرنسية مع الاعتراف له بالتفوق وحسن السلوك[3]، إضافة إلى حرفة التجارة التي اختارها حسب ما يفرضه نظام الدراسة، في شهر جويلية سنة 1888م عن عمر يناهز 19 سنة[4].

اشتغل محمد بن أبي شنب معلما للغة الفرنسية بالمكتب الرسمي في قرية قرب المدية تعرف باسم "وامري" وقد أمضى بها أربع سنوات. وفي سنة 1892م انتقل إلى العاصمة الجزائر، حيث عين بمدرسة إبراهيم فاتح بالقصبة، مما مكنه من الاطلاع على جديد العلم والاحتكاك بكبار العلماء في ذلك الوقت أمثال: الشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ أبو القاسم بن سديرة، فأخذ عن هؤلاء العلماء علم التوحيد والفقه والبلاغة، ولم يكتف بهذا فأخذ يتعلم اللغات الأخرى، فتعلم الإيطالية والألمانية والإسبانية والفارسية والإنجليزية والتركية واللاتينية، وأصبح يتحدث بها حتى يظنه السامع إذا تحدث بلغة من هذه اللغات بأنه من أبنائها[5].

وما حصله ابن أبي شنب من لغات تظهر قيمته العلمية في تصوير الشيخ ابن باديس لحامل لغات الأقوام الأخرى «فكل أمة جهلت جميع اللغات الغربية فإنها تبقى في عزلة عن هذا العالم، ومطروحة في صحراء الجهل والنسيان»[6].

---

1 – محمد زرمان، "محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية"، **مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة**، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007، ص12.

2 – عبد الرحمان الجيلالي، مصدر سابق، ص14.

3 – محمد الصالح الصديق، **أعلام من المغرب العربي**، ط02، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ج01، ص104.

4 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص14.

5 – المرجع نفسه، ص16.

6 – أنظر، عبد الحميد بن باديس، **آثار عبد الحميد بن باديس**، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1406هـ/1985م، ص40.

وعندما أحس أنه حاز من علوم العربية ما يؤهله لتعليمها في المدارس العليا، تقدم للامتحان بالجامعة الجزائرية الفرنسية، فأحرز شهادة في اللغة العربية أو ما كان يسمى آنذاك بـ(Diplôme D'arabe) بتاريخ 19 جوان 1894م، وفي نفس السنة ناب عن الشيخ "أبي القاسم بن سديرة" في دروسه العربية بالجامعة فمكث في هذه النيابة عاما كاملا[1].

وقد شغل منصب أستاذ لعلوم اللغة العربية في أكثر من مدرسة، ففي 08ماي 1898م عين مدرسا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة خلفا عن شيخها الأستاذ عبد القادر المجاوي الذي انتقل إلى المدرسة الثعالبية بالجزائر، فدرس بها النحو والصرف وعلوم اللغة والأدب والفقه إلى غاية 19جوان 1901م، لينتقل بعدها إلى العاصمة أين عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية في مقام الشيخ عبد الرزاق الأشرف الذي تولى القضاء، فدرس اللغة والنحو والصرف والعروض والبيان وغيرها[2].

وفي شهر ديسمبر من سنة 1903 أضيفت له دروس أخرى في علم العروض وترجمة المراسيم الشرعية والبحث في اللهجة المحكية"الدارجة" والمقارنة والتنظير بينها وبين الفصحى يلقيها بكلية الآداب بجامعة الجزائر، علاوة على الدروس التي كان يلقيها بالثعالبية.

وفي سنة 1904م أسندت إليه دراسة صحيح الإمام البخاري بجامع سفير بالعاصمة، ليرتقي بعدها إلى رتبة محاضر بالجامعة حوالي سنة 1908م، أين طار صيته في الآفاق واشتهر بين كبار العلماء ومشاهير الكتاب والأدباء، فنال إعجابهم وكان له عدة مراسلات معهم كالعلامة أحمد تيمور باشا بمصر، وأعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وعلى رأسهم الرئيس محمد كرد علي[3]، وعلامة تونس حسن حسني عبد الوهاب، والعلماء المستشرقون ككوديرا(Coddera)، وكراتشوفسكي(Krachkovsky)وغيرهم[4].

ورغم ما بلغه من علم، ظل مكبا على المعرفة والبحث فيها حتى نال شهادة دكتوراه دولة بتقدير مشرف جدا من كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1922م بعد مناقشته لبحثين؛ الأول في حياة أبي دلامة شاعر بني العباس، وتأليفا آخر في الألفاظ التركية والفارسية المستعملة الباقية في لغة الوطن الجزائر[5].

وفي أول جانفي 1924م انتقل مدرسا إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر، بعدما رشحه أعضاء هيئة التدريس لهذه الوظيفة خلفا لأستاذه السابق رينيه باسيه[1]، عميد كلية الآداب، ولكن بصفته أهليا(indigène) إذ كانت

---

1 – ينظر، محمد زرمان، المرجع السابق، ص17.

2 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص16.

3 – **محمد كرد علي**: مفكر وأديب سوري، ولد بدمشق عام 1876م وتوفي بها سنة 1953م، دافع طوال عمره عن اللغة العربية، وشدد على ضرورة الاعتناء بها في مراحل التعليم، كان وزيرا للمعارف والتربية في سوريا، وتولى أيضا رئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق ومؤسس وصاحب مجلة المقتبس. ألف العديد من الكتب التي احتفت بالحضارة العربية والاسلامية مثل: الاسلام والحضارة العربية، غابر الاندلس وحاضرها، الادارة الاسلامية في عز العرب... ينظر، محمد كرد علي، **المذكرات**، مطبعة الرقي، دمشق- سوريا، 1948م، ج1.

4 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص ص17-18.

5 – محمد كرد علي، **المعاصرون**، تع، محمد المصري، مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا، 1401هـ/1980م، ص340.

العنصرية الفرنسية تمنعه من أن يكون أستاذا كامل الحقوق[2].

بقي بن شنب في هذه الوظيفة إلى أن وافته المنية في 26 شعبان1347هـ الموافق لـ 05فيفري 1929م، بعد مرض قصير أدخله المستشفى، ودفن في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بحضور جمهور غفير من الجزائريين والفرنسيين[3].

وتجدر الإشارة إلى أن ابن أبي شنب قد تأخر موعد زواجه حتى بلغ من العمر 34 سنة، وذلك بسبب تحصيله العلمي وعنايته بالبحث، ففي 15 نوفمبر 1903 تزوج بكريمة الشيخ قدور بن محمد بن مصطفى، الإمام الثاني بالجامع الكبير، ورزقه الله بخمسة أولاد ذكور، وأربعة إناث.

ثانيا: عناصر تكوين محمد بن أبي شنب وأخلاقه وسجاياه

1- عناصر تكوينه واهم شيوخه: عاش محمد بن أبي شنب في فترة من أصعب الفترات التاريخية التي مرّت بها الجزائر، فقد كان الاحتلال الفرنسي قد بسط سيطرته على البلاد بالحديد والنار، وقام بهدم مراكز العلم بها كالكتاتيب والمساجد، وعمل على تفقير وتجهيل شعبها وحرمانه من ثروات بلاده وخيراته، وحاول قطع الشعب الجزائري عن مصادر دينه وثقافته وتراثه التليد.

ومما لا شك فيه أن البيئة الأسرية التي عاش في أحضانها محمد بن أبي شنب وترعرع في أوساطها، هي الأساس الأول في تكوينه وتنشئته رغم تلك الظروف سالفة الذكر، فوالده كان فلاحا يستغل أرضا بضواحي المدية في عين الذهب، أما جده لأبيه فقد كان أصله من بورسة التركية، وكان جنديا في الجيش العثماني، وكان لقبه من جهة أمه بشطرزي يوحي لوحده بانتمائه للجزائر العاصمة، فقد كان جده لأمه على رأس قيادة الريغة، وهو عرش موجود في السهل العالي بحوض وادي الشلف.

سمحت تلك الظروف الأسرية في نشأة الولد نشأة حسنة، محاطا بعناية غير منقطعة، ومتابعة مكثفة، يقول عبد الرحمان الجيلالي حول تلك التربية لابن أبي شنب: «نشأ في حجر والديه موقرا مقدما على إخوانه وأقرانه معتنى به عند أهله وذويه، وذلك لما كان عليه من الكياسة والاستقامة في الرأي، وقد حكى لنا في غير ما مرة أنه لم يعلم أو يتذكر أن يوما أغضب فيه أهله كما أنه لم يتصور في فكره أن والدته نهرته يوما»[4].

أدخله والده مع شقيقه أحمد إلى الكتاب، فحفظ شيئا من القرآن على يد الشيخ أحمد بارماق وبعضا من الحديث الشريف والفقه وغيرها. وقد أشار إلى ذلك محمد كرد علي في كتابه المعاصرون وهو يسرد سيرة محمد بن

---

1 - **رينيه باسيه-Basset René(1924/1855م)**: ولد في لونفيل، حيث تلقى التعليم الابتدائي والثانوي، ثم انتقل إلى جامعة نانسي سنة 1878م، ليلتحق بعدها بمدرسة اللغات الشرقية بباريس. عين مدرسا للغة العربية بكلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1882م، وقد اختير رئيسا لمؤتمر المستشرقين الذي انعقد على أرض الجزائر سنة 1905م. للمزيد ينظر، محمد عبد الرحيم الزيني، **المستشرقون في المغرب العربي**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024م، ص ص34-35.

2 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م**، ج8، المرجع السابق، ص 171.

3 - محمد كرد علي، **المعاصرون**، المصدر السابق، ص340.

4 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص06.

أبي شنب، الذي يرى أنه «قرأ شيئا قليلا من القرآن الكريم ثم قرأ اللغة والعلوم الفرنسية في مدرسة المدينة الثانوية، وانتقل إلى دار المعلمين الفرنسية ببوزريعة وبعد عام تخرج منها مجازا بإجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية»[1].

تركت تلك المرحلة تأثيرا في شخصية ابن أبي شنب وساعدته في نشوء وعي لديه، ومكنته من تحصيل مختلف العلوم والمعارف، خاصة بعد التحاقه بسلك التعليم الرسمي، فتعلم في المدارس الابتدائية ثم ارتقى إلى الثانوية، وكانت المدارس الاستعمارية في ذلك الوقت تقدم دروسا في مختلف المواد من لغة فرنسية وتاريخ وجغرافيا ورياضيات وعلوم طبيعية...، الأمر الذي سمح له بأن يأخذ نصيبا وافرا من كل تلك المعارف والعلوم.

التحق بعدها بمدرسة المعلمين ببوزريعة التي كانت المحطة البارزة في تكوينه، فقد حرص على تحصيل مختلف صنوف العلم، ولم يتوقف عن طلبه وهو مدرّس، فكان يبيت ليله ناظرا في الكتب والمصنفات حتى أدرك معرفة موسوعية أهلته لأن يتميز فيما بعد[2].

أثرت مرحلة تتلمذ محمد بن أبي شنب في مدرسة المعلمين في بداية تكوين شخصيته العلمية «فتخرج أستاذا في اللغة الفرنسية مجازا بإجازتها في معلوماتها وفي ما أتقنه من تعلم صناعة التجارة»[3]، وهو ما سمح له بأن يتلقى تكوينا متينا في اللغة الفرنسية لمدة سنتين كاملتين فتخرج منها سنة 1888م، محصلا زادا وفيرا ومعرفة واسعة، أهلته فيما بعد أن يشق طريقه في ميدان البحث والتأليف والتحقيق والنشر.

بعد نيله للشهادة من مدرسة المعلمين، وتعيينه مدرسا في "وامري" إحدى قرى مدينة المدية لمدة أربع سنوات، عاد مرة ثانية إلى العاصمة، فدرّس في مكتب الشيخ إبراهيم الرسميّ، فانعكست تلك الفترة عليه بشكل ايجابي، فقد استغل الفرصة من خلال وجوده بحاضرة علمية، وكرّس جهده في تعلم العلوم العربية كالبلاغة والمنطق والتوحيد على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية[4]، الذي كان أحد أكابر العلماء في ذلك الوقت، وقد أصبح صديقا له لما رأى فيه من النباهة والذكاء، حتى إنه كان يرجع إليه في الكثير من المسائل، ويقول حول ذلك: «ما علمت في حياتي كلها معلّما يرجع إلى تلميذه غيري، وإني معترف له بالفضل والنبوغ»[5].

---

1 – محمد كرد علي، **المعاصرون**، مصدر سابق، ص339.

2 – سليم حيولة، **محمد بن أبي شنب–أول دكتور جزائري في الدراسات الأدبية**، الوطن اليوم، الجزائر، 2022م، ص18.

3 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص07.

4 – **عبد الحليم بن سماية(1866/1933)**: من أسرة عليمة بالعاصمة، كان أبوه علي بن سماية من المدرسين في مدينة الجزائر مدة طويلة، وكانت بداية تعليمه في مدرسة الجزائر الشرعية، وهي التي كان والده أستاذا بها، فهو يحسن الفرنسية وفي نفس الوقت متمكن من اللغة العربية والعلوم الإسلامية، سافر إلى تونس أين أكمل تعليمه بها. تولى خطة التدريس بالجزائر العاصمة سنة 1896، ثم بالجامع الجديد في سنة 1900م.
يعد من أوائل المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ محمد عبده الإصلاحي والداعين إليه، وحين زار الشيخ عبده الجزائر سنة 1903م نزل بدار الشيخ عبد الحليم، وكان هو مرافقه الدائم. ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان،1998م، ج3، ص ص93–94.

5 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص08.

كان لقاء محمد بن أبي شنب بأستاذه بن سماية، بعد أن عين معلما بمكتب الشيخ إبراهيم فاتح، وكان عبد الحليم بن سماية يومها من بين العلماء الذين شغلوا منصبا به، «فتحقق له آمال طالما راودته وملأت عليه خياله، فنوازعه النفسية كانت تتجه دائما نحو العلم وحياض المعرفة يشبع نهمه ويروي ظمأه ويحقق أمله، فلازم الشيخ عبد الحليم بن سماية يتلقى عنه دروسا في البلاغة والمنطق والتوحيد، وكان الشيخ معجبا بتلميذه أيما إعجاب، وحسبنا أنه كان كثيرا ما يرجع إليه في مسائل علمية»[1].

أما الأستاذ الثاني الذي كان محمد بن أبي شنب يلجأ إليه لتفسير ما استعصى عليه فهمه من المسائل اللغوية المعقدة فهو أبو القاسم بن سديرة، أحد أشهر علماء الجزائر المتضلعين في أسرار اللغة العربية، العارفين بدقائقها وأصولها، وبأخبار العرب وشعرائهم وأنسابهم وبتراجم الرجال وطبقاتهم[2].

ويعد محمد بن أبي شنب من الشخصيات العلمية الجزائرية القليلة التي كانت لها علاقة وطيدة مع المستشرقين، والتي بدأت بعد دخوله الجامعة عام 1894، حيث لفت ذكاؤه ونشاطه العلمي المستشرق الفرنسي وأستاذ اللغة العربية في كلية الآداب بالجزائر رينيه باسيه(Basset René)، هذا الأخير زكاه لدى الجهات المختصة ورشحه لمنصب أستاذ مكلف بالمحاضرات في اللغة العربية بالمدرسة العليا للآداب[3].

ونفس الاهتمام حضي به عند المستشرق فانيان أدموند(Fagnan Edmond) [4]، حيث «لازمه محمد بن أبي شنب فأخذ عنه اللغة الفرنسية ولغة أجداده وأسلافه الأتراك»[5].

هذا وقد تعرف محمد بن أبي شنب على حبر يهودي من يهود الجزائر فـ«أخذ عنه العبرانية، ولشدة اجتهاده في تحصيل هذه اللغات صار يتقنها مع موافقة اللهجة وحسن التأدية، حتى كان الكثير ممن لا يعرفه يعتقد عندما يسمعه يتكلم بإحداها أنه من صميم أبنائها»[6]، الأمر الذي مكنه من الإطلاع على الثقافات الأجنبية وساعده كثيرا في انجاز الأعمال التي أثرى بها التراث العربي الإسلامي، وحفظ الكثير من مصنفات الأعلام في القديم والحديث من الضياع.

2- أخلاقه ولباسه وسجاياه: استحق محمد بن أبي شنب مكانة متميزة عن أترابه، بفضل شخصيته الفاضلة وطبائعه المتزنة، وقدرته على التحصيل العلمي والبحث في مختلف المجالات التي كانت محور البحث في

1 - محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 140.

2 - محمد زرمان، المرجع السابق، ص15.

3 - المرجع نفسه، ص17.

4 - **فانيان أدموند-Fagnan Edmond (1931/1846م)**: ولد في "لييج-Liege" من أعمال بلجيكا، لأبوين فرنسيين، درس القانون بجامعة لييج أين تحصل على شهادة الدكتوراه، ثم انتقل إلى باريس لدراسة اللغات الشرقية الحية كالعربية والفارسية والتركية والعبرية، واستطاع أن يظفر ويحصل على الدبلوم فيها. أسندت إليه الإدارة الفرنسية الاستعمارية القيام بمحاضرات في اللغتين العربية والفارسية بكلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1884م، وبقي في تلك المهمة لمدة أربت على ثلاثة وثلاثين عاما إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1919م. ينظر، محمد عبد الرحيم الزيني، مرجع سابق، ص ص248-249.

5 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص16.

6 - نفسه، ص16.

عصره، فقد «عُرف ابن أبي شنب بتواضعه وسعة اطلاعه وحُسن معاملته للناس»[1]، ومن الطبيعي أن تتوفر فيه هذه الميزات نتيجة التربية التي تلقاها في أسرته.

وعن ذلك التواضع وحسن المعاملة مع الناس، نجد شهادة صديقه السعيد الزاهري، الذي كان مرة يمشي معه في أحد شوارع العاصمة، إذا نادى رجل محمد بن أبي شنب، يبدو أنه كان يرغب إلى الأدباء بأن ينظموا له منظومات، يرفعها إلى الأغنياء والأعيان، هذا التصرف استثقله الزاهري، وأبى أن يلبي نداءه، ولكن الشيخ استجاب له، فقدم له كراس وقلم فيه منظومات وقصائد، وطلب عليه أن يصلحها ويقيم أوزانها، مما زاد من غيض الزاهري واستيائه، ولكن محمد بن أبي شنب انكب على تلك المنظومة يصلحها ويقيم أوزانها، ولبث في ذلك ساعة كاملة ما سئم في أثنائها ولا تحرج، بل كان فيما يعلم الرجل يجهد نفسه في تفهيمه، وكان يخالق الرجل بخلق حسن ويتواضع له، ولا يتظاهر عليه بعلم ولا بفهم، وهكذا كان محمد بن أبي شنب يستوقفه الصغير أو الوضيع فيقف له ولا ينصرف حتى ينصرف السائل، وإذا حادثه أحد في مسألة من مسائل العلم يجيبه بكل تواضع ودون تعال[2].

وعن تواضعه وحسن معاملته للناس كذلك، تتردد حوله النادرة التالية: «كان في يوم من الأيام في القطار متوجها من مسقط رأسه إلى الجزائر العاصمة للإشراف على امتحانات الثانوية العامة، أي البكالوريا، وإذا بشابين أوروبيين يجلسان جنبه في عربة القطار، وبدءا يسخران منه ومن لباسه التقليدي، فلم يهتم بهما لأنه كان يواصل تفحص ملفاته، وفي صباح الغد، وجد الشابان نفسهما أمامه، ففوجئا، لأنه أشرف على امتحانهما الشفوي، ولم يلقي لهما أي شيء، أما هما فقد اعتراهما الخجل لما بدر منهما حينما التقياه في القطار»[3]. هذه النادرة تبين مدى تسامحه وتواضعه.

وقد عرف عليه الشدة في اختبار تلاميذ المدارس أيام الامتحان السنوي، وينتقد الآباء الذين يلحون على الأساتذة في تقديم أبنائهم من دون مراعاة لمكانتهم ومستواهم العلمي ويقول: «إن من الإهانة للعلم أن تعطي الشهادة لغير مستحقيها وفي هذا تغيير للأمة حتى تعلق آمالها على قوم جهال بصفة أنهم علماء حاملون لشهادة العالمية، وأيضا هو أمر يسيء سمعة المشائخ والمدرسين عند ذوي العرفان، والمسؤولية عليه عظيمة في المستقبل»[4].

فمنهجه في التدريس وفي تقييم الطلبة كان صارما، لأنه لا يحب التساهل في العلم، لأن التساهل يُعد جريمة كبرى، هي سبب هلاك الأمة وانحطاط الحضارات، وكان يقوم بتقييم الطلبة انطلاقا من مبدأ الأصلح فالأصلح، ومن لا يصلح للعلم فلا يجوز أن ينجح لأنّ ذلك سيؤدي بالأمة إلى التهلكة.

---

1 – الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، المرجع السابق، ص58.

2 – ينظر، صالح خرفي، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص139. الطيب ولد العروسي، **محمد بن أبي شنب دراسات وشهادات**، منشورات مدرية الثقافة، المدية، 2009، ص ص64-65.

3 – الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، مرجع سابق، ص58.

4 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص28.

كما كان محافظا على زيه الوطني في حله وترحاله، وحتى في البلاد الغربية بعمامته وبرنوسه وسراويله العريضة[1]، ملتزما بلغته العربية حتى يخيل أنه لم يكن يحسن اللغة الفرنسية تماما، وكان من يراه لا يخطر بباله أنه أمام أكبر علماء الجزائر[2]، ولا يتكلم الفرنسية مع بني وطنه بل يتجاهلها أحيانا.

لم ينجر وراء الفرنسيين ويقلدهم في ملابسهم وعاداتهم، فبالرغم من أنه كان يتقن اللغة الفرنسية ويكتب ويقدم الدروس بها، إلا أن قشور الحضارة الأوربية لم تُغره، ومما يروى عنه أيضا أنه لم يتكلم في حياته بكلمة واحدة بالفرنسية خارج قاعات التدريس، وكان ينصح الناس في السوق وفي غيره باستعمال الكلمات العربية، فابن أبي شنب كان «ذا غيرة على الوطن والعربية، مُتحاشيا عن الظهور بميدان السياسة... لم يكن ممن تُلهيهم وتُمليهم مناظر هذه الحضارة الغربية الخلابة ولا ممن تستحوذ على عقولهم زخارفها وبهرجة قشورها، ولا ممن يغلبهم تلاطم أمواج تيارها السيّار، وإنما كان يأخذ منها بمقدار ما يُعطى الطعام من الملح وهذا رغم ما عرفه من عواصم الغرب المتمدن»[3].

ثالثا: جرد لأهم مؤلفات محمد بن أبي شنب

بحث محمد بن أبي شنب كثيرا في نفائس التراث العربي الإسلامي، وصنف وأنتج جراء ذلك ما يزيد عن 50 مؤلفا في سائر العلوم المتداولة عند العرب والعجم، والعادات والتقاليد، وقد أحيا بعض التآليف بالنشر والتحقيق وبعضها بالتنقيح والتصحيح أو بالشرح والتعليق عليها، ومن بين أهم تلك المؤلفات، نذكر[4]:

– التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ الخليل من أحكام المغارسة لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي، المغربي الفاسي المالكي(ت1096هـ/1685م)، نقله للعربية ونشره في المجلة الجزائرية التونسية المغربية، للفقه والتشريع، طبع بالجزائر سنة 1895م.

– خاتمة في رياضة الصبيان وتأديبهم وتعليمهم وما يليق بذلك لمؤلف مجهول، حقق النص ونقله إلى الفرنسية بعنوان Notions de pédagogie musulmane ونشره في المجلة الإفريقية الفرنسية سنة 1897م، والتي يمكن اتخاذها مرجعا في مجال التربية والتعليم.

---

1 – **في مسألة اللباس**، يذهب سعد الله إلى أن الإدارة الفرنسية كانت تشجع عليه أيضا، لأنه في نظرها يزيد من تأثيرهم على العامة والتلاميذ بخلاف ما إذا قلدوا الفرنسيين في ذلك إذ تذهب هيبتهم وينتفي تأثيرهم. ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954م**، ج3، المرجع السابق، ص95.

2 – الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، مرجع سابق، ص59.

3 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص28.

4 – هذه التآليف مرتبة حسب التسلسل الزمني، وللمزيد أكثر، ينظر، عبد الرحمن محمد الجيلالي، **محمد بن شنب حياته وآثاره**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص30 وما يليها، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص189 وما يليها. محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص ص111–113. مختار نويوات، "آثار العلامة محمد بن أبي شنب"، **مجلة اللغة العربية**، ع17، صادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية، 01 جويلية 2007. عبد القادر بوباية، "إسهامات محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي"، **مجلة المواق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع6، الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 01 ديسمبر 2011، ص ص283–292.

– ترجمة الرحلة من تلمسان إلى مكة للشاعر الشعبي التلمساني ابن المسيب الذي عاش في القرن الثامن عشر، حقق النص ونقله إلى الفرنسية ونشره في المجلة الإفريقية الفرنسية سنة 1900م.

– ترجمة رسالة لأبي حامد الغزالي في رياضة الأولاد وتربيتهم، نشر النص والترجمة في المجلة الإفريقية الفرنسية سنة 1901م.

– مجموع أمثال العوام بأرض الجزائر والمغرب، ثلاثة أجزاء، طبع بباريس بين 1905 و1907م.

– تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب، طبع بالجزائر سنة 1906م. في تقريظ للكتاب السالف الذكر يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة:

بشرى لباغي العروض بشرى　　الآن قد أدرك الأرب
قد كان علم العروض صعب　　عليه مستعصي الطلب
يردد الفكر في القوافي　　بغية الجهد والتعب
حتى تصدى له المفدى　　شيخ اللّغى ابن ابي شنب
فوضّح المشكلات فيه　　بسفره "تحفة الأدب"[1]

– فهرست الكتب العربية التي ألفها أو نشرها المسلمون في سنتي (1322-1323هـ/1904-1905م)، نشره في المجلة الإفريقية الفرنسية، سنة 1906م.

– بحث في الأعلام الذين ذكرهم الشيخ عبد القادر الفاسي في الإجازة، أعمال المؤتمر الرابع عشر الدولي للمستشرقين، باريس سنة 1907م.

– أصل كلمة "شاشية"، بحث منشور في المجلة الإفريقية الفرنسية، سنة 1907م.

– نشر نظم مثلثات قطرب بعنوان: مثلثات علامة الأنام، قاموس البلاغة ونبراس الأفهام، الجزائر سنة 1907م.

– نشر كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي نسبا، والمديوني أصلا، التلمساني ولادة ومنشأ ووفاة، وترجم في هذا الكتاب لاثنين وثمانين ومائة عالم وولي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها، الجزائر سنة 1908م.

– نشر كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهور بـ"الرحلة الورثيلانية"، للحسين بن محمد الورثيلاني(ت1192هـ)، سجل فيه المحطات البارزة التي مر بها في تلك الرحلات التي قام بها انطلاقا من بلده لأداء مناسك الحج، الجزائر سنة 1908م.

– فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر، طبع بالجزائر سنة 1909م.

1 – للمزيد حول هذا المؤلف ينظر، محمد بن أبي شنب، **تحف الأدب في ميزان أشعار العرب**، ط3، مكتبة الأمريكا والشرق، باريس، 1954.

– نشر كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس أحمد بن أحمد ابن عبد الله الغبريني البجائي (ت 714هـ/ 1314م)، طبع بالجزائر، 1911م. وهو مخطوط نفيس يعطي صورة عن بعض أعلام الجزائر، الذين برزوا في عهود متقدمة من تاريخ الجزائر، وقد بلغ عددهم في هذا الكتاب تسع وأربعون ومائة ترجمة.

– الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية للشاعر الإيطالي دانتي–Danti، نشر في المجلة الإفريقية الفرنسية، سنة 1918م.

– نشر كتاب، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، لمؤلفه أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي الذي عاش في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، والكتاب كما يبدو من خلال عنوانه خاص بالدولة المرينية، مقسم إلى عشرة أبواب، خصص الأول منها لذكر نسب بني مرين وقبائلهم ودخولهم المغرب وظهور ملكهم، أما الأبواب الأخرى فقد احتوى كل واحد منها سيرة أحد حكام الدولة المرينية، طبع في الجزائر سنة 1920م.

– أبو دلامة، شاعر النوادر في مجالس أوائل خلفاء بني العباس، وهي الأطروحة التي حررها بالفرنسية وناقشها فنال بها شهادة دكتوراه سنة 1924م، بالإضافة إلى الكلمات التركية والفارسية الباقية في لهجة الجزائرية وهي الرسالة التابعة لأطروحة الدكتوراه، 1922م.

– فحول العرب في علم الأدب، شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي المشهور بعلقمة الفحل، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم الشنتمري، طبع بالجزائر سنة 1925م.

– تحقيق كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي، وشرح شواهده متبوع بفهارس علمية واسعة، طبع بالجزائر سنة 1926م.

– الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني، وهو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب(809هـ/1406م)، تضمن المقال تاريخ الحكام الحفصيين، وما عرفته البلاد على عهدهم من حروب وحركات تمرد وعلاقتهم بالحكام المرينيين، مجلة Hespéris، الثلاثي الأول، المجلد08، سنة1928م.

المطلب الثاني: نبذة عن حياة حسن حسني عبد الوهاب وأهم مؤلفاته.

أولا: نبذة عن حياة حسن حسني عبد الوهاب.

ولد حسن حسني عبد الوهاب في أواخر شهر شعبان 1301هـ الموافق لليوم الحادي والعشرين من شهر جوان 1884م بنهج عبد الوهاب رقم 25 بتونس[1]، وذلك بعد احتلال فرنسا لها بنحو ثلاثة أعوام.

1 – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، تق، حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015م، ص177. غير أن بعض الوثائق الأرشيفية تؤكد أنه ولد عام 1883م وليس سنة 1884م، يظهر ذلك في الوثيقة الأرشيفية رقم 182 الصادرة بتاريخ 1931/11/28م الموجودة بالأرشيف الوطني التونسي، الملف: S.F, C13, D3/9 ، ويؤكد ذلك محمد حمدان في كتابه "**أعلام الأعلام**" الصادر عن المركز القومي للتوثيق بتونس سنة 1991م، الصفحات 210–211. وكذلك الدكتور جلول ريدان في كتابه"**حسن حسني عبد الوهاب 1883–1968**" الصادر =

فنشأ في بلد مبتور السيادة، خاضع لدولة أجنبية تتولى إدارة شئونه وتسعى بكل وسائل القهر والإغراء إلى إدماجه في القومية الفرنسية، لسانا وتراثا.

كانت أسرة عبد الوهاب[1] من أُسر تونس العريقة والتي كان لها شأن في الأدب والسياسة؛ فقد كان الوالد صالح بن عبد الوهاب من الأفراد التونسيين القلائل الذين تعلموا العربية بجامع الزيتونة، ودرس اللغة الفرنسية بمدرسة الرهبان(Ecole des frères) حتى أتقنها جيدا، وهو ما فتح له المجال واسعا لتولى الوظائف المرموقة بالدولة، فأضافه الفريق حسين وزير الخارجية إليه مترجما في السفارات المتنقلة[2].

وبعد الحماية الفرنسية تقلب صالح في جملة من الوظائف كعامل على الأعراض (قابس والمهدية)، وعندما انتقل إلى ولاية المهدية وتولى أمرها سنة 1886م. ألحق ابنه حسن بأحد الكتاتيب فحفظ شيئا من القرآن ثم التحق بالمدرسة الابتدائية حيث حفظ هناك الربع الأخير منه، ودرس شيئا من علوم اللغة والدين، ثم انتقل إلى تونس بعد رجوع والده إليها، فأتم دراسته في مدرسة فرنسية، ونال الشهادة الابتدائية عام 1899م[3].

التحق بعدها بالتعليم الثانوي بالمدرسة الصادقية التي تأسست قبل الاحتلال الفرنسي وكانت منارة للعلم بعد جامع الزيتونة في تونس، فزاول بها دراسة العربية والترجمة.

ولما أتم دراسته الثانوية سافر إلى فرنسا، والتحق بمدرسة العلوم السياسية بباريس (Ecole des Sciences Politiques)[4]، حيث توسع في دراسة القانون والسياسة والاقتصاد، ثم شاءت الأقدار ألا يستمر في دراسته، فعاد بعد عامين إلى وطنه سنة 1904م؛ نظرا لوفاة والده[5].

بعد عودته إلى تونس انخرط حسن حسني عبد الوهاب في العمل الإداري، فالتحق أولا بإدارة الفلاحة والتجارة قسم أملاك الدولة آخر سنة 1905م، وبعد خمس سنين سمي رئيسا لإدارة غابات الزياتين للشمال التونسي سنة 1910م، وفي أثناء الحرب العالمية الأولي التحق بإدارة المصالح الاقتصادية سنة 1916م بصفة رئيس قسم، وفي سنة 1920م سمي رئيسا لإدارة خزينة المحفوظات التونسية(Archives Générales).

=عن منشورات نيرفانا بتونس سنة 2010، الصفحة 41. وعن الخلط الذي وقع فمرده يرجع إلى السيرة التي كتبها حسن حسني عن نفسه والمنشورة في كتابه" **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**"، جم، محمد العروسي المطوى، دار المنار، تونس، 1972م، ج3.

1 – **عبد الوهاب**: هو اللقب العائلي نسبة إلى الجد عبد الوهاب بن يوسف التجيبي الذي كان يدير الحرس الأهلي للبلاد وهم (الحوانب)، ويرأس التشريفات في مدة البايات الحسينيين من عهد محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي، إلى أيام المشير أحمد باي الأول. للمزيد عن هذه العائلة، ينظر. – A.N.T, S-E, C539, D14, **Famill Abdul Waheb** .

2 – النادي الثقافي(أبو القاسم الشابي)، **أربعينية العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب 10 جانفي 1969م**، مطبعة المنار، تونس، ص72.

3 – حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مر، محمد العروسي المطوى، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1990م، مج01، ص18.

4 – للمزيد عن هذا القرار ينظر، **الحوليات التونسية**، مر، جورج طعمة، بيروت– لبنان، 1975، ص ص36–37–38.

5 – A.N.T, S-E, C539, D14, **Famill Abdul Waheb**, **op-cit**.

قال عن وظيفته في هذه المصلحة: «واستفدت كثيرا من هذا العمل حيث أتيح لي الاطلاع على مجرى أحداث التاريخ التونسي منذ الفتح التركي أو بعده بقليل، ولا يخفى أن خزينة المكاتب الدولية-كما كانت تسمى- هي من محاسن مؤسسات الوزير خير الدين حين مباشرته لشؤون الدولة التونسية، وأهم عمل قمت به هناك هو أني وضعت لها جهازا تاما لفهرس محتوياتها في جذاذات محفوظة في صندوق خاص(Fichiers)، وهو المعمول به إلى الآن، ولم يكن ذلك موجودا بها من قبل»[1].

ثم بدأ في تولي شئون الولايات التونسية بصفة "قايد-caïd"[2]بداية من 1 جانفي 1925م، وكان قبلها يشغل خطة رئيس مكتب بالإدارة العامة للداخلية[3]، حيث عين واليا على المثاليث(ناحية صفاقس) ثم المهدية في آخر سنة 1928م، وفي سنة 1935م سمي واليا على الوطن القبلي(نابل وناحيتها) [4]، وقضى في ذلك كله نحو خمس عشرة سنة، قام خلالها بخدمة تلك الولايات ثقافيا وعمرانيا، فأسس المدارس والمكتبات، وعبّد الطرق، وزود القرى بوسائل الإضاءة ومياه الشرب الصالحة، وكان يلقي محاضرات ثقافية في تلك الولايات، ويدخل في حوار مع أهاليها.

وعلى الرغم من بلوغه سن التقاعد فقد احتاج المسئولون في تونس إلى خبرته وكفاءته؛ فعين في سنة 1942م مديرا لمصلحة الأوقاف، ثم اختير في 03 ماي من سنة 1943م وزيرًا للقلم ، حيث أشرف على إدارة الشؤون الداخلية للبلاد التونسية، وتولى أمر المراسلات مع الدول والهيئات الأجنبية ومخاطبة ملوك الخارج.

كما كان على رأس وفد الحجيج التونسيين المتوجهين نحو البقاع المقدسة شهر نوفمبر سنة 1944م، وحاملا للصرة[5]، وإلى جانب حمل الصرة وقيادة الوفد، كلف عبد الوهاب بصفته أيضا وزيرا للدولة بقراءة خطاب الملك الأمين إلى عبد العزيز آل سعود، لم يفوت فيه عبد الوهاب التنويه بالبقاع المقدسة: «بها تؤدي الفريضة

---

1 – محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1984م، ج3، ص337.

2 – مثلت القيادات والقياد عصب نظام البايات الحسينيين من الناحية الاقتصادية والإدارية والسياسية؛ فعلى المستوى الاقتصادي مثلت القيادات المصدر الأساسي لموارد الدولة المتأتية من الضرائب المباشرة وغير المباشرة. ويعد القائد هو الممثل الشخصي للباي وهو نائبه داخل المنطقة الترابية، ويمثل"مليكا صغيرا مستقلا"، ويدير مملكته بإعانة الخليفة وشيخ التراب.

بعد الاحتلال الفرنسي لتونس، سعت الدولة الاستعمارية إلى المحافظة على هياكل دولة البايات قدر المستطاع، والاحتماء وراءها إزاء مختلف القوانين والمراسيم والأوامر والقرارات، التي تخدم مصلحة الاستعمار الفرنسي، والتي يتحمل مسؤوليتها في نظر العامة "الباي". إذا يعد القايد قطب الرحى الذي تدور حوله كل دواليب إدارة الحماية الاستعمارية الفرنسية، وكان هو أداة هذه الإدارة عبر الوزير الأول التونسي. ينظر، سليم قضومي، **قياد البلاد التونسية (1860-1937)**، مذكرة دكتوراه، إشراف، الهادي تيمومي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2000م.

3- A.N.T, S-A, C201, D20/10.

4 - A.N.T, S-A, C201, D20/27, **Mouvement de séculier**.

5 – محمد بن الخوجة، **"الصرة كيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها"، المجلة الزيتونية**، جانفي 1937م، ج5.

وتعالج النفوس المريضة»[1]،كما لم يفته التنويه بخصال الملك السعودي وبإنجازاته كما أكد لهف سكان شمال إفريقيا للحج وأن ما منعهم الحرب.

وظل عبد الوهاب في منصبه كوزير للقلم حتى شهر جويلية 1947م حيث أعفى نفسه من أعباء هذا المنصب، وتفرغ لتأليف"كتاب العمر"، والسفر إلى الأقطار الشرقية والغربية.

ولما نالت تونس استقلالها، وفارق الموظفون الفرنسيون المصالح الإدارية دعي حسن حسني عبد الوهاب من جانب الحكومة التونسية الجديدة لرئاسة المعهد القومي للآثار والفنون(Institut National d'Archéologie et Arts) فلبى الدعوة في سنة 1957م على الرغم من كبر سنه، وقضى في تلك الوظيفة خمس سنوات متوالية[2]، نقل خلالها مصلحة الآثار من مقرها القديم المتهالك"ساباط سوق الفكة" إلى دار الفريق حسين التي كانت مقرا لقائد الجيش الفرنسي. وبعد ترميم الدار، جعل في أحد أقسامها متحفا للفنون الإسلامية التي لم يكن لها أدنى حظ بين الآثار التونسية.

وفي مدة رئاسته للآثار تأسست خمسة متاحف، أربعة منها للآثار الإسلامية "متحف على بورقيبة" في رباط المنستير، ومتحف "أسد بن الفرات" برباط سوسة، ومتحف "إبراهيم بن الأغلب" في القيروان، ومتحف "دار حسين" المتقدم الذكر، ثم مستودع الآثار الكلاسيكية القرطاجنية[3].

وقد زود الأربعة المتاحف العربية السالفة الذكر بكل ما جمعه لخاصة نفسه من الآثار النفيسة والتحف الإسلامية النادرة سواء أكانت مقتناة من تونس أو مشتراة من المشرق ومن عواصم أوربية[4].

رغم توليه الوظائف الإدارية، فقد كان لحسن حسني عبد الوهاب نشاط علمي وثقافي متميز، فلم ينقطع عن الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات.

فقد كان يقدم دروسا في التاريخ العام وخاصة التونسي في الخلدونية من سنة 1910م إلى 1924م، ونفس المادة درسها بالمدرسة العليا للغات والآداب العربية بسوق العطارين من سنة 1913م و1924م[5]، كما شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية خارج تونس بصفته الشخصية أو ممثلا للحكومة التونسية.

---

1 – خطاب قرأه حسن حسني عبد الوهاب، "من صاحب المملكة التونسية إلى عاهل الحرمين الشريفين"، **مجلة الثريا**، نوفمبر 1944م، ص04.

2 – منذ سنة 1962م، ظل حسن حسني عبد الوهاب ملازما بيته ومكتبته في نهج الحقيقة بتونس العاصمة أولا، ثم انتقل إلى منزله بضاحية صلامبو إلى أن وافاه الأجل يوم 18 شعبان 1388م الموافق لـ 09 نوفمبر 1968م، بعد يومين فقط من منحه جائزة الدولة التقديرية. حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج01، المصدر السابق، ص20 (الهامش).

3 – محمد محفوظ، مرجع سابق، ص339.

4 – حسن حسني عبد الوهاب، "حسن حسني عبد الوهاب"، **حوليات الجامعة التونسية**، ع 06، 1969م، ص42.

5 – حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج01، المصدر السابق، ص24.

وبمناسبة مرور 50 سنة على تأسيسها، منحت جامعة العلوم بالقاهرة الدكتوراه الفخرية لحسن حسني عبد الوهاب سنة 1950م، كما منح نفس الشهادة من جامعة العلوم الجزائرية ودعي للحضور بنفسه سنة 1960م، إلا أنه لم يجب الدعوة ولسان حاله "لم أجب حيث كانت حرب التحرير قائمة على ساق حينئذ"[1].

سمي عضوا مشاركا في المجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة منذ سنة 1939م، وكذا في المعهد المصري، كما سمي مراسلا للمعهد التاريخي الإسباني، وعضوا في كل من المجمع العلمي العربي بدمشق وكذا المجمع العلمي العراقي في بغداد[2].

ثانيا: عناصر تكوين حسن حسني عبد الوهاب

تأثرت طباع عبد الوهاب بالإطار العام العائلي الذي كان يعيش فيه، فجذور عائلته المخزنية ذات الشأن والوجاهة، والتي عملت مع الدولة الحسينية، وتحت هيمنة الدولة الاستعمارية، اقتضى منها الثنائية في التكوين، فقد كان أبوه يتقن العربية والفرنسية، حيث أصبحت اللغة الفرنسية شرطا من شروط الارتقاء إلى وظيفة عمومية مرموقة في ذلك العهد.

دخل أول مكتب لائكي فرنسي بنهج السويد، حيث نال شهادة العلوم الابتدائية سنة 1899م، وكان يهدف بدخوله المدرسة اللائكية إلى إتقان اللغة الفرنسية الشرط الأساسي لدخول الثانوية الصادقية.

وعندما انتقل إلى تونس بعد رجوع والده إليها، أتم دراسته ونال الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الصادقية التي تأسست لتكون منارة للعلوم والفنون الحديثة، في تلك الأثناء كان عبد الوهاب يتردد أيضا على جامع الزيتونة ويتصل بشيوخه الأعلام، ويتخذ منهم قادة له وروادا، ويتردد على خزائن الكتب به، يطالع فيها نفائس المخطوطات في اللغة العربية وآدابها، والتاريخ الإسلامي وحضارته.

سافر بعدها نحو أوروبا، أين انخرط في صفوف مدرسة العلوم السياسية بباريس، إلا أن الظروف الصعبة التي مرّ بها دفعته إلى الانقطاع عن الدراسة والعمل المبكر بعد وفاة والده.

وهكذا كان تكوين حسن حسني عبد الوهاب مخضرما، فقد تعلم أولا في الكتاب"كتاب سيدي الموحد" حيث حفظ القسط الأوفر من القرآن، وعندما دخل المدرسة الفرنكوفونية بالمهدية، أتم حفظ ما تبقى منه (الربع الأخير)، وإلى جانب ذلك تعلم اللغة الفرنسية.

أما عن الخصائص التي تميزت بها ثقافته فهي الجمع بين الثقافة العربية العريقة وبين الثقافة الغربية العصرية، ولا غرو في هذا مادمنا نعلم أن هذا المثقف كان في مطلع هذا القرن ممن تأثر بحركة الإصلاح التونسي التي تزعمها رواد الإصلاح من أمثال: خير الدين باشا وأحمد بلخوجة، ومحمد بيرم الخامس، والفريق محمد حسين ومحمد العربي

1 – المصدر السابق، ص24.

2 – **نشرية النادي الثقافي(أبو القاسم الشابي)**، مصدر سابق، ص72.

زروق مدير المدرسة الصادقية، وصديقه وراعي نشأته محمد الأصرم[1] رئيس الجمعية الخلدونية، هذا الأخير رشحه للاشتراك في المؤتمرات العلمية خارج تونس، وانتدابه في سنة 1908م لتدريس التاريخ بالخلدونية[2].

وهكذا تأصل تكوينه من ذلك الفيض الزاخر المتجه نحو المعرفة الإسلامية والمتغذي من معدن الوعي الإسلامي بالمغرب وهو جامع الزيتونة، ثم أن ملكته الثقافية قد نمت أيضا بفضل تعلمه في تلك المدرسة التي أسسها خير الدين باشا عام 1876م وهي المدرسة الصادقية التي لعبت دورا هاما في نشر الوعي والثقافة الأصلية في مطلع القرن العشرين.

كما ازدادت ثقافته متانة طيلة المدة التي قضاها في باريس بين سنتي 1903-1905، ونتيجة هذا التفاعل الفكري والتمازج الحضاري، رأيناه على إثر عودته إلى تونس في أواخر عام 1905م يتجه في ركب النخبة التي حملت لواءها آنذاك المدرسة الخلدونية.

لقد انعكس ذلك التكوين في لباس حسن حسني عبد الوهاب، إذ كان يلبس عكس العلماء الذين يلبسون العمامة البيضاء، وعكس موظفي الدولة الذين يلبسون الكاليوش والشاشية التونسية، وعكس البرجوازية الليبرالية، كان يلبس الطربوش المجيدي الذي دخل البلاد مع بداية التنظيمات العثمانية، والذي انساق الشباب المتفتح على لبسه عوض الشاشية أو العمامة التونسيتين[3].

ثالثا: جرد لأهم مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب

يقسم إنتاج حسن حسني عبد الوهاب إلى قسمين، قسم معروف لدى القراء بقدر أو آخر، وهو القسم من الكتب المطبوعة، أما القسم الثاني فهو غير معروف للقراء، إذ أن هذا القسم من الكتابات التي لم تنشر إلا بشكل محدود جدا، ولم يهتم بها الباحثون، ولم يذكرها عبد الوهاب نفسه في الترجمة الذاتية التي كتبها بخطه في عدة مناسبات[4].

---

1 - **محمد الأصرم(1866-1925)**: من أعلام الفكر بتونس في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، زاول تعليمه الابتدائي والثانوي بالمدرسة الصادقية، وفي سنة 1880م أوفدته إدارة الصادقية إلى باريس، فالتحق بدار المعلمين بفرساي حيث تحصل على شهادة الكفاءة لتعليم اللغات الحية، عاد بعدها إلى تونس أين زاول مهنة التدريس بداية من سنة 1884م، ثم عين على رأس إدارة الغابات بوزارة الفلاحة، ثم أستاذا بالمدرسة العليا للغة والآداب العربية سنة 1911م، انتدب بعدها لتدريس مادة الترجمة بالمدرسة الصادقية سنة 1914م، وإلى جانب مهامه الإدارية والتعليمية، عرف على محمد الأصرم نشاطه الثقافي المكثف والمتنوع، بالإضافة إلى المشاركة في العديد من المؤتمرات والملتقيات السياسية. ينظر، الصادق الزمرلي، **أعلام تونسيون**، تع، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986، ص177.

2 - **النادي الثقافي(أبو القاسم الشابي)**، مصدر سابق، ص29.

3 - محمد بن الخوجة، "كيف دخل الزي الأوروباوي العادات التونسية"، **المجلة الزيتونية**، ج4، جانفي 1938، ص ص30-33.

4 - للمزيد حول تلك المؤلفات، ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، مصدر سابق، ص ص183-184. حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مج01، مصدر سابق، ص ص26-27-28.

ويمكن تصنيف مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب المعروفة كما يلي:

1- مؤلفات باللغة العربية: وهي كتب متنوعة التخصص نذكر منها.

- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، وهو أول كتاب يصدره للقراء، طبع بتونس سنة 1912م.

- المنتخبات المدرسية للناشئة التونسية، مجموعة أدبية منتخبة من نظم ونثر البلغاء التونسيين مرتبة حسب أدوار الأدب مع مميزات كل عصر، طبع بتونس سنة 1918م. أعيد طبعه بالقاهرة تحت اسم: المنتخب المدرسي من الأدب التونسي.

- خلاصة تاريخ تونس، كانت أول طبعة لهذا الكتاب بتونس سنة 1918م، ثم اشتهر هذا الكتاب وأعيد طبعه عديد المرات.

- الإرشاد إلى قواعد الاقتصاد، طبع بتونس سنة 1919م.

- مجمل تاريخ الأدب التونسي، طبع بتونس سنة 1927م.

- شهيرات التونسيات، بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الإسلامي إلى الزمن الحاضر، طبع بتونس سنة 1934م.

- الإمام المازري، وهو ترجمة لحياته وبحث عن تسلسل السند العلمي في تونس منذ الفتح الإسلامي، طبع بتونس سنة 1955م.

- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (جمع لبعض المقالات المنشورة في المجلات)، ج1، طبع بتونس سنة 1965م، أمّا ج2، فطبع سنة 1966م.

2- نشريات محققة:

- أعمال الأعلام بمن بويع قبل الاحتلام من أئمة الإسلام(قسم إفريقيا وصقلية) للسان الدين ابن الخطيب الأندلسي الملقب بذي الوزارتين، طبع ببالرمو سنة 1910م.

- رسائل الانتقاد (في نقد الشعر والشعراء) لمحمد بن شرف القيرواني، طبع بدمشق سنة 1911م.

- ملقى السبيل لأبي العلاء المعري، طبع بدمشق سنة 1912م، علق على حواشيها وقارن بين آراء المعري وآراء الفيلسوف الألماني شوبنهور.

- وصف إفريقية والأندلس، وهو مأخوذ من كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، طبع بتونس سنة 1920م.

- التبصرة بالتجارة للجاحظ، طبع بدمشق سنة 1923م.

- كتاب يفعول، بحث لغوي للصاغاني، طبع بتونس سنة 1924م

- كتاب آداب المعلمين، مما دون محمد بن سحنون عن أبيه، محمد بن سحنون، طبع بتونس سنة 1937م.

- الجمانة في إزالة الرطانة في اللهجة الأندلسية والتونسية لمجهول، طبع بالقاهرة سنة 1953م.

- رحلة التجاني في البلاد التونسية وطرابلس، لعبد الله التجاني، طبع بتونس سنة 1958م.
- أحكام السوق ليحيى بن عمر دفين سوسة (ت 289هـ/ 901م)، رواية أبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمان القصري (ت 321هـ/ 933م)، نشرته الشركة التونسية للتوزيع، طبع الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس سنة 1975، وقد راجعه وأعده للنشر بعد وفاته الدكتور فرحات الدشراوي.

3- مصنفات وأبحاث باللغة الفرنسية [1]:

- الاستيلاء الإسلامي على صقلية، وهو بحث حاول تقديمه في مؤتمر الجزائر 1905م، نشر بتونس سنة 1905م.
- امتزاج العناصر التي يتألف منها الشعب التونسي، نشر بتونس سنة 1917م.
- تطور الموسيقى العربية (في المشرق والمغرب والأندلس)، نشر بتونس سنة 1918م.
- بحث في دينارين نورمانيين بالمهدية، نشر بتونس سنة 1930م.
- شاهد عيان لفتح الأندلس، نشر بتونس سنة 1932م.
- منعرج في تاريخ الأغالبة (ثورة منصور الطنبذي)، نشر بتونس سنة 1937م.

ويعد كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، من أهم ما خلفه حسن حسني عبد الوهاب، رصد فيه سير وتراجم عدد كبير من المؤلفين التونسيين في مراحل مختلفة من التاريخ، مع التوسع في الكلام عن مؤلفاتهم، وقد عهد به عبد الوهاب إلى الباحث التونسي المعروف العروسي المطوي لتقديمه للطبع، فقام بنشره بعد أن قام بمراجعته وإكمال ما احتاج إلى إكماله منه بالاشتراك مع زميله بشير البكوش، وصدر في أربعة أجزاء عن دار الغرب الإسلامي ببيروت، 1990م.

المبحث الثاني: مكانة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب.

المطلب الأول: مكانة محمد بن أبي شنب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب.

اكتسب محمد بن أبي شنب احترام وتقدير المثقفين والأدباء العرب والأجانب على حد سواء، فضلا عن الجزائريين، وذلك لما اتصف به من أخلاق، وما أظهره من تمكن علمي ومعرفي كبيرين، فانتخب في عام 1920م عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وحاز على عضوية أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس، وفي سنة 1922 قلدته حكومة الجمهورية الفرنسية وسام فارس جوقة الشرف تقديرا لجهوده في التقريب بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية، وكانت له مكانة كبيرة عند المستشرقين، يرجعون إليه فيما يشكل عليهم، ويطلقون عليه "ابن شنب" وينادونه "شيخنا" كما سيأتي.

1 - نقلت هذه البحوث إلى اللغة العربية ونشرت في الجزء الثالث من كتاب الورقات.

أولا: مكانته عند المثقفين والمفكرين الجزائريين والعرب

1- محمد كرد علي: تبرز مكانة محمد بن أبي شنب عند العلامة العربي السوري محمد كرد علي في كتابه "المعاصرون" بقوله: «ورجل من عيار بن شنب هو فخر أمة، ... يعرفها في نظر العالم المتمدن إلى مراتب الأمم الصالحة للبقاء، فقد تهيأ بما وهب وما كسب من العلم بأن يظهر العلم العربي في ثوب قشيب من نسج القرن العشرين، وأظهر أمته في مظهر أمة تسلسل فيها العلم ثلاثة عشر قرنا، وعلى كبت الحرية في بلاده قام حق القيام بما أراده وأراده له وطنه، فبيض الوجوه في المواطن كلها»[1].

ويضيف قائلا: «الاستعمار شر وشؤم، ويزيد شره وشؤمه إذا طالت لياليه السود بضعة أجيال كما طال في القطر الجزائري، وما كان الظن في أن تخرج هذه الأرض المستعمرة رجلا من عيار محمد بن أبي شنب، يتقن الفرنسية ولا يغفل عن الأخذ من علوم العرب والإسلام؛ أخذ عن المستعمرين طريقتهم في التدريس وأساليبهم في البحث، ونسج في آداب قومه على منوال أساليبهم». لا يتوقف الإعجاب عند هذا الحد، فيضيف قائلا: «شاهدته يخطب بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين في أكسفورد وهو في لباسه الوطني: عمامة صفراء ضخمة وزنار عريض، وسراويل مسترسلة ومعطف من صنع بلاده، فأخذت بسحر بيانه واتساعه في بحثه، وظننتني أستمع عالما من أكبر علماء فرنسا وأدبائها في روح عربي وثقافة إسلامية، أو عالما من علماء السلف جمع الله له بلاغة القلم وبلاغة اللسان، ووفر له قسطا من العلم والبصيرة، وقد فطر على ذكاء وفضل غرام بالتحصيل، وقيض له أن يجمع بين ثقافتين ينبغ ويفصح في كل لغة بمعانيها»[2].

كان بن أبي شنب صورة الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوربية في العمل، من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته.

2- محمد سعيد الزاهري: يعد الزاهري أحد رجال الإصلاح في الجزائر، بدأ حياته النشطة في مجال الإصلاح ونشر الوعي وهو لا يزال طالبا في جامع الزيتونة أين التقى أول مرة بمحمد بن أبي شنب.

يصف الزاهري أستاذه بن شنب في مقال نشره في مجلة المقتطف المصرية عام 1929م قائلا: «هو مسلم جزائري، مسلم في كل شيء، يتمسك بدينه ولغته ووطنه وفي عقله وأدبه، وفي أخلاقه وعاداته وفي لباسه وهندامه، وعلى رأسه عمامة جزائرية، وعلى كتفه برنوسه الجزائري، وهو من أكثر الناس تواضعا وزهدا، وإذا حادثته في مسألة من العلم حدثك فيها بما يعلم حديثا متواضعا، خاصة من حيث الأفكار والمبادئ، فهو شخصية قدوة في ثقافتها المتنوعة، عصامية المأخذ والفكر والنبوغ، مع تواضعه ودماثة أخلاقه، واعتزازه بإسلامه وعروبته، والمحافظة على قوميته ووطنيته في وقت كادت القوة الاستعمارية أن تقضي فيه على كل المقومات الأصلية لهذا الشعب بالمسخ والاندماج»[3].

---

1 - محمد كرد علي، **المعاصرون**، المصدر السابق، ص339.

2 - المصدر نفسه، ص338.

3 - أحمد بن ذياب، "من نبغاء الجزائر في العصر الحاضر" الدكتور محمد بن أبي شنب"، مرجع سابق، ص ص48-49.

تعززت مكانة ابن أبي شنب عند الزاهري عند أول لقاء وأول معرفة له بتونس سنة 1922م، خلال امتحان آخر السنة لطلبة البكالوريا بكلية الزيتونة حينما كان الزاهري طالبا بهذه الكلية، فوجده عالما جزائريا غير متجنس بالفرنسية، ورئيسا مشرفا على لجنة علمية فرنسية، يرأس جلساتها بزيه الجزائري وسط مجموعة من الأساتذة الفرنسيين، فكان يوما مشهودا إذ تناقل الناس هذا الخبر ودخلت النخوة والكبرياء والفرحة قلب الطلبة الجزائريين، حيث اجتمعوا عنده في إقامته ليجدوا منه الرجل المضياف المحافظ على تراث أمته ودينه وقيمه، ثم يضيف قائلا: «وبينما نحن جلوس عنده إذ حضرت صلاة العصر، فقام فصلى النافلة أربع ركعات ثم أقام الصلاة المكتوبة، ولما فرغ من صلاة سألته: كيف تصنع إذا أدركتك الصلاة وأنت في جلسة رسمية؟ فقال: أوقف الجلسة للاستراحة فيستريح زملائي بخطوات يمشونها ودخائن يشعلونها، وأستريح بأداء المكتوبة وأجد من الراحة في صلاتي ملا يجدون هم في مشيهم وتدخينهم»[1].

ويسترسل الزاهري في الحديث عن ذلك اللقاء، وتلك الأوقات التي جمعته بأبي شنب فيقول: «وأراد الشيخ أن يمضي في حديثه هذا فقاطعته أنا وقلت: ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ حزب المسلمين أمرا يلجأ إلى الصلاة ويقول"أرحنا بها يا بلال" ففرح الشيخ بهذه المقاطعة وقال: أردت أن أقولها فسبقتني: ثم ودعناه وانصرفنا ونحن نتمنى لشبابنا المتفرنج أن يتعظوا بهذا الشيخ الجليل»[2].

وقال عنه بمناسبة تأبينه: «سلام الله عليك يا ابن أبي شنب، لقد طبت حيا وميتا، وكنت بعلمك وشرقيتك حجة الشرق على هؤلاء الشرقيين الذين لا يبتغون العلم والحياة إلا من طريق التفرنج والاندماج، وقدمت على ربك مؤمنا عاملا»[3].

3- شيوخ جمعية العلماء المسلمين:

أ- الشيخ عبد الحميد بن باديس: أشارت مجلة الشهاب في معرض تغطيتها لحفل تأبين محمد بن أبي شنب في يوم الأربعين بعد وفاته، إلى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أزمع على الحضور ولكن لم يتمكن بسبب وصول الدعوة إليه متأخرة جدا، وخالية من بيان عنوان لجنة الاحتفال، مما عاقه عن السفر، وتوجيه برقية التعزية. وقد أثبتت المجلة قوله عن الشيخ: «إننا لما عرفناه فقدناه»، كما كتب الشيخ ابن باديس في تعليقه على صدور الكتاب الذي وضعه الشيخ الجيلالي عن ابن أبي شنب سنة 1933م في الشهاب قائلا: «أتحفنا صديقنا الأديب العامل الشيخ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي الأستاذ بمدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة بنسخة من تأليفه المسمى "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" الذي ضمنه حياة فقيد العلم والوطنية المرحوم الدكتور محمد بن

1 - محمد السعيد الزاهري ، "الأدب والعلم في الجزائر-محمد بن أبي شنب-"، **مجلة المقتطف**، ع4، مصر، نوفمبر 1929، ص425.
2 - محمد الصالح الصديق ، المرجع السابق، ص427.
3 - المرجع نفسه، ص427.

أبي شنب وطائفة من آثاره الخالدة وحياة الفقيد كلها آثار جليلة وكلها جد واجتهاد وعمل لخير العلم عامة ولخير الإسلام والجزائر خاصة»[1].

ب– الشيخ البشير الإبراهيمي: يعتبر الشيخ الإبراهيمي محمد بن أبي شنب في مقدمة رواد النهضة الفكرية العربية والإسلامية، ومن الذين لهم سعة اطلاع على تاريخ العالم الإسلامي والتوفر على البحث فيه على المنهج العلمي المبني على المحاكمة والنقد والاستدلال.

يصور لنا الشيخ الإبراهيمي المشهد الكبير الذي اجتمع فيه الناس عند وفاة محمد بن أبي شنب والمكانة التي حضي بها عند جميع من عرفه بالقول: «ما هذا الجمع الحاشد. وما هذه الزمرة المحدودة؟ وما للأحياء حشروا في صعيد الأموات. جل ما لهذه الفريق الممتاز من إخوان الأدب وأخدان العلم وعشراء البحث ورضعاء التفكير وأسرة الكتابة والقلم – يظهرون بهذا المظهر الرهيب وينزعون هذا المنزع الغريب –، لولا داع وباعث بعث وسابق حث فأزعج.

بلى ما هذا الحشد فوق التراب إلاّ لقضاء حق عزيز ثوى تحت التراب. مات محمد فعرفت هذه الطائفة من مات وعرفت أنه مات فبكت فضله المدفون ونفعه الذي فات»[2].

ويسترسل الشيخ الإبراهيمي في كلامه عن محمد ابن أبي شنب في خطبة التأبين التي ألقاها بمناسبة أربعينية الفقيد بالقول: «مات محمد فأين زملاؤه وشركاؤه في الصنعة، أنهم فقدوا بفقده ركنا من أركان العلم الصحيح، وعلما من أعلام التاريخ الصحيح، ومثلا مجسما من الأخلاق العالية والخلال الرفيعة، لا بل فقدوا معيارا من اصدق المعايير ليقيم الروايات، وعينا لا تغر صاحبها بالسراب، لا بل فقدوا عقلا هذبه العلم، وعلما هذبه العقل، فأنتجا خير النتائج، لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم»[3].

ويتعمق الشيخ الإبراهيمي في تحليل شخصية بن شنب فيقول:«الرجل كان محافظا حقا، ولكنه محافظ بالمعنى المعقول، محافظة البصير الناقد الذي يرى أن مشخصات الأمم منها جوهر ومنها عرض، وأن الجوهر منها هو الصالح للبقاء، وأنه لابد للفرد ولابد للجماعة في تكييفه كما يشاء أو كما تشاء، وأن تطوره موكول إلى نذير الاجتماع لا إلى تدبير الجماعات، وأن العرض منها محل التدبير والتغيير يصلح لزمن فيؤخذ ولا يصلح لآخر فينفذ، فالمحافظة على جوهر المقومات ليست محافظة، وإنما هي حفظ للقومية من الاندماج والتداخل وعماد لها أن تتداعى وتسقط، وأما الأغراض فهي قشور تتحول وتزول، فهي كأوراق الخريف توجد وتعدم والشجرة شجرة»[4].

كان بن أبي شنب مخلصا للعلم، متحليا بالمثابرة والاجتهاد، بالإضافة إلى منهجه وأسلوبه في البحث العلمي، ومن المفكرين المجددين في العلوم الإسلامية التي عرفت قرونا من الجمود والتقليد، وشكلت إحدى

1 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص126.

2 – محمد الصالح الصديق، ج1، المرجع السابق، ص141.

3 – **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، المرجع السابق، ص45.

4 – "**مجلة الشهاب**"، ع04، مج05، ماي 1929م، ص07. **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، المرجع السابق، ص46.

العقبات الأساسية في طريق النهضة والتحديث، «وإن المفكرين منّا لينشدون نهضة تقضي على التقاليد وتغرس ملكة الاستقلال في البحث التاريخي وإن بوادر هذه النهضة قد ظهرت من عهد غير بعيد وإن فقيدنا اليوم من الطلائع المبكرة لهذه النهضة بهذا الوطن وإن تبكيره هو سر خموله»[1] .

ويصف الشيخ الإبراهيمي أسلوب بن أبي شنب في البحث العلمي بالقول: «أسلوب البحث العلمي وبناؤه على المحاكمة والنقد فهو ظاهرة الرجل الخاصة به، ونعته بالصادق. ولا أكتمكم أني ما كنت شديد الإعجاب بالرجل إلا من هذه الخلة، ولا أكتمكم السبب الذي أودع هذا الإعجاب في نفسي بهذه الناحية من نواحي الرجل دون نواحيه الكثيرة، وكلها أجواء صافية والسبب هو أنني نظرت في جميع ما لدينا من تراث الأوائل كما نسميه وأمعنت في تتبع أطوار العلوم الإسلامية من النقطة التي وصل إليها مداها في الاتساع إلى المنشأ الأصلي، فوجدت أن جميع علومها الإسلامية في جميع أدوارها يعوزها الاختبار والنقد، يعوزها الاستقلال في الرأي، تعوزها الشجاعة إلى أن جاءت عصور الانحطاط فكان ذلك الأعواز بذرة فاسدة للتقليد في جميع علومنا حتى أصبحت أشباحا بلا أرواح، فلا عجب إذا أكبرت الرجل وأكبرت كل من يوفق إلى غرس هذه الملكة في نفسه».[2]

ما من شك بالنسبة للشيخ الإبراهيمي، بأن محمد بن أبي شنب صنع الاستثناء بين أقرانه من علماء عصره، ليس في الجزائر فحسب، إنما في جل الأقطار العربية والإسلامية، فحقق النجاح في حين تعثر غيره.

يقول مناجيا له في خطبة الأربعينية بالقول: «يا ساكن الثرى ومستبدل الغربة بالأهل، هذه الجزائر تناجيك بلسان طائفة من أبنائها البارين بك وبها وتقول: عرفك الغرب والشرق ولم تعرفك الجزائر حق المعرفة في حياتك، فهي تبكي عليك حق البكاء بعد وفاتك»[3].

من خلال تلك الشهادات العربية ، تبرز المكانة الرفيعة التي تمتع بها محمد بن أبي شنب في وجدان المثقفين والمفكرين العرب والجزائريين، حيث أعتبر:

- نموذجا للعالم المسلم الذي جمع بين الثقافة العربية الإسلامية والمناهج الأكاديمية الأوروبية الحديثة.
- جسدّ قدرة العالم المسلم على التفاعل مع الحضارات دون الذوبان (الخطاب، المظهر).
- يعد رمزا للمقاومة الفكرية والثقافية، الذي حول التحديات الاستعمارية إلى فرص لإحياء التراث العربي الإسلامي.

ثانيا: مكانته عند المثقفين والمفكرين الأوربيين

1- مارتينو(Martio): عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر والذي خلف باصيه(Basset) في هذه الوظيفة، يشير هذا الأخير إلى تعيين محمد بن أبي شنب كأستاذ للغة العربية في الجامعة: «بالنسبة لنا نحن زملاؤه

1 - **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، المرجع السابق، ص47.

2 - المرجع نفسه، ص47.

3 - المرجع نفسه، ص49.

الذين اقترحناه كأستاذ جديد تتوفر فيه المؤهلات المطلوبة، فقد كان معروفا لدينا منذ وقت طويل بإنتاجه، ويقدره المستشرقون الفرنسيون والأوربيون، والأمريكيون والآسياويون. وقد كنا نعرف أننا لم نحسن الاختيار فحسب ولكننا عبرنا أيضا عن إرادة فرنسية قوية، هي عدم التمييز في الأصل أو الطبقة الاجتماعية، أو العرق أو الدين عند تعيين الأساتذة الجديرين، بتعليم الشباب والمساهمة في البحث عن الحقيقة التي تنشدها الجامعات الفرنسية»[1].

وقد استطاع محمد بن أبي شنب المحافظة على علاقته بالمجتمع الفرنسي لأنه كان بعيدا عن خوض المناقشات السياسية أو المعارك والثورات والمقاومات، التي كانت لها أهمية كبيرة لدى الكثير من الجزائريين، والتي تجسدت فيما يسمى بظهور الحركة الوطنية.

وفي هذا الشأن يقول "مارتينو": «لم يكن محمد بن شنب يفكر أبدا في أن يتملق بكلمات مبتذلة لفرنسا التي أحسنت استقباله، ولو فعل ذلك لاستأنا منه، كما أنه لم يكن يفكر على الإطلاق في أن يقدم أية تنازلات عديمة الجدوى، ولم نكن نطلب منه ذلك لأن ذكاءه الفطري جعله يدرك بدون مشقة، أفكارنا وإحساساتنا العميقة، وكان شاكرا لنا بأن نفهم ونحترم أفكاره وإحساساته»[2].

ويضيف "مارتينو" قائلا: «أود أن أحدثكم عن ابن أبي شنب كأستاذ وعالما، فإنه وإن لم يصبح في الواقع واحدا من أهل الجامعة إلا في سنة 1924م، فإنه كان معنا جنبا لجنب منذ 1888م بصفته أستاذ محاضر، بل إن قائمة أعماله الجبارة تبدأ منذ عام 1895م...، إنها 20سنة من التعليم العالي، و35 سنة من النشاط العلمي...، ولن نستطيع استعراض كل أعماله بدقة...، ولكننا سنذكر أن ابن أبي شنب كان الأسوة الحسنة وكان ذلك العالم المسلم الذي عرف تحت إشراف شيخه السيد روني باسي(R.Basset)كيف يطلع على المنهجية الأوربية في العمل دون أن يضيع مناقبه وصفاته الأصلية، وقد أدرك أنه من واجبات النقد العلمي، تعلم اللغات الأجنبية، وأن أعمال العلماء لا تدوم ولا تكون لها قيمة إلا إذا كانت قائمة على قواعد متينة شديدة، ومنذ 20 سنة تنبأ أحد شيوخه وهو ويليام مارسيه(W.Marçais) أن الشيخ محمد بن أبي شنب سيصبح بعد مدة قصيرة من أكبر المثقفين المسلمين في شمال إفريقيا»[3]، ويضيف"مارتينو" «أظن أنه عن قريب وربما بعد سنين قليلة، سينهض عالما من فرنسا أو من الجزائر ليكتب مرة أخرى، تاريخ الوفاق بين الفرنسيين والمسلمين على أرض إفريقيا هذه، بعد أن تراكمت فيها أسباب العداوة وأسباب التنافر...، لأن مثال الشيخ بن أبي شنب سيفرض نفسه رمزا لأحسن ظروف التفاهم»[4].

1 – الفريد بيل، "محمد بن شنب فقيد العلم"، تر، عائشة حمار، **مجلة أشير**، ع2، الجزائر، سبتمبر 2004، ص39.

2 – المصدر نفسه، ص40.

3 – عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص138.

4 – الطيب ولد العروسي، **محمد بن أبي شنب دراسات وشهادات**، المرجع السابق، ص71.

ويقول "مارتينو": «إن كان محمد بن أبي شنب قليل النظير في الجزائر، فهو عديم المثيل في فرنسا...، وكانت حياته مما يضرب بها الأمثال لدى الحكومة الفرنسية»[1].

وفي الكلمة التي ألقاها بمناسبة التأبينية، ذكر فيها أن الفقيد كان خبيرا بمناهج البحث الأوربية، وأثنى عن أخلاقه الكريمة وانجازاته العلمية والفكرية العظيمة، فقد كان بحق صوت الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوربية في العمل من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته، وعرف لوازم النقد العلمي[2].

وتحدث عن التقديرات والتكريمات التي نالها من زملائه، ومن الحكومة الفرنسية ومن المؤسسات العلمية المحلية والدولية، كانتخابه عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، ومنحه وسام جوقة الشرف من الحكومة الفرنسية، واختياره من طرف زملائه في كلية الآداب ليمثل الكلية في مؤتمر المستشرقين الذي نظم في أكسفورد بانجلترا...الخ.

2- ألفريد بيل(Alfred Bel): يقدم المستشرق الفرنسي"ألفريد بيل" شهادته في بن أبي شنب، في مقال نشره بالمجلة الآسيوية سنة 1929م جاء فيه: «لقد شرّف ابن أبي شنب العلم الفرنسي في مدرسة الدراسات الشرقية الجزائرية التي كوّنته والتي كان بعد ذلك من أبرز ممثليها وأساتذتها. ولقد شرف فرنسا عندما كان على هذه الأرض الجزائرية واحدا من ألمع أولادها بالتبني ومن أكثرهم اعترافا بالجميل. كان ابن أبي شنب مخلصا لدينه ومتمسكا بلباسه التقليدي، ولكي لا يتنكر لتقاليده الإسلامية لم ير من الواجب أخذ الجنسية الفرنسية مما يجبره على التخلي عن الشرائع الإسلامية وعن منزلته الشخصية، وبالرغم من كل هذا فقد كان متشبعا بالثقافة الفرنسية. لقد أدرك ابن أبي شنب أن مستقبل إخوانه الجزائريين في الدين ليس في الاندماج السياسي المبكر ما دام لم يسبق بتطور مادي وفكري ومعنوي قادر على أن يرتفع بالجزائريين إلى مستوى مفهوم الأسرة والمجتمع في أوروبا الحديثة. وبقي ابن شنب بعيدا ومترفعا عن خوض المناقشات السياسية أو المعارك الانتخابية التي كانت لها أهمية كبيرة لدى كثير من الجزائريين»[3].

لقد رأى أنه من الأفضل أن يظهر ارتباطه بفرنسا وبأساتذته على منوال آخر، وذلك باستخدام نشاطه الخصب ومعرفته الواسعة في عمل علمي فرنسي المنهج حول الدراسات الإسلامية في شمال إفريقيا.

ختم بيل المقال الطويل الذي يذكر فيه خصال بن أبي شنب ومشواره الطويل في المجلة الأسيوية الشهيرة بالقول: «إن العلماء والمستشرقين في العالم كله والذين كانت له معهم اتصالات، فقد كانوا يجدون فيه الزميل العالم المفضال، والمستعد على الدوام لتقديم الخدمات، مما جعله يتمتع بتقديرهم ومودتهم، لقد ترك موت بن أبي

1 - محمد كرد علي، المصدر السابق، ص342.

2 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، المرجع السابق، ص172.

3 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص139.

شنب فراغا كبيرا بين صفوف أصدقائه وزملائه، وفي طلاب كلية الآداب وقسم الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر بخسارة عظيمة بفقدان هذا الأستاذ»[1].

3- "جورج مارسيه-Georges Marçais ": مستشرق فرنسي وعالم آثار، وأحد أساتذة كلية الآداب بجامعة الجزائر، وقد اختير مديرا لمعهد الدراسات الشرقية في الجزائر سنة 1913م[2] ، يقول في نهاية حديث خصصه لأعمال محمد بن أبي شنب العلمية «بأنه سيعطي فكرة ناقصة عن نشاطه العلمي، إذا لم يذكر ولو بكلمة واحدة جميع الأبحاث التي لم يوقعها المرحوم بقلمه، ولكنه زود لأصحابها بالوثائق والتصحيحات اللازمة مع مجاملات لا حد لها»[3]، ويقول أيضا: «ومن الواجب أن نشير إجمالا إلى جميع أعماله حتى يتجلى لنا نشاطه العلمي، فقد كنا نرجع إليه ونستضيء بضيائه، وكنا نناديه(شيخنا) فإنه كان يجمع إلى صفات العلم والعالم الحقيقي، صفات الصلاح والطيب» [4].

وإجمالا يمكن أن نحوصل تلك الشهادات الأوربية في ابن أبي شنب في النقاط التالية:

- حاز على مكانة مرموقة في الأوساط الأكاديمية الأوروبية.
- أشادوا باستقلاليته الفكرية وابتعاده عن الصراعات السياسية، مع التركيز على انجازاته العلمية.
- نظر الأوربيون إلى ابن أبي شنب كجسر للتواصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية، يجمع بين المنهجية العلمية الحديثة والتمسك بالهوية الإسلامية الأصيلة.
- ظلت هذه الرؤية الأوروبية تنظر إليه في سياق استعماري، جمعت بين الاعتراف بمنزلته العلمية، وتفسير خاص لمواقفه السياسية.

وفي الأخير، يظل محمد بن أبي شنب شخصية استثنائية حظيت بإجماع حول مكانته العلمية والأخلاقية بين المثقفين العرب و الأوروبيين، بينما اختلفوا في تفسير مواقفه السياسية. فقد اتفق الطرفان على تميزه الأكاديمي و قدرته على الجمع بين المناهج العلمية الحديثة والأصالة الإسلامية، غير أن القراءات اختلفت في تفسير هويته ومواقفه، بينما رآه العرب-وخاصة جمعية العلماء المسلمين- رمزا للمقاومة الثقافية والتمسك بالهوية الإسلامية لمواجهة الاستعمار، نظر إليه المستشرقون الأوروبيون كمارتينو وبيل كنموذج للتعايش والاندماج النسبي-دون التخلي عن الجنسية- في النظام الاستعماري.

1 - مولود عويمر، **أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر**، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، ص152.

2 - محمد عبد الرحيم الزيني، المرجع السابق، ص376.

3 - M. Martino/ Georges Marçais, "M. Ben Cheneb(1869-1929)", **R.Afr**, op-cit, pp150-159. /Alfred Bel, Mohammed Ben Cheneb, **journal asiatique**, op-cit, p361.

4 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص107.

المطلب الثاني: مكانة حسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب.

أولا: مكانة حسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين العرب.

1- إبراهيم مذكور(1902-1995): يعد إبراهيم بيومي مذكور من أبرز علماء اللغة في مصر والعالم العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين. وقد جاء في كلمة ألقاها بمناسبة أربعينية حسن حسني عبد الوهاب، أبّنه فيها نيابة عن مجمع اللغة العربية بمصر يقول فيها: «منذ أسبوعين أو يزيد قليلا، كان من حظي أن أزور تونس الخضراء موفدا من مجمع اللغة العربية، وذلك أداء لواجب مقدس، وتوديعا لراحل عظيم: هو المرحوم حسن حسني عبد الوهاب. وتلك أول مرة يوفد فيها المجمع إلى بلد آخر من ينوب عنه في إحياء ذكرى أحد الخالدين، وإن فقيدنا لجدير بكل تقدير وتكريم. وأشهد أن تونس اشتركت كلها في وداعه حكومة وشعبا، شيوخا وشبابا، كتابا وشعراء، صحافة وإذاعة. ودعت فيه الابن البار، والشيخ الجليل، والخلق السمح، والعلم الغزير، ودعت فيه الرائد الصادق، والمصلح الحكيم والإمام الذي خلف وراءه التلاميذ والأتباع»[1].

ويضيف قائلا: «فقدناه، فقدنا فيه حلاوة الطبع، وسماحة الخلق، وصفاء النفس، فقدناه فقدنا فيه الجليس الأنيس، والمتحدث العذب، والرواية الثقة، والخبير الواسع العلم والتجربة، فقدناه، فقدنا فيه أحب الناس إلينا، وأعزهم لدينا، فقدناه، ففقدنا فيه بقية صالحة من ذلك الرعيل الأول، الذي أسهم في بناء مجمع اللغة العربية وتشييد صرحه. ففقيدنا كان أحد خمسة من أعلام العالم العربي وشيوخه في الأدب واللغة، وهم: كرد علي، وعبد القادر المغربي من سوريا، واسكندر المعلوف من لبنان، والأب انستاس الكرملي من العراق، وحسن حسني عبد الوهاب من تونس. صدر بتعيينهم مرسوم ملكي في السادس من أكتوبر 1933م، وبقوا أعضاء بالمجمع إلى أن لقوا ربهم، يمدونه بفيض من واسع علمهم، ويغذونه بغذاء صالح من دقيق بحثهم»[2].

خدم حسن حسني المجمع خمسا وثلاثين سنة، وتلك مدة لم تتح لعضو آخر سواه، فكان يتتبع نشاط المجمع عن بعد، ويسهم فيه عن قرب، وكان يحرص كل الحرص على أن يشهد مؤتمره السنوي، وأصبح زملاءه يرون فيه شيخهم الذي عنه يأخذون، وإمامهم الذي به يهتدون.

وهكذا يستمر الأمين العام في تعداد مناقب حسن حسني عبد الوهاب، فيقول: «في الحقيقة إن فقيدنا وفقيدكم تونسي في الصميم، يؤمن بوطنه وقومه الإيمان كله، ويعتز بهما كل الاعتزاز، وقف حياته كلها على إحياء تراث تونس، وكشف معالم حضارتها العربية، و"كتاب العمر" الذي حدثنا عنه خير شاهد على ذلك، وقد أخرج منه القسم الأول منذ 03 سنوات، تحت عنوان "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية". وإنا لنرجو أن تخرج الأقسام الباقية إلى النور، نشرا لدرسه وبحثه، وتخليدا لذكراه، تغمده الله برحمته، وجزاه عن أمته وعروبته خير ما جزى به العاملون المخلصون»[3].

---

1 - إبراهيم مدكور، **بحوث وباحثون**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة- مصر، 1993م، ص89.

2 - ينظر، **نشرية النادي الثقافي(أبو القاسم الشابي)**، المرجع السابق، ص10.

3 - جلول ريدان، المرجع السابق، ص498.

2- محمد الفاضل ابن عاشور: محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن عاشور أحد كبار العلماء في تونس، تولى محمد الفاضل عمادة كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الزيتونة، كما تولى منصب مفتي الجمهورية التونسية.

جاء في كتابه الحركة الأدبية والفكرية في تونس ما بين القرنين التاسع عشر والعشرون، أن الحياة السياسية بتونس قضت على النشر العلمي بما قضت به على النشر الفني، فاختفت المجلات في عجاج المعركة الصحفية، وانقطع صوتها في ذلك الضجيج، وأقفرت الصحف من المقالات العلمية، بيد أن أصداء الحركة العلمية النشطة لم تزل متجاوبة في الدروس والمحاضرات، ومثل الإنتاج العلمي في الشرق والغرب لم تزل تحرك الهمم نحو البحوث التاريخية والأثرية التي تجلو عظمة الماضي الإسلامي في تفاصيله.

وقد ظهر في هذا الدور شاب مولع بالدراسات التاريخية والمباحث الأثرية هو حسن حسني عبد الوهاب الذي خلف البشير صفر في تدريس التاريخ في الخلدونية، فأدخل عليه من خصائص منهجه ما كون له وجهة جديدة[1].

نشأ حسن حسني عبد الوهاب في خدمة التاريخ التونسي، على تتبع دراسات المستشرقين والأثريين والأوربيين التي تطبع كتبا جامعة، أو تنشر مقالات في المجلات العلمية. فنما فيه ذوق البحث التفصيلي، والتنقيب الأثري والعناية بتحقيق المصادر وإحيائها، وغلب نفسه عن الانقطاع للدراسة والبحث، والعكوف على المطالعة والتحرير، فخالط المكاتب القديمة، وتعرف على المخطوطات العربية، وتنقل بين الآثار، جامعا وباحثا ودارسا وموضحا وكبرت نفسه اعتزازا بأمجاد التاريخ التونسي، وعظمت همته حرصا على التعريف بها، ولما اسند إليه تدريس التاريخ بالخلدونية كان عاملا على بثّ تلك الروح في طلبته، وعلى الدأب على توسيع دائرة بحثه وإنتاجه، فاتصل بمراكز البحث التاريخي والنشر العلمي، في الشرق والغرب وشارك في التحرير بالعربية، في مجلات علمية محترمة بالشرق مثل مجلة "المقتبس"، وبالفرنسية في كثير من المجلات والنّشرات التي تقوم عليها معاهد الاستشراق ومجامع الآثار، في أوروبا، زيادة على ما كان ينشر من البحوث التاريخية في الصحف التونسية، وخاصة بجريدة الزهرة، فكتب عن القيروان وآثارها، فأصدر في سنة 1330هـ/1912م أول تأليف له طبع مستقلا، وهو كتاب"بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق"، وضعه بمناسبة تأسيس نادي أدبي بالقيروان سمي"نادي ابن رشيق"، واهتم فيه بدراسة ابن رشيق وأدبه، ولكنه اهتم فوق ذلك، بوصف معالم القيروان وخططها وحضارتها على أسلوب وصفي يعتمد على إبراز نتائج المعارف التاريخية والبحوث الأثرية في قالب حي، يصور مدينة القيروان على ما كانت عليه حياتها العمرانية والعلمية والأدبية في عصرها الزاهر، على أسلوب يمكن المطالع من الوقوف على تلك المعارف الواسعة في مطالعة وجيزة ممتعة ليس فيها كلفة البحث، ولا عناء الدرس.

1 - ينظر، محمد الفاضل ابن عاشور، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس(في القرنين 13-14هـ/19-20م)**، مر.فه، محمد المختار العبيدي، بيت الحكمة، قرطاج-تونس، 2009، ص ص148.

ثم تفرغ لتلخيص التاريخ التونسي عامة، على منهج علمي دراسي متين، فألف كتابه "الخلاصة" المطبوع سنة 1332هـ/1914م، فقسم التاريخ إلى أدوار وأوجز في كل دور الكلام على أهم الآثار الباقية من كل دولة وكل دور، فكان أول كتاب سدّ حاجة المتطلعين إلى معرفة تاريخ تونس في أسلوب سهل محكم، وعلى منهج يتفق مع الأساليب العصرية والأذواق الحديثة.

وأصدر بعده كتاب "المنتخبات المدرسية" الذي قرّب فيه للطلبة ما كان صعبا جمعه على العلماء، من نصوص الشعر والنثر، الصّادر عن الأدباء التونسيين في عصور التاريخ العربي، مع تراجم وجيزة تبصر الناشئة بماضيها وتمكن فيها ذوق البحث التاريخي، إلى جانب الذوق الأدبي، والملكة العربية السليمة[1].

3- الشاذلي بو يحي(1918-1997م): وهو رائد من رواد التعليم العالي في تونس على امتداد أكثر من أربعين سنة، ومن الأدباء العرب القلائل الذين حرروا فصولا بـ"دائرة المعارف الإسلامية- Encyclopédie de L'Islam"

جاء في مقال نشره بمجلة "حوليات الجامعة التونسية" يرثي فيه حسن حسني عبد الوهاب، استهله بالقول: «موت أعلام الفكر تورّ لأجسامهم إلاّ بل ومن الناس من يدخل بوفاته حياة الخلود: يموت الفتى فتتجلى للأنام فضائله شاهدة مدى الأبد»[2].

ثم يسترسل في تعداد مناقبه ومكانته العلمية، فيقول: «تنشأ المجامع في الشرق فيكون من مؤسسيها فيغار الغرب فتكتنفه مجامعه ومعاهده العتيقة، وفي ذلك رمز لحياة حسن حسني عبد الوهاب العلمية: الأصالة في التراث القومي والتفتح إلى العالم الغربي حتى يصير من ورائها عنوانا ((للإنسانية)) المطلقة بمفهوميها البشري والثقافي، بل ومن وراء تلك المنزلة وبفضلها يسعى جهده في التأليف بين العالمين الشرقي والغربي في حضارتهما وثقافتهما وعلومهما»[3].

وعن أهم ما ترك من مؤلفات فيذكر أن أوّل بحث يصدر عنه كان بالفرنسية، يتحدث فيه عن "الاستيلاء الإسلامي على صقلية"، أمّا أول تأليف له فهو في حضارة القيروان "بساط العقيق"، وأول نصّ حققه "رسائل الانتقاد".

وهكذا سنّ حسن حسني عبد الوهاب منذ أول محاولاته العلمية الطريق التي ستبقى طريق حياته كلها، لن يحيد عنها قيد أنملة: عمل دائب مخلص لوطنه و قوميته العروبة و ملته الإسلام و جنسه الإنسانية لا يطغى الواحد منها على الآخر فينقصه حظه بل لكل نصيبه من عطفه و نصيب الكل منها هو الكل، ذلك لأن حسن حسني عبد الوهاب كان يدين بدين العلم و العلم جوهر و ما سواه عرض وإن سما، كما يقال!

1 - المصدر السابق، ص ص149-150..

2 - ينظر. الشاذلي بو يحي، "حسن حسني عبد الوهاب(1301-1388هـ/1884-1968م)"، **حوليات الجامعة التونسية**، ع 06، تونس، 1969، ص07.

3 - المرجع نفسه، ص07.

ولعل هذا هو السر في إرادته التضلع في جميع أنواع العلم أو جلها، لأنه لا يرى فضل واحد منها على الآخر بل ولا استغناء الواحد عن الآخر.

ولعل في هذا جواب سؤال لم أنفك أتساؤله مذ حظيت بمجالسة الشيخ الأستاذ من عشرين سنة خلت ورأيته ضارب في كل ميدان بسهم: ترى ما هو سبب ميله إلى الشمول دون التخصص؟ يتساءل الشاذلي بو يحي.

وكما أنّ علمه في الشمول لا في التخصص فإن عمله في العلم وللعلم كان هو الآخر يشمل شتى الطرق من تدريس وتأليف ومحاضرة ومحادثة...و«تقرأ له أو تسمعه فتتساءل أهو المؤرخ أم الفقيه أم الأديب أم اللغوي...هو كل ذلك، هو الشيخ الأستاذ، هو العالم الكامل، العالم ((الإنساني))، عبارات عرفنا مدلولها في غير عصرنا، فعبقرية حسن حسني عبد الوهاب إن كان في عصرنا يجمع ما لا يتسنى جمعه في عصرنا»[1].

تحسر الشاذلي بويحي على الفقيد، وهو الذي خالطه في مجالس الإمتاع والمؤانسة يقول عن ذلك:«لقد عرفه الناس أيضا نعم الجليس. عرفوه ((بمجلسه)) الحافل الأنيس بتونس ثم بضاحيتها ((سلام بو)) يؤمونه كعبة للعلم ومشكاة للفكر وبقية فريدة من تلك ((المجالس)) التي كان يتصورها خيالنا من خلال روايات أبي حيان وأمثاله إلا أننا حظينا وحظي خلق كثير من مشارق الأرض ومغاربها بحضورها والمشاركة فيها وكانت –ولا جزاف– مجالس إمتاع ومؤانسة»[2].

وانتحب لفقدان تلك المجالس بفقدان رجلها «فأين منّا اليوم –وقد مات حسن حسني عبد الوهاب– هاتيك المجالس؟ من لتونس اليوم –وقد فضّ بموت حسن حسني عبد الوهاب آخر مجلس بها من مجالس العلم والإمتاع والمؤانسة– بقطب يجمع من حوله طلاّبا وهواة فينطق بصوت هادئ وديع فيجيب على السؤال ويدلّ على الطريق وينير السبيل فينبري من هناك أولو العزم شيوخا وشبانا إلى البحث والتأليف يحملون من كنوز مكتبته ونور فكره وشاسع علمه وسديد هديه ما تساير تونس بثمرته ركب الحضارة والعلم؟»[3].

ليؤكد الشاذلي أن حسن حسني عبد الوهاب لم يكن بعلمه وإنتاجه فحسب، بل كان أيضا بوجوده بين ظهرانينا طودا شامخا في ذاته وإشعاعه، فلئن كان موت أعلام الفكر رزءا، قد يهون من وطأته بقاء أثرهم بين الناس.

4– الشاذلي القليبي: يعد الشاذلي القليبي من كبار الشخصيات التونسية في مجالات الثقافة والفكر والسياسة، وهو خليفة حسن حسني عبد الوهاب في المجمع العلمي بالقاهرة منذ 1973م، وقد أشار في خطاب توليه للعضوية إلى خصال حسن حسني عبد الوهاب ومساهماته في المجمع، وفي بحوثه التاريخية إذ كان « في طليعة المؤرخين العرب المحدثين الذين أخضعوا البحث التاريخي لمعطيات الآثار، وذلك لاستنباط ما ليس مذكورا في

1 – الشاذلي بو يحي، المرجع السابق، ص08.

2 – المرجع نفسه، ص 09.

3 – المرجع نفسه.

الكتب...، لقد خطا بالدراسات التاريخية في تونس أشواطا وجعلها تتصف بالدقة والأمانة وتهتم بالنفاذ إلى المقومات الحضارية»[1].

كما كان له الفضل في توجيه دولة الاستقلال إلى الاهتمام بالآثار والغيرة عليها، باعتبارها أحد المصادر الهامة لتاريخ البلاد، ويمدح القليبي شخصية عبد الوهاب باعتبارها «شخصية جذابة ملكت له قلوب أصدقائه ومريديه مما اجتمع فيها من شمائل شرقية عذبة، جعلت مجالسه عنوان "الإمتاع والمؤانسة" ومنتدى رجال الطرف والعلم، وقد لا يكون من المبالغة في شيء أن نقول أن تأثيره بالانهيال المباشر وبالسمر والإشعاع الشخصي، لم يقل أهمية عنه بواسطة كتبه وبحوثه المنشورة»[2].

حظي حسن حسني عبد الوهاب بمكانة رفيعة في الأوساط الثقافية والفكرية العربية والتونسية، حيث تميز بكونه:

– رائدا في الدراسات التاريخية والأثرية، جمع بين المنهج العلمي الحديث والأصالة التراثية، مع الانفتاح على الثقافة الغربية.

– علما موسوعيا، أسهم في إحياء التراث التونسي والعربي الإسلامي من خلال أعماله الأكاديمية ومشاركته في المجامع اللغوية.

– أثرى الحياة الفكرية التونسية عبر تدريسه في الخلدونية وتآليفه لكتب مرجعية، ومجالسه العلمية.

– ترك بصمة واضحة في توجيه السياسة الثقافية التونسية بعد الاستقلال.

ثانيا: مكانة حسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين الأجانب.

1– الأب أندريه ديمرسمان(André Demeerseman): مدير معهد الدراسات العربية بتونس ومؤسس مجلة إيبلا(IBLA) المتخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وخاصة الدراسات العلمية في مجالات الأدب والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وأيضا القراءة النقدية للكتب والبحوث المنشورة بتونس والمغرب الكبير والعالم الإسلامي[3].

جاء في كلمة ألقاها بمناسبة أربعينية حسن حسني عبد الوهاب، يقول فيها: "تنطوي كل نفس بشرية على سر عميق دفين يعسر علينا الكشف عن جوهرها وخصائصها مهما بلغت درجة اتصالنا بالشخص، مثل ذلك كمثل ماء في قعر بئر من السهل أن نشاهده من الفوهة لكن من الصعب أن نسبر غوره ونعرف مدى اتصاله بالتيارات المائية في باطن الأرض.

1 – الشاذلي القليبي، "العلامة حسن حسني عبد الوهاب في ذكراه الثلاثين"، **المجلة الصادقية**، ع11، تونس، أكتوبر1998م، ص ص11–14.

2 – المرجع نفسه.

3 - Gérard Demeerseman , **André Demeerseman(1901–1993) à Tunis**, **soixante ans à l'institut des Belles lettres Arabes (IBLA)**, karthala, Paris- France, 2014.

وما عساني أن أقول في سبر غور شخصية ثرية كشخصية فقيدنا حسن حسني عبد الوهاب، فمحاولة التعريف به وتحليله في بعض الجمل يعد ادعاء ساذجا، ولا أريد أن أتعرض هنا إلى سماته الذاتية، فقد قرأت لأحد الأفاضل بجريدة الصباح وصفا تقطف منه هذه الجمل، قال المحرر"كان يمشي في الطريق ثابت القدم متزن الخطى مفكرا كأنه يلاحق فكرة من الأفكار، ويبدو لي وقتئذ طويل القامة نحيلا بعض النحول، يلبس لباسا إفرنجيا أنيقا بدون تكلف ولا زخرف، متلائم المسائل، وذا بشرة بيضاء ضاربة على الحمرة، وعلى جبينه تجاعيد رقيقة وتحت طربوشه الأحمر معتدل الوضع ظهرت شعرات فضية، وفي يمينه مسبحة بين أنامل رقيقة النحت عاجية الأظافر، وله عينان غارقتان تحت منظار مذهب الإطار فيهما لمعان من الذكاء"[1].

أما الحديث عن تآليفه ومحاولة تحليلها فإني تركت ذلك إلى ذوي الكفاءة، واقتصر في كلمتي هذه على تعداد بعض الذكريات بقيت راسخة، وهي حصيلة حوار استمر بيننا سنين عديدة لم يطرأ عليها أي كسوف.

وأوجه اهتمامي إلى الرجل فقط، ولعل مرجع ذلك إلى صلة الود المتين التي تربط بيننا، فهو الحبيب الذي لم يتغير ولم تغير صروف الدهر عواطفه، وبقي في آخر عمره كما عرفناه في أول يومه، ويعتبر وفاؤه لنا من الخلال الحميدة التي ارتكزت عليها صداقتنا بحيث تبادلنا محبة يمكن أن نقول في شأنها[2].

"Un parti pris de bienveillance que l'expérience n'émousse pas"

"انحياز إلى الخير لم تزده الأيام إلا صلابة"، ولا أريد التجرؤ على تعريب هذا التعريف حتى لا أخون عبقرية اللغة العربية.

وما امتاز به من تناسق في جميع المدارك يشعر بأن الرجل كان هادئ النفس والبال مرتاح الضمير، قد غمر الهدوء نفسه في جميع الحالات حتى في أوقات المحن والأزمات التي قل أن ينجو منها بشر.

فقد اتصف بالحكم مع التوازن منعدمي النظير، وغلب عليه سلطان العقل حتى في خياله وإحساسه مع نظرة فلسفية للحياة جعلته يصمد ولا يضعف أمام التأثيرات التي يرتج لها القلب البشري، وكيف لا يكون ذلك والرجل أساس متين من التربية الإسلامية تدعو لتسليم الأحكام الإلهية، هذا زيادة عما أضافته إلى تكوينه الدروس التي لقنها إياه علم التاريخ[3].

2- شارل بيلا(Charles Pellat) [4]: هو أحد أكبر المستشرقين الذين كان لهم شهرة واسعة في الحركة الاستشراقية لا سيما أنه تخصص في دراسة الجاحظ أحد أمراء البيان في الحضارة الإسلامية، وشيخ من شيوخ الأدب.

---

1 - **نشريه (النادي الثقافي أبو القاسم الشابي)**، المرجع السابق، ص ص42-43.

2 -المرجع نفسه، ص45.

3 - ينظر، جلول ريدان، المرجع السابق، ص ص496-497.

4 - **شارل بيلا"Charles Pellat(1914-1992)**: ولد بسوق أهراس إبان سطوة الاحتلال الفرنسي على الجزائر، من أسرة فرنسية مستوطنة، تلقى تعليمه الأولى في المدارس الفرنسية بالجزائر، ثم توجه نحو باريس أين أكمل دراسته وتحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس. عين أستاذا في معهد الدراسات الإسلامية وهو قسم من كلية الآداب في جامعة باريس، ثم نُصب مديرا لهذا المعهد. اهتم بتحقيق التراث=

جاء في كلمة ألقاها تحت عنوان "حسن حسني كما عرفته" بمناسبة حفل التأبين قائلا: «أتشرف بتناول الكلام هنا بصفة ممثل للمجتمع الفرنسي للكتابات والآداب، وسأحاول أن أصف العلامة حسن حسني عبد الوهاب كما عرفته.

لقد نوه أصدقاء الفقيد بفضائله الفائقة ومحاسنه الرائعة فرثوه نثرا وشعرا، وترجموا له في الجرائد والمجلات دون أن يذكروا في أغلب الأحوال أنه كان عضوا من أعضاء اللجنة الإدارية لدائرة المعارف الإسلامية منذ سنين طويلة، وأنه ساهم في تحريرها أنفس مساهمة»[1].

ويضيف قائلا: «وإني لمعترف بأنني لم أكن عند بداية العمل قد سمعت بالسيد حسن حسني عبد الوهاب، ومضى أمد طويل قبل أن ألاقيه شخصيا، فإنما لمحته في باريس سنة 1948م بمناسبة مؤتمر المستشرقين الدولي وهو يمشي في الشارع وعلى رأسه طربوش يميزه عن غيره من المارة، ثم أدناني إليه النزاع العلمي الذي أحدثه ابن شرف ومقامته، فأتاح لي ذلك أن أعاشره بعد أن اتصلت به بصفة غير مباشرة بفضل كتبه المختلفة أمثال "المنتخب المدرسي من الأدب التونسي" و"بساط العقيق" في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق و"شهيرات التونسيات" وغير ذلك من نفيس المؤلفات ودقيق التحيات»[2].

ومما يدل على طول باع حسن حسني عبد الوهاب وسعة صدره، أنه لم يأل جهدا في إعانة بيلا على التماس نادر المخطوطات والحصول على نفيس المستندات[3].

ويسترسل شارل بيلا في الحديث عن دور حسن حسني عبد الوهاب في الحفاظ عن تراث تونس والأمة العربية والإسلامية من الضياع قائلا: «ولخلاله الكريمة التي بها يتسم...ينبغي أن أضيف إلى ما شاهدته رأسا من خصاله الشريفة وتصرفاته الأنيقة، حرصه على جمع المخطوطات العربية الموجودة في البلاد التونسية وغيرها، فجمع طول حياته عددا وافرا من آثار الكتاب التونسيين وغير التونسيين، فأنجاها في كثير من الأحوال من الضياع والخراب والتلف وخدم العلم أيما خدمة»[4].

=ونشر كتب الجاحظ. للمزيد ينظر، محمد الجويلي، **شارل بيلا Charles Pellat**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2019، ص ص16-17.

1 -شارل بيلا، "حسن حسني عبد الوهاب كما عرفته"، **مجلة الفكر**، ع05، تونس، 01 فيفري 1986م، ص57.

2 - المرجع نفسه، ص58.

3 - يذكر ذلك شارل بيلا قائلا: «أتذكر أنه اعتذر إلي مرة-يقصد عبد الوهاب- فغادر القاعة التي كنا نتجاذب فيها أطراف الحديث ثم عاد وفي يده ظرف غليظ، فناولنيه قائلا:((C'est une petite chose)) ولما فضضت ختام الظرف وجدت داخله صورة شمسية من مخطوط مبتور كان اقتناها عبد الوهاب بالقاهرة»، للمزيد ينظر، **شارل بيلا**، المرجع السابق، ص60.

4 - المرجع السابق، ص60.

- جميع تلك المخطوطات التي تحصل عليها حسن حسني عبد الوهاب في حياته، أهداها إلى دار الكتاب الوطنية التونسية سنة 1969م، وقد ظهر الفهرس العام لتلك المخطوطات سنة 1975 من إعداد عبد الحفيظ منصور، ونشر على نفقة المعهد القومي للآثار. لقاء خاص مع عبد الحفيظ منصور على هامش الندوة التاريخية حول حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الوطنية، تونس، 17 أفريل 2017، على الساعة الثانية ونصف بعد الزوال.

كان حسن حسني عبد الوهاب قامة علمية، حازت على احترام النخبة الفكرية والثقافية الغربية، حيث رأوا فيه:

– نموذجا في الجمع بين الأصالة والمعاصرة في توظيف المنهج العلمي الغربي لخدمة التراث العربي الإسلامي.

– ساهم بشكل كبير في الحفاظ على المخطوطات العربية والإسلامية وإنقاذها من الضياع، وفتح أبواب المعرفة للباحثين من مختلف الثقافات.

– ترك إرثا متعدد الأبعاد، جمع بين العمق الأكاديمي والقيم الإنسانية، مما جعله حلقة وصل بين الشرق والغرب.

وهكذا برزت مكانة حسن حسني عبد الوهاب كشخصية علمية متميزة، حازت على تقدير المفكرين والمثقفين العرب والغربيين، يعكس ذلك التقدير تعدد أبعاد عطائه الفكري. ففي المحيط العربي والإسلامي، ظهر تقديره كرمز للهوية الثقافية وحارس للتراث التونسي، وعالم موسوعي جمع بين الأصالة والمعاصرة.

بينما في الأوساط الأكاديمية الغربية، نال اعترافا كباحث متميز جسّر الهوة بين التراث العربي الإسلامي والمنهجية العلمية الحديثة، ومساهمته الكبيرة في حفظ المخطوطات والموسوعات العلمية. هذا التكامل بين الرؤيتين، هو الذي جعل من عبد الوهاب نموذجا للعالم الذي يحترم تخصصه العلمي، دون أن يفقد ارتباطه بهويته الثقافية.

المبحث الثالث: موقف محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من الاستعمار الفرنسي وعلاقتهما به.

المطلب الأول: موقف محمد بن أبي شنب من الاستعمار الفرنسي وعلاقته به.

كثيرا ما يطرح هذا التساؤل، ما هو موقف محمد بن أبي شنب من الاستعمار الفرنسي؟ وكيف تعامل مع جملة القضايا المطروحة أنذلك؟

انطلاقا من الإشارات القليلة الواردة في كتابات وخطب عدد من الأعلام الذين تناولوا شخصية محمد بن أبي شنب خاصة في مناسبات تأبينه أو بعض التظاهرات التي أحيت ذكراه، يبدوا أن معالجة هذا الموضوع ليس بالسهل، لقلة من خاض فيه أو أشار إليه، فباستثناء أبو القاسم سعد الله وما أشار إليه عبد الرحمان الجيلالي، وبعض التلميحات في كلام الزاهري وبعض المستشرقين، لم نطلع على من تفحص هذا الجانب من حياة الرجل، ويمكن إرجاع هذا الأمر أساسا إلى موقع بن أبي شنب الذي برز كشخصية علمية وثقافية عامة، ونقطة اتصال ثقافي بين دوائر البحث العلمي الاستعماري والمؤسسات الثقافية العربية.

تبرز أول الإشارات في هذا الموضوع عند الشيخ عبد الرحمان الجيلالي في معرض حديثه عن خصال محمد بن أبي شنب وموقفه من السياسة بالقول: «هكذا نجد شيخنا يخوض ويبحث مع محدثه أو تلميذه أو صديقه في كل ميدان من ميادين الحياة، إلا ناحية واحدة فتراه لا يحوم حولها ولا يقرب ساحتها، وهذه الناحية هي جانب السياسة فلم ترو عنه كلمة واحدة في هذا الموضوع الشائك، ولعله في ذلك متأثرا بكلمة الأستاذ الإمام الشيخ

محمد عبده رحمه الله حيث قال : فإن شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فأنا معك من الشاهدين. أعوذ بالله من السياسة، ومن لفظ السياسة...»[1].

يقرن الشيخ الجيلالي القول بين رفض الخوض في موضوعات السياسة من طرف ابن أبي شنب وهذا الرفض الصادر عن زعيم النهضة بمصر محمد عبده، وهي مقارنة في الحقيقة بقدر ما تدل على جانب من جوانب شخصية ابن أبي شنب، بقد ما تدل أيضا على إرادة الشيخ في تبرئة أستاذه مما يمكن أن يتعرض له من قدح بخصوص موقفه السياسي الحرج.

واثبات اتفاق ابن أبي شنب مع محمد عبده بخصوص الامتناع عن الحديث في السياسة لا يدل في الحقيقة على نفي لوجود موقف سياسي بقدر ما يدل على حرص الشخصيتين على الابتعاد عن بؤر التوتر السياسية في عهدهما لكي لا يتعرض عملهما الفكري إلى العوائق التي تضعها السلطة السياسية المهيمنة في عهدهما على مقاليد الحكم[2].

أضف إلى ذلك أن الشيخ عبد الرحمان الجيلالي يورد موقفا لابن أبي شنب لا يمكن أن يفسر إلا بكونه يمثل موقفا وطنيا مبطنا وغير معلن، يقول في محاضرته التي ألقاها أمام جمهور بمناسبة إحياء ذكرى ابن أبي شنب في المدية سنة 1982م: «وظل كذلك إلى أن أطلت سنة 1929م حيث أخذت الحكومة الفرنسية في الاستعداد إلى احتفال سنة 1930م لإقامة مهرجانات الاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر(1830-1930) وكثر يومئذ الحديث عن هذا الاحتفال القرني وشرعت الدوائر الرسمية وهيأة الحكومة مجتهدة في تحضير مظاهر الزينة والبهجة لهذا المهرجان، فكان الشيخ حين يطرق سمعه هذا المعنى تنقبض له نفسه ويقول :" آمل أن لا أشهد هذا المشهد المحزن بنفسي، وأن لا أحضر هذا اليوم... وأرجو أن أكون غائبا... "؛ وكأن الدهر قال آمين فأسعفه الله إلى مراده واصطفاه إلى جواره... »[3]، فمثل هذه الشهادة تؤكد الموقف الوطني بمفهومه الواسع لابن أبي شنب وعدم رضاه عن السياسة الاستعمارية في الجزائر.

أما أبو القاسم سعد الله فيذكر عند تناوله لعلاقة محمد بن أبي شنب بمحمد كرد علي بأنه «كان أول دخول ابن أبي شنب في ميدان المستشرقين مساهمته في مؤتمرهم الدولي الرابع عشر الذي انعقد بمدينة الجزائر سنة 1905م، وكان آخر مؤتمر حضره لهم هو المؤتمر السابع عشر الذي انعقد بمدينة "أكسفورد" سنة 1928م، وهو المؤتمر الذي التقى فيه بمحمد كرد علي لأول مرة على ما يظهر. ونحن نركز على هذه العلاقة بين أبن أبي شنب

1 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص150.

2 - الجدير بالذكر، أن نشير إلى أن الشيخ محمد عبده(1848-1905م) بدأ مسيرته منخرطا في العمل السياسي المباشر تحت تأثير أستاذه جمال الدين الأفغاني، حيث شاركا في تأسيس الحزب الوطني الحر أول أحزاب الشرق الوطنية بشعاره الشهير "مصر للمصريين". ثم ساند عبده الثورة العرابية ضد الاستعمار البريطاني والاستبداد الخديوي سنة 1882م، لكن بعد فشل الثورة تم نفيه خارج مصر. تحول بعدها إلى نهج إصلاحي تدريجي يركز على التعليم والقضاء والدعوة الدينية كوسائل للتغيير بدلا من المواجهة السياسية. وفي هذا السياق جاءت مقولته الشهيرة"لعن الله السياسة...". ينظر، محمد عمارة، **الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين**، ط2، دار الشرق، القاهرة- مصر، 1988م، ص ص179-210.

3 - المرجع السابق، ص155.

والمستشرقين لأنها قد أثرت على أسلوبه في الكتابة وحتى على انتمائه السياسي. فقد منحته فرنسا وسام فارس جوقة الشرف سنة 1922م لولائه وخدماته وأرسلته في عدة مهمات لأنه كان موضع ثقة رجالها»[1].

ويتحدث أبو القاسم سعد الله في معرض تعليقه على الرسائل التي نشرها والتي وجهها ابن أبي شنب إلى محمد كرد علي، عن الدلالة التاريخية التي تكشف عنها هذه الرسائل بالنسبة لموقع ابن أبي شنب بين الثقافتين الفرنسية من ناحية والعربية الإسلامية من ناحية ثانية. فيقول: «كما أن لهذه الرسائل قيمة تاريخية هامة فهي تكشف عن الصلة الوثيقة بين علماء المشرق والمغرب العربيين القائمة على الثقافة العربية والتقاليد الإسلامية، وهي تظهر أيضا نواحي أخرى تتعلق بشخصية ابن أبي شنب، فهو رغم مكانته لدى الفرنسيين لم يستطع أن يقنع أعضاء هيئة تحرير (المجلة الإفريقية) بضرورة تبادلها مع مجلة المجمع العلمي العربي، ونلاحظ كذلك أنه بعد وفاة"رينه باسيه" قد رشح ابن أبي شنب صديقه هنري ماسيه لعضوية المجمع ولم يقترح أي شخص من زملائه الجزائريين الذين سبق له أن قال عنهم "خدموا اللغة العربية في بلاده" وكان بذلك في نظرنا يخدم الاستشراق والثقافة الفرنسية أكثر مما كان يخدم التيار العربي والثقافة العربية، ولعل ترشيحه إلى عضوية المجمع قد تم أيضا بهذه الطريقة، كما كشف ابن أبي شنب في بعض رسائله عن دور الوساطة الإدارية لقضاء المصالح في عهده، فقد نصح صديقه محمد كرد علي بأن يستعمل نفوذ بعض الفرنسيين" من أصحاب الوجاهة والتمكين" للحصول على إحدى المطبوعات من الجزائر»[2].

مما تقدم، يحدد لنا سعد الله موقف محمد بن أبي شنب السياسي، من خلال تمثيله لفرنسا في مختلف المحافل الدولية وأنه أصبح موضع ثقة لهم وحصل على جوائزهم التشريفية، فهو بذلك في خانة المنحازين للسياسة الفرنسية.

أما المستشرق ألفريد بيل(Alfred Bel) صديق بن شنب، يذكر في مقالة كتبها عنه في المجلة الآسيوية سنة 1929م يقول فيها: «لقد شرّف ابن أبي شنب العلم الفرنسي في مدرسة الدراسات الشرقية الجزائرية التي كوّنته والتي كان بعد ذلك من أبرز ممثليها وأساتذتها. ولقد شرف فرنسا عندما كان على هذه الأرض الجزائرية واحدا من ألمع أولادها بالتبني ومن أكثرهم اعترافا بالجميل. كان ابن أبي شنب مخلصا لدينه ومتمسكا بلباسه التقليدي، ولكي لا يتنكر لتقاليده الإسلامية لم ير من الواجب أخذ الجنسية الفرنسية مما يجبره على التخلي عن الشرائع الإسلامية وعن منزلته الشخصية، وبالرغم من كل هذا فقد كان متشبعا بالثقافة الفرنسية. لقد أدرك ابن أبي شنب أن مستقبل إخوانه الجزائريين في الدين ليس في الاندماج السياسي المبكر ما دام لم يسبق بتطور مادي وفكري ومعنوي قادر على أن يرتفع بالجزائريين إلى مستوى مفهوم الأسرة والمجتمع في أوروبا الحديثة.

وبقي ابن شنب بعيدا ومترفعا عن خوض المناقشات السياسية أو المعارك الانتخابية التي كانت لها أهمية كبيرة لدى كثير من الجزائريين. لقد رأى أنه من الأفضل أن يظهر ارتباطه بفرنسا وبأساتذته على منوال آخر،

1 - المرجع نفسه، ص47.

2 - المرجع نفسه.

وذلك باستخدام نشاطه الخصب ومعرفته الواسعة في عمل علمي فرنسي المنهج حول الدراسات الإسلامية في شمال إفريقيا»[1].

وجاء في كلمة للمستشرق ريموند مارتينو (Raimundo Martini) بأن ابن أبي شنب «لم يكن يفكر أبدا في أن يتملق بكلمات مبتذلة لفرنسا التي أحسنت استقباله ولو فعل ذلك لاستأنا منه وكما أنه لم يكن يفكر على الإطلاق في أن يقدم أية تنازلات عديمة الجدوى، ولم نكن نطلب منه ذلك، إن ذكاءه الفطري جعله يدرك بدون مشقة أفكارنا وإحساساتنا العميقة، وكان شاكرا لنا بأن نفهم ونحترم أفكاره وإحساساته»[2].

من خلال قراءة هذا التشخيص لموقف ابن أبي شنب اتجاه الاستعمار الفرنسي من جهة وانتمائه العربي الإسلامي لأمة تعاني من التخلف الحضاري وترزح تحت نير الاحتلال من جهة ثانية، يتأكد ذلك اللبس الواضح في تحديد الموقف السياسي لهذه الشخصية في فترة تاريخية تعد منعرجا خطيرا وحاسما بالنسبة للجزائريين، يصعب معها إيجاد إجابة مقنعة حول موقفه من الاستعمار الفرنسي، هل كان يرى بأن دوره في الجهاد هو الكتابة، أم كان قابلا بالأمر الواقع؟.

تبقى هذه النقطة غامضة في سيرة بن شنب حتى وإن أكد الشيخ البشير الإبراهيمي، بأن دور الرجل كان دائما الجهاد بالكلمة «في المحافظة على القومية الصحيحة، في إطراح الحظوظ والرهانات، في استخدام البصيرة في كل شأن من شؤون الحياة في القصد»[3].

المطلب الثاني: موقف حسن حسني عبد الوهاب من الاستعمار الفرنسي وعلاقته به.

لقد كان السؤال البديهي والمنطقي لدى الباحثين في شخصية حسن حسني عبد الوهاب هو: كيف استطاع عبد الوهاب أن يتأقلم مع الواقع ونقيضه؟ أن يعمل وزيرا وقبلها رئيسا للأوقاف وعاملا...، في الفترة الاستعمارية، ثم يرأس إدارة من الإدارات الكبرى في عهد الدولة المستقلة بتعيينه على معهد التراث دون أن يثير ذلك جدلا حقيقيا حول مسألة العمل داخل أجهزة الدولة الاستعمارية، وعلاقته بمسألة التحرر الوطني وبالدولة المستقلة وأجهزتها بعد ذلك.

وكيف تمكن عبد الوهاب من كسب ثقة النخبة الوطنية التونسية التي رفعته إلى رئاسة جمعية قدماء الصادقية لمدة خمس سنوات (1919-1923)، وثقة الإدارة المركزية التي رقته ووسمته بوسام جوقة الشرف الفرنسي (Chevalier) في عام 1922م.

إن شخصية حسن جسني عبد الوهاب المتغيرة هذه، تجعلنا نطرح السؤال حول طبيعة النشاط السياسي وموقفه من الاحتلال الفرنسي قبل وأثناء تقلده المناصب العليا في دولة الحماية، وهل انتماءه لنادي "الشبان

1 - ألفريد بيل، المصدر السابق، ص11.

2 - عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص139.

3 - الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، المرجع السابق، ص69.

التونسيين"[1] كان بسبب الحس الوطني الذي تفجر لديه بفعل الحرب العالمية الأولى، وما آلت إليه البلاد بعد انضمام الدولة العثمانية لأعداء فرنسا وعلى رأسهم ألمانيا، والأمل في الخلاص من الاحتلال على يديها؟

أم أن الذي قام به عبد الوهاب لا يعدو أن يكون مناورة لا أكثر؟ والغرض منها هو العودة إلى الوجاهة وإلى الموقع المخزني القديم الذي فقدته العائلة بعد طرد والده صالح بن عبد الوهاب من خطة قايد على المهدية سنة 1896م.

وسوف نحاول الإجابة عن تلك التساؤلات وبلورة فكرة مناسبة، ذلك أن الباحث مهما أوتي من مصادر يبقى جهده عمل بشري غير قادر على الوصول إلى دوافع الشخصية موضوع البحث، وخاصة نحن نتناول جانبا مهما في شخصية الرجل، فالتقارير الأمنية الفرنسية تذكر أن حسن حسني عبد الوهاب وإخوته انضموا إلى من عرفتهم الوثائق "بالشبان التونسيين"[2] المناهضين لفرنسا؟

يتشكل تنظيم الشبان التونسيين من مجموعة من الشباب التونسيين الذين اعتمدوا في مرجعيتهم على الحركة الإصلاحية التونسية التي نادى بها خير الدين التونسي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعلى قيم الحضارة العربية والإسلامية والمدنية الغربية[3]، وارتكز نشاطهم أساسا حول القضايا الاجتماعية، المتمثلة في تحسين وضع الأهالي، ونقد الأوضاع الاجتماعية المزرية، والمطالبة بتحديث المجالات الاقتصادية ومشاكل المشاركة السياسية والمساواة في أجور الموظفين وإصلاح العدالة الاجتماعية.

والملاحظ أن تقارير البوليس السياسي الفرنسي، كانت تصف الشباب التونسي "بالفئوية" ذات المصالح المتناثرة والأنانية، وهو ما نجده كذلك عند أحمد توفيق المدني الذي كان ميالا إلى وصف النخبة بتونس العاصمة خصوصا خلال الحرب العالمية الأولى بـ"الصفة الانتهازية".

يقول وهو يقصد هذه النخبة: «وتلك فلسفتهم في تلك الأيام، اتركوا الحرب تمر وتنتهي فإذا ما انتصر الفرنسيون والإنكليز، نذكرهم بحسن سلوكنا وما جندوه من الآلاف المؤلفة من شباب شعبنا وطالبناهم عندئذ بحقوقنا. أما إذا انتصر الألمان والعثمانيون بكينا لهم وذكرنا لهم ما كنا نقاسيه من مذلة وهوان. وأكدنا أن فرنسا جندت رجالنا على كره منا ومنهم وكنا مكتومي الأنفاس»[4].

---

1 – هذه التسمية يقصد بها مجموعة "الشباب التونسي" لفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وخلال الحرب، لتتغير التسمية إلى "الدستوريين" بعد الحرب وهذا ما يظهر في التقارير الأمنية التونسية. للمزيد ينظر، الفصل التمهيدي، المبحث الثاني، المطلب الأول: أوضاع تونس السياسية خلال فترة الاحتلال.

2 - A.N.T, S-E, C550- 15/30, D21 **Gens à surveiller**, **Ali Abdul Wahab** .

3 – عبد المجيد كريم وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881–1964**، منشورات م.ع.ت.ح.و.ت، تونس، 2008، ص34.

4 – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المرجع السابق، ص74.

تؤكد الوثائق الأمنية الفرنسية على أطماع "الشبان التونسيين"، فصنفتهم على أساس ذلك: البعض يأمل الوصول إلى وضعية اجتماعية راقية، وآخرون يرضون حقدهم ضد الحكومة الفرنسية، لأنها لم تساو في الرتب بين الموظفين التونسيين ونظرائهم الفرنسيين... أما بالنسبة لحسن عبد الوهاب وإخوته، فيعتبرون أن فرنسا هضمت حقوقهم من حيث أن أبوهم كان يشغل خطة قايد(فلماذا لا نكون نحن أيضا عاملين على نحو ما كان عليه أبونا) كما كانوا يقولون؟ وآخرون في نهاية المطاف يعلقون آمالا على حدوث اضطرابات للوصول إلى الثروة.

كما أشارت التقارير الأمنية إلى الاجتماعات التي كانت تعقد من طرف هؤلاء الشبان، وأبرز من كان يحضرها من أمثال: محمد الحبيب باي، وطاهر باي، وعلي باش حامبه، والطاهر بن عاشور، وعبد الجليل الزاوش، وحسن قلاتي، ومحسن زكريا وغيرهم.

كما أشارت إلى الاتفاق على إنشاء صحيفة باللغة الفرنسية ناطقة باسم المجموعة مدعومة من طرف أحد الأعوان الألمان[1].

لقد اتهم أبناء عبد الوهاب حسن وعلي بالخصوص ومعهما عبد العزيز الثعالبي بترويج الإشاعات البغيضة لبث البلبلة بين الفئات السكانية المتناحرة[2]؛ كالتي وقعت بين الايطاليين والفرنسيين بسبب تكثف التعمير الزراعي الإيطالي وتهديده الاستعمار الزراعي الفرنسي بفضل حصوله على الدعم المباشر من الحكومة الايطالية، وبين الايطاليين والمسلمين بسبب احتلال ايطاليا لليبيا وقيام التونسيين بالدعوة للجهاد والمشاركة فيه[3].

ويشير حسن حسني عبد الوهاب إلى شعور كامل التونسيين بالعطف والموالاة لإخوانهم الطرابلسيين، وهو ما كدر صفو علائق أبناء البلاد بالجالية الإيطالية المقيمة بتونس[4].

كما حدثت مشاكل بين اليهود والمسلمين، واليهود والفرنسيين بسبب الدور الربوي الذي يقوم به اليهود، الذين استغلوا أحداث الحرب العالمية الأولى للإثراء على حساب التونسيين والفرنسيين، واضطربت العلاقات بين التونسيين والفرنسيين بسبب ما أشيع من أن فرنسا وحلفائها، قد انتقمت من الإسلام الممثل في شخص تركيا[5].

إن تركيز التقارير الأمنية على أبناء عبد الوهاب بداية من سنة 1917م ليس بالصدفة، وإنما يعكس ظهور هؤلاء الأبناء على الساحة السياسية وما نسب إليهم من نشاط معادي لفرنسا، ليس إلا تأكيدا على ما أولته فرنسا لهذه النخبة في هذه الظرفية بالذات، وإذا جاز القول بما احتوت عليه هذه التقارير من كون انتماء حسن حسني عبد الوهاب للشباب التونسي هو فقط بهدف مصلحي ضيق، فذلك لم يكن إلا موقفا ظرفيا خاصة وأن

1- A.N.T, S-E, C550- 15/30, D21 **Gens à surveiller**, **Ali Abdul Wahab**, **op-cit**.

2 - A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 59, Juillet 1918.

3 - A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 42, 20/05/1917.

4 - حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، المرجع السابق، ص ص220-221.

5 - A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 64, 23/11/1918.

أحداث سير الحرب في بدايتها وحتى 1917م كانت لصالح ألمانيا وحليفتها الإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذي جعل مختلف فئات الشباب التونسي وعلى رأسهم أبناء عبد الوهاب تروج الإشاعات ضد فرنسا وحلفائها ولفائدة الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا[1].

لقد كانت سنة 1920، سنة إحباط بالنسبة "لشبان التونسيين" بعد رفض مطالب الشعبين الجزائري والتونسي، والرد السلبي على رسالة الثعالبي رئيس الوفد التونسي في مؤتمر الصلح 1919م، واعتباره المسائل العالقة بشمال إفريقيا مسائل داخلية تخص فرنسا، وطرد الثعالبي من باريس في جويلية 1920 بتهمة التآمر على أمن الدولة كي يحاكم في تونس بعد نشره كتاب"تونس الشهيدة"[2].

وقد أدت خيبة الأمل هذه بحسن حسني عبد الوهاب إلى الانسلاخ عن الحزب الحر الدستوري، حيث لم نجد له أي نشاط بداية من عام 1921م، ورغم صداقته للثعالبي كان يرفض أي ارتباط بالدستور، فقد أورد أحمد توفيق المدني، أن عبد العزيز الثعالبي تمكن من الحصول على فتوى الحقوقيين الفرنسيين" بارتلمي" و"وايس"[3]، وطلبا من حسن حسني عبد الوهاب ترجمة هذه الفتوى، التي تنص على "ألا تضارب بين الناحية القانونية بين نظام الحماية وإرجاع العمل بالدستور"، فرفض بكل لباقة، وأشار على عبد العزيز الثعالبي وأحمد توفيق المدني آنذاك ببعض العناوين الضرورية للقيام بهذه الترجمة[4].

لم يلتزم حسن حسني عبد الوهاب بعد ذلك بالتنظيمات ولا بأشخاص معينين، لا بالحزب الحر الدستوري ولا لمؤسسه الثعالبي بعد بروز هذا الحزب، بل كان التزامه لدائرة البايات وسلطة الحماية، ليس من خلال نشاطه السياسي فقط، وإنما من خلال نشاطه الفكري والثقافي.

بعد الثلاثينات، لم يُسجل موقفا واضحا لعبد الوهاب ضد الاستعمار الفرنسي وسياسته الاستعمارية، وعلى العكس من ذلك فهو لم يدخر جهدا لتقديم خدماته للإدارة المركزية بصفته عاملا على المهدية في ما عرف بأحداث التجنيس سنة 1933م، والتي انفجرت بفعل دفن أبناء المتجنسين في المقابر الإسلامية، ثم موقفه من تجذر العمل الوطني والنشاط المتصاعد للحركة الوطنية التونسية.

لقد أدار عبد الوهاب القايد الأحداث التي خلقتها دفن أبناء المتجنسين في المقابر الإسلامية بالصورة التي خدمت الإدارة المركزية، وهو ما تبينه رسالة الشكر والامتنان من الوزارة الأولى والتي جاء فيها:«وبعد لقد بلغنا ما

1 - A.N.T, S.E, C550- 15/30, D21, **Gens à surveiller**, **Ali Abdul Wahab**, **op-cit**

2- A.N.T, S-E, C550- 15/30, D21. **Gens à surveiller**, P81, 04/09/1920.

3 - Ali Mahjoubi, **Les Origines du mouvement national en Tunisie 1904-1934**, **publication de L'université de Tunis**, Faculté des lettres, 1982, p266.

4 - احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص227.

بذلتموه من المساعي المشكورة وتذليل الصعوبات القايم بها ذوي المقاصد فيما يخص المقبرة التي اخترتموها لدفن المتجنسين بالمهدية ونعرفكم أن الحكومة تشكركم على ما أظهرتموه من حسن الصنيع في هذا الغرض ودمتم»[1].

لقد كشفت عديد القضايا في المهدية ونابل ومنزل تميم سنوات 1934 و1935 و1936، ثم مظاهرات أفريل 1938 التي عرفتها كامل البلاد التونسية ولاسيما في تونس العاصمة المطالبة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين التونسيين وبحكومة وطنية وبرلمان تونس، عن الشخصية الحقيقية لعبد الوهاب وخضوعه للواقع الاستعماري باعتباره موظفا خاضعا للإدارة المركزية.

لقد اختار عبد الوهاب على ما يبدو عدم المواجهة مع تيار الحركة الوطنية المتصاعد خلال الثلاثينات، وإقامة علاقة متوازنة بين ما هو إداري بحت تجاه الإدارة المركزية وتطبيق التعليمات، وبين ما هو سياسي تحاشى التدخل فيه، وهو عامل على المهدية، ثم وهو عامل على نابل، فقد بينت العديد من الوثائق أن حسن حسني عبد الوهاب لم يقم بما من شأنه أن يعيق الاجتماعات التي قام بها بورقيبة في عمل نابل قبل شهر من الأحداث التي عرفتها البلاد في أفريل 1938م[2]، واكتفت الشرطة المختصة بإقامة دعوى ضده وضد من صاحبوه.

إن الواقع الذي عمل فيه عبد الوهاب، جعله يتقمص أدوارا مختلفة تتراوح بين الخضوع للواقع الاستعماري باعتباره موظفا خاضعا للإدارة المركزية، وخضوعا للواقع المعيش الذي كانت تعيشه تونس المحمية وعلاقاته الداخلية المشبوهة بسبب التأثير الاستعماري.

لذلك ستبقى شخصية عبد الوهاب من هذا الزاوية مثار جدل بين الباحثين!

1 - جلول ريدان، حسن حسني عبد الوهاب 1883-1968، المرجع السابق، ص 220.

2 - S.M.N, C38 , D1. **Notes et rapports relatifs à la tournée de propagande effectuée par Bourguiba dans le sahel et le Cap Bon avant les incidents d' avril 1938**, P14, 10/03/1938.

خلاصة الفصل.

نستخلص مما سبق؛ أن بن شنب وعبد الوهاب حتى وإن ولدا في تاريخين مختلفين: سنة 1869م بالنسبة للأول وسنة 1883م بالنسبة للثاني، إلا أنهما ينتميان إلى الجيل نفسه مولدا، ويعيشان نفس الظروف السياسية تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، والتراجع في المستوى الثقافي والتدهور الاجتماعي.

ولد الرجلين في كنف عائلتين عريقتين نسبا وتاريخا ومكانة اجتماعية، وهو ما هيأ لهما الظروف المناسبة لكي ينشأ نشأة تربوية وعلمية جيدة، فقد كان بن شنب ينحدر من أسرة ثرية وذات جاه ونفوذ اجتماعي بمدينة المدية، ولعل يسر حالها هو ما ساعده في سلك نهج التعليم والانضمام إلى المدارس الفرنسية التي كانت تضم النخبة من أفراد المجتمع.

وقد صادف تلك الحقبة التاريخية، بداية التحول في الفلسفة الاستعمارية نحو تعليم أبناء الجزائريين، فبعدما كانت هذه الفلسفة مبنية على حرمان الجزائريين من التعليم، حتى لا يستيقظوا ويدركوا ما يجري من حولهم، بدأت بعد ذلك في التغيير، لتفسح المجال أمام فكرة تكوين النخبة من أبناء الأهالي!! لتلعب دور الوسيط بين الفرنسيين والجزائريين، وذلك قصد تسهيل دمج المجتمع الجزائري في أطر الحضارة الغربية على حد زعمهم.

أما عائلة عبد الوهاب الارستقراطية ذات الشأن في الأدب والسياسة التونسية، فقد استغلت الصفة المخزنية للعائلة من أجل ضمان تكوين راقي لأبنائها تراوح ما بين المدارس الرسمية الفرنسية والمدرسة الصادقية، استطاع من خلاله عبد الوهاب أن يطور معارفه العلمية، وأن يصبح علما بارزا من أعلام تونس في مختلف الفنون الأدبية والتاريخية والأثرية، وحتى الإدارية والسياسية.

لقد كان لمحمد بن أبي شنب مكانة مميزة في تلك الفترة، استطاع أن يتخذها لنفسه من خلال شخصيته وأعماله العلمية، فهو كان يعي جيدا معنى التراث، والثقافة، والتاريخ، واللغة، والدين...، لذلك كان يحاول المحافظة على هذه المقومات الأساسية للمجتمع الجزائري من خلال كتاباته وبحوثه العلمية، بعيدا عن أطر السلطة والمناصب الإدارية، وقد كان يتحدى الاستعمار الفرنسي بالعلم والقلم أو الجهاد بالكلمة على حد قول الشيخ الإبراهيمي.

يعد محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من القلائل الذين كان لهم ازدواجية في التكوين، فهما وليدا ظروف خاصة، جعلتهما يتكونان في مدرستين مختلفتين، وبالتالي اكتسبا نوعين مختلفين من المرجعية الثقافية، فهما من جهة متشبعين بالثقافة العربية الإسلامية، وبالثقافة الغربية من جهة أخرى، مما ساعدهما على امتلاك ثقافة مزدوجة ساعتهما في العلم والبحث العلمي باللغتين العربية والفرنسية إلى جانب العديد من اللغات الأخرى التي كانا يتقنانها.

لا نشك في مكانة محمد بن أبي شنب ودوره الفعال في محاولة إثراء اللغة العربية، وإحياء التراث العربي الإسلامي عن طريق البحث الدؤوب والدراسات العلمية الأدبية والتاريخية، التي كان ينجزها بأسلوب علمي

ومنهجي، وما أعماله العديدة والمتنوعة في مختلف صنوف المعرفة، إلا دليل على ذلك، وكنتيجة منطقية للمسار الطويل في المجال العلم والبحث العلمي.

هذا المنجز يشاركه فيها حسن حسني عبد الوهاب الذي سعى من خلال إحياء التراث العربي الإسلامي ونشره إلى مواجهة الحرب المفروضة على بلاده وبقية الأقطار العربية والإسلامية، إذ يعتبر أن التفوق المادي التقني للغرب ليس إلا مسألة وقت، شرط أن ينكب النشء على دراسة أمجاد الجدود العرب المسلمين ومواطن تفوقهم عبر التاريخ وإرجاع ماء الحياة إليه.

إن تفرغ محمد بن أبي شنب للتدريس والتأليف والتحقيق والبحث في التراث العربي الإسلامي، وإسهاماته العلمية، جعله بعيدا عن المجال السياسي، سواء كان ذلك في الجزائر أو خارجها، خاصة وأن فترة نضجه وتفتحه العلمي، كانت هي نفسها فترة مخاض وظهور نشاط الحركة الإصلاحية في المشرق العربي، والتوسع الاستعماري في المغرب العربي، ونمو الوعي القومي ويقظة الشعوب، وظهور القيادات الوطنية وغيرها من الأحداث، التي لم يحرك تجاهها ساكنا على حد تعبير سعد الله.

إن ظهور اسم حسن حسني عبد الوهاب وإخوته في التقارير الفرنسية بداية من سنة 1917م ليس بالصدفة، وإنما يعكس ظهور هؤلاء الأبناء على الساحة السياسية وما نسب إليهم من نشاط معادي لفرنسا، ضمن أطر حركة الشباب التونسي، إلا أنه من المؤسف اختفاء تلك الملفات الإدارية لحسن حسني عبد الوهاب من الأرشيف الوطني التونسي، وهي ملفات كانت ستبين لنا حقيقة ما نسب إليه في إطار سلوكه العام أو في إطار موقفه السياسي من عديد الأحداث التي عرفتها تونس بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وقبل أن يزاول خطة قايد أو بعد أن باشرها بداية من سنة 1925م، ذلك أن هذه الشخصية قد وجدت نفسها أمام امتحانات عسيرة في نشاطها الإداري والسياسي من جهة، ونشاطها الفكري والعلمي من جهة أخرى.

تعاملت فرنسا مع النخب المثقفة والملتزمة بالولاء من خلال خدماتها المختلفة داخل إدارة السلطة ومراكز البحث والتعليم، وليس بالضرورة من خلال التزامها السياسي، ومارست معهم وسائل الترغيب المهني كالمنح والارتقاء والأوسمة، خاصة منها وسام جوقة الشرف الفرنسي(Chevalier)، وقد نال هذا الوسام لكل محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

➢ الفصل الثاني: جهود محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال التحقيق.

- المبحث الأول: تحقيق التراث العربي الإسلامي وأهميته.
- المبحث الثاني: جهود محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث.
- المبحث الثالث: جهود حسن حسني عبد الوهاب في تحقيق التراث.

الفصل الثاني: جهود محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال التحقيق.

شهد التاريخ الماضي حركة نشطة لإحياء التراث العربي الإسلامي، والكشف عن دفائنه، وبخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وإن كان المستشرقون حديثا قد سبقوا إليه، إلا أنه علم قديم بالنسبة للعرب؛ جديد من حيث مبادرة المستشرقين في نشر تراثنا العربي الإسلامي، وتنبيه المسلمين إلى كتبهم ونوادر مخطوطاتهم، والقديم هو الباعث عند العرب والمسلمين، لأنهم اهتدوا إلى القواعد التي يقابلون بها النصوص المختلفة، من أجل الوصول إلى الرواية الصحيحة في الحديث النبوي الشريف.

فقد قام فن التحقيق عند العرب منذ فجر التاريخ الإسلامي، وكان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن، وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلف، وإن ما يقام به من خطوات في تحقيق التراث حديثا، لما سبقنا به أسلافنا من علماء العرب والمسلمين.

المبحث الأول: تحقيق التراث العربي الإسلامي وأهميته.

المطلب الأول: مفهوم تحقيق التراث.

يعتبر التحقيق[1] أحد مناهج إعادة بعث التراث وإحيائه بمقاربة النصوص بالهيئة التي كانت عليها أثناء تدوينها من قبل مؤلفيها، وحينما يقال (تحقيق التراث) يراد من كلمة (التراث) في هذه العبارة الكتب المخطوطة التي وَرَّثها السلف للخلف.

ومن هنا عُرف الكتاب المحقق بأنه «الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه»[2]. وعرّف مصطفى جواد تحقيق النصوص بأنه: «الاجتهاد في جعلها (يعني النصوص) ونشرها مطابقة لحقيقتها كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى»[3]. أما حسين محفوظ فقد عرف التحقيق بإخراج الكتاب مطابقا لأصل المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المصنف[4].

---

1 – **الّتحقيقُ** في عرف أهل العلم: إثْبات المسْألة بالدليل.

قال أبو البقاء: **التحقيق**: تفعيل من حَقَّ بمعنى ثبت. وقال بعضهم: **التحقيق لغة**: رجع الشيء إلى حقيقته، بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه. و**التحقيق**: مأخوذ من الحقيقة، وهو كون المفهوم حقيقة.

و**التحقيق في اصطلاح أهل الفن**: هو بذل الجهد، واستقصاء البحث، بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص.

أو قل: هو عملية مركبة تقضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل.

والذي اتفق عليه شيوخ المحققون من ذلك: أن يؤدي نصَّ الكتاب أداء صادقا، كما وضعه مؤلفه، كمًّا وكيفًا بقدر الإمكان.

ينظر، عبد المجيد دياب، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1993، ص ص133-134.

2 – عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة السنة، ط5، القاهرة-مصر، 1410هـ، ص05.

3 – محمد علي الحسيني، **دراسات وتحقيقات**، تق، حسين علي محفوظ، دار التراث الإسلامي، بيروت- لبنان، 1974، ص106.

4 – عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، المرجع السابق، ص29.

ونستطيع أن نحوصل تلك التعريفات في أن تحقيق التراث هو: ذلك العلم المنهجي الذي يهتم بوضع الأسس والقواعد اللازمة لإخراج النصوص المخطوطة ونشرها، عبر عملية بحثية دقيقة تهدف إلى إحياء التراث، وذلك من خلال التحقق من صحة النصوص وضبطها وتوثيقها، مع الحفاظ على أصولها، ليتاح للباحثين نصٌّ يعكس مقصد مؤلفه.

وتعد مهمة التحقيق شاقة، لتعذر إعادة النص إلى ما كان عليه أثناء ولادته، فتحقيق التراث عملية دقيقة ومعقدة، قام بها العلماء على مر العصور، هذه العملية تقتضي إخراج النص الأدبي (وغير الأدبي) كما صنعه مؤلفه أو في أقرب صورة قاله عليها[1].

إن هذه الصعوبة متأتية من جراء تعرض النصوص إلى الطمس والتخريب، والنهب والتصرف،... وكذا الأسلوب الذي كتب به المخطوط، وطبيعة العلم الذي يعالجه، وإقدام من لا صلة له بالتحقيق على الزج بنفسه في هذا المسلك الضيق الذي يتطلب أمانة علمية، وطول صبر وأناة، ونكران للذات.

لذلك وجب على من يريد ممارسة التحقيق، أن يتحلى بالأوصاف التالية:

- أن يكون ملما باللغة –ألفاظها وأساليبها– إلماما وافيا.
- أن يكون ذا ثقافة عامة.
- أن يكون على علم بأنواع الخطوط وأطوارها التاريخية.
- أن يكون على دراية كافية بالببليوجرافيا وفهارس وقوائم الكتب.
- أن يكون عارفا بقواعد تحقيق المخطوطات وأصول نشر الكتب.

وعلى المحقق – إضافة إلى ما تقدم من شروط وصفات– أن يكون عالما متخصصا بموضوع المخطوط أو النص الذي يريد تحقيقه[2].

وإذا كان التحقيق منهجا له أصوله النظرية ومجاله الإجرائي، فإن له مراحل لابد أن يتبعها المحقق، فيكون وفيا لها متحررا من جميع الأهواء، ساعيا إلى توفير أكبر حظ من الموضوعية العلمية، إن تلك المراحل يجملها الباحثون المختصون فيما يلي:

- تحقيق عنوان الكتاب.
- تحقيق اسم المؤلف.
- تحقيق نسبة الكتاب.
- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقاربا لنص مؤلفه[3].

---

1 – عبد المجيد دياب، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، المرجع السابق، ص10.

2 – عبد الهادي الفضلي، **تحقيق التراث**، مكتبة العلم، جدة– السعودية، 1982م، ص37.

3 – عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة السنة، ط5، القاهرة–مصر، 1410هـ، ص ص98–99 (بتصرف).

وبديهي أن يقوم المحقق بإعطاء كل مرحلة حقها من التجويد حتى لا تظهر في عمله الثغرات التي لا حجة له في ظهورها مهما تذرع بالحجج.

ويمكن تقييم عمل المحقق على ضوء الظروف المحيطة به، والوسائل المتوفرة لديه، وطبيعة الفترة التي أنجز فيها التحقيق.

المطلب الثاني: أهمية تحقيق التراث.

يعد إحياء التراث العربي الإسلامي من أهم الوسائل التي تساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة، وتحديد صلتها بإرثها الحضاري، فهو ليس عملية فنية على أسس منهجية تهدف إلى نشر النصوص القديمة وحسب، بل هو جهد عملي قائم على العناية بالنص المخطوط نسخا وتصحيحا وضبطا وتقديما وفهرسة على أقرب صورة أرادها المؤلف.

وإجمالا يمكن أن نُبرز أهمية تحقيق التراث في النقاط التالية:

– الحفاظ على الذاكرة الجماعية من خلال تسجيل تاريخ الأمة، والحفاظ عليه من الاندثار والتحريف، فتحقيق المخطوطات ونشرها يعيد للأمة ذاكرتها العلمية والأدبية، مما يعزز الانتماء لديها والوعي بهويتها.

– تحقيق التراث يكشف لنا عن إسهامات الأمة في الحضارة الإنسانية عبر التاريخ، فمتى كانت الأمة تملك تراثا ضخما من المخطوطات في الحقول العلمية والفكرية المختلفة، فإن ذلك يدل على مقدار إسهامها في بناء الحضارات البشرية[1]، ولولا الجهود المبذولة في تحقيق التراث ونشره، لما عرف مقدار إسهام الأمة الإسلامية في الحضارات الإنسانية ومكانتها بين تلك الحضارات.

– نقل المعرفة عبر الأجيال في شتى العلوم (أدب، تاريخ، فقه، طب، فلسفة،..)، وتحقيقها يضمن انتقال المعارف للأجيال القادمة ويربطها بجذورها، مما يقلل من تأثير التغريب والانقطاع عن الصلة بالموروث الحضاري.

– مواجهة حملات التشويه والسرقات الثقافية، ونسب تراث الأمة إلى جهات أخرى، والتحقيق العلمي للتراث ونشره بمنهجية، يثبت أصالته ويحميه من التزوير، ويعزز مصداقيته في مواجهة الروايات المغلوطة.

– إثراء الثقافة المعاصرة والبحث العلمي من خلال توفير مادة علمية متعددة المجالات ومتصلة بمختلف جوانب الحياة، وتحقيقها يفتح أفاقا جديدة وبداية لاستئناف البناء الحضاري، سواء في العلوم الإنسانية أو التطبيقية.

---

1 – تذكر كتب التاريخ أن مكتبة العزيز بالله الفاطمي بالقاهرة كانت تضم مليون وستمائة ألف مجلد مفهرسة ومنظمة، وأن دار الحكمة في القاهرة ضمت مائة ألف مجلد، منها ستة آلاف مخطوط في الرياضيات والفلك، وأن دار الكتب في قرطبة ضمت أربعمائة ألف مجلد تقع فهارسها في أربع وأربعين كراسة،...ويذكر أن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر الميلادي، كان أكثر ما تحتويه مكتبات الغرب مجتمعة. للمزيد ينظر، أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، مصر، 1403هـ/1983م، مج01، ص34، وما يليها.

– تعزيز الوحدة الثقافية بين مكونات الأمة الإسلامية، فالتراث العربي الإسلامي يجمع عرى الدول الإسلامية، وتحقيقه وبعثه من جديد يذكرها بميراثها المشترك وتاريخها المجيد، ويقوي روابطها الثقافية.

– إنّ التراث المحقق للأمة هو شاهد مهم لما عرفته من تطورات وتقلبات، ومنعطفات في مسيرتها التاريخية والسياسية والفكرية والأدبية والعلمية والعمرانية وسواها، ويستطيع الدارسون لهذه التطورات أن يحددوا اتجاه سير الأمة في المستقبل في كل مجال من هذه المجالات[1].

إنّ العناية بإحياء التراث ونشره من طرف الأفراد والهيئات، هو دليل على إدراكهم بأهميته، كما أن حرص الدول الاستعمارية إبان فترة احتلالهم للدول العربية والإسلامية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين على حيازة المخطوطات النادرة والاحتفاظ بها في خزائنها، يعد دليلا آخر على إدراك تلك الدول بأهمية هذا التراث، وما يتضمنه من إسهامات في مسيرة الحضارة الإنسانية.

ومتى كان للتراث تلك الأهمية في حياة الأمم، والتعبير عن هويتها وشخصيتها، فلا بد من بذل الجهود للحفاظ على هذا التراث وتحقيقه ونشره من جديد. فما حظ محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من ذلك الجهد في تحقيق التراث العربي الإسلامي وإعادة بعث الروح فيه من جديد؟

المبحث الثاني: جهود محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث.

يعد محمد بن أبي شنب أحد أبرز أعلام الجزائر والمغرب العربي الذين اهتموا بتحقيق التراث العربي الإسلامي خلال الربع الأول من القرن العشرين، وما يلفت الانتباه في الجوانب المتعلقة بإحيائه للتراث، هي زاوية جهوده المبذولة في تحقيقه وإعادة نشره من جديد، فعند الاطلاع على قائمة مؤلفاته وأعماله الطويلة التي تشير إليها المراجع المختلفة، نجد عنايته البالغة بتراث الأمة العربية الإسلامية عامة وتراث الجزائر بصفة خاصة.

المطلب الأول: منهج محمد بن أبي شنب في التحقيق

تعتمد منهجية محمد بن أبي شنب في التحقيق على مقابلة ومقارنة النسخ الخطية المختلفة، ووضع مقدمة قصيرة في وصف طريقة التحقيق، مع إضافة هوامش تفسيرية لتوضيح الغامض من النصوص، وأهم جهد كان يقوم به في التحقيق هو وضع فهارس تفصيلية تشمل: فهارس الأعلام والأماكن والكتب والموضوعات والشعر وغير ذلك.

وهنا تتجلى مهارته ومنهجه ومساهماته، وكأن ابن شنب كان على عجل، فهو لا يهتم بالتنميق ولا بالتطويل، وإنما كان يقتصر في الأسلوب على ما قل ودل[2]، لذلك فإن أسلوبه أقرب إلى الأسلوب العلمي منه إلى الأسلوب الأدبي.

1 – ينظر، أحمد فؤاد باشا، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، مصر، 1403هـ/1983م، مج01.

2 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1998، ج8،ص170.

وما يستلزم ذكره أن اختصار الحواشي والاهتمام بفهارس الأعلام والأماكن وغيرها، وغياب المسحة الأدبية هو نفسه ما كان يطبع منهج التحقيق عند المستشرقين لاهتمامهم بالمنهج العلمي من جهة، وطبيعة مادة تخصصهم من جهة أخرى.

ولعل الاهتمام الكبير بوضع فهارس علمية تفصيلية دقيقة لكنوز التراث، هو تعريف طالب العالم بأهم الكتب والأعمال المطبوعة والمخطوطة، التي تشتمل عليها مكتبة من المكتبات، سواء أكانت داخل الوطن أم خارجه.

وحول هذا الاهتمام يقول تلميذه عبد الرحمان الجيلالي: «واشتغل بتنظيم خزانتي الكتب المخطوطة، الموجودة بالجامعين الكبير والجديد بالعاصمة، فوضع لهما فهرسين كبيرين، وصف فيهما كل ما احتوت عليه الخزانتان من نوادر الكتب، والمؤلفات، طبع منها ما يتعلق بالجامع الكبير بالجزائر سنة 1909م»[1].

كان ابن أبي شنب يحقق النصوص تارة بمفرده، وتارة بالتعاون مع بعض المستشرقين الذين عاصرهم، وتعلم منهم هذا الفن، وهذا ما نلحظه في إعداد فهرس تسلسلي لمطبوعات فاس بالمغرب الأقصى، والذي وضعه بالتعاون مع المستشرق ليفي بروفنصال(Levi-Provençal)، هذا الفهرس الذي تكمن أهميته الببليوغرافية في تسجيل المطبوعات القديمة في مدينة فاس بالمغرب الأقصى.

إن ما ساعد ابن أبي شنب على الاهتمام أكثر بإحياء التراث، هو كون المكتبات في الجزائر وخارجها تزخر بالكثير من المخطوطات التي نسخت بأيدي مؤلفيها أو ناسخيها ولم تنشر بعد، وهو ما دفعه إلى الاشتغال على إحيائها وضبطها، والتأكد من صحتها وإخراجها وفق منهج علمي محكم يعرف بـ"منهج التحقيق".

هذا المنهج الذي حاز على أهم أسسه من خلال اشتغاله بدراسة وتدريس علم الحديث أولا، ومن صلاته العلمية بالكثير من المستشرقين الذين تتلمذ على أيديهم مباشرة في الجزائر مثل: رنيه باسيه(Rene Basset)، فاغنان(Fagnan)، أو الذين كانت له معهم صداقات علمية ومراسلات من خارج الجزائر مثل: كوديرا(Kodera) وميقال أسين بلاسيوس(Miguel Asin Palacios)[2].

إن ثقافة بن أبي شنب الواسعة والمتنوعة وتجربته الطويلة أكسبته خبرة في التعامل مع كنوز التراث من مختلف الميادين الأدبية والتاريخية واللغوية وغيرها. فراح ينقب عليها في كل مكان يستطيع الوصول إليه، يقول عن ذلك عبد الرحمان الجيلالي:« كان شيخنا رحمه الله مغرما بجمع الكتب النادرة بنفسه، مخطوطة كانت أو مطبوعة، ويتتبع أخبارها حيث كانت ويسعى في إحضارها، وإن تعذر عليه استحضارها بنفسه طلب استنساخها أو تصويرها»[3].

1 – ينظر، عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق، ص36.

2 – ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج8، مرجع سابق، ص ص168-170.

3 – ينظر، عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، المصدر السابق، ص142.

تأثر ابن أبي شنب بالمدرسة التاريخية الفرنسية في البحث والدراسة والتحقيق، وذلك جعله ينهج منهجا حداثيا في الدراسات الأثرية العربية الإسلامية، وبفضل معرفته باللغات الأجنبية، تمكن من الرجوع إلى المصادر المختلفة، واتساع رؤيته، وشحذ آراءه وأفكاره بالآراء المتنوعة، التي كانت أحيانا مخالفة لما كان متداولا ومعروفا من نظريات، مثل أصول السكان والوحدة الوطنية والقومية، والدين الإسلامي والوجود الاستعماري[1].

المطلب الثاني: نماذج من أعمال محمد ابن أبي شنب في التحقيق

من الجوانب الهامة التي طبعت مسيرة محمد ابن أبي شنب العلمية، تحقيقه للعديد من كتب التراث العربي الإسلامي، ولعل هذا يرجع إلى تمكنه من قواعد منهج التحقيق الذي أخذه عن المستشرقين، وانشغاله الدائم بفكرة إحياء التراث.

وفي هذا السياق سنعرض لبعض هاته الأعمال بنوع من التفصيل، معتمدين في ذلك على ما أورده هو نفسه في الكتب التي عمل على تحقيقها، والتي تظهر مدى سعته العلمية والفكرية، وغزارة إنتاجه في هذا الفن، حتى لقب عند البعض بـ"عميد المحققين الجزائريين".

أولا– كتاب"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم: يعد كتاب البستان لابن مريم من الكتب النفائس في فن علم التراجم والسير، والتي عكف محمد بن أبي شنب على تحقيقها ونشرها خلال مسيرته الطويلة في إحياء التراث.

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يقدم صورة عن الحياة العلمية والروحية في تلمسان، التي كانت عاصمة الدولة الزيانية وحاضرة علمية في المغرب الأوسط، كما عرف الكتاب بعدد كبير من العلماء والأولياء الذين عاشوا فيها وبأحوازها، وأسهموا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية التي عاشتها هذه المنطقة، وأهم الأحداث التي مرت بها تلمسان خلال القرنين الثامن والتاسع هجري، والكشف عن الجوانب الثقافية التي طبعت المجتمع التلمساني الذي طغى عليه الفكر الصوفي المرتبط بثنائية الولاية والكرامة.

وفيما يلي دراسة في هذا الكتاب:

1– الدراسة الظاهرية للكتاب.

1–1– التعريف بمؤلف الكتاب: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد أبو عبد الله الشريف، المليتي نسبا، المديوني أصلا، التلمساني ولادة ومنشأ ووفاة، والذي كان قيد الحياة سنة 1025هـ/ 1611م، مؤرخ بحاثة تخصص في عدة علوم، من فقهاء المالكية، الملقب بابن مريم الشريف[2].

1 – المصدر نفسه، ص34 .

2 – ينظر، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت– لبنان، 1980م، ص292.

تعتبر ترجمة ابن مريم من التراجم النادرة التي لم يتم العثور عليها سواء في كتب التراجم الشرقية أو المغربية، باستثناء بعض الإشارات هنا وهناك، وترجمة واحدة لتلميذه الفقيه العالم عيسى بن محمد بن يحي الراسي البطوئي السعيدي[1]، الذي خصه بترجمة وافية في كتابه المسمى "مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح"، مما جاء فيها: ما رأت عيناي قط مثله خَلْقاً وخُلقاً وإنصافاً وحرصاً على العلم، ورغبة في نشره، واجتهاداً في طلبه، وإدمانا على تلاوة الكتاب العزيز، وتواضعاً وخشية ومودة وصبراً، واحتمالاً وحياء، وصدق لهجة، وسخاء وإيثاراً، ومواظبة على قيام الليل، وتبحرا في سائر العلوم الشرعية، وحُسن إدراك وقوة فهم، وحُبا في الخير لجميع المسلمين[2].

أخذ ابن مريم عن أبيه محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي(ت985هـ) مبادئ اللغة والفقه بعدما حفظ على يده القرآن الكريم، ثم تلقى تعليمه في بقية العلوم على جملة من فقهاء وعلماء تلمسان على غرار الشيخ سعيد بن أحمد بن أبي يحي بن عبد الرحمان بن بلعيش المقري(ت1011هـ) فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها بالجامع الأعظم، والشيخ علي بن يحي السلكسيني(ت972هـ)، الفقيه الخطيب العالم المحقق الولي الصالح الصوفي، كان إماما بمسجد أغادير وحريصا على تدريس العلم، والشيخ محمد بن محمد بن موسى الوجديجي(ت981هـ) المدعو بالصغير، الفقيه العالم المتفنن العلامة، أحد فحول أكابر العلماء المتأخرين[3].

احترف ابن مريم التعليم الذي بدأه على عهد والده، حيث خلفه أول مرة عند مرضه، ولعل هذه التجربة الأولى التي خاضها في التعليم جعلته يواصل هذه المهنة النبيلة التي أحبها، فتخرج على يديه مجموعة تفوق الأربعين من الطلاب الأفذاذ كأحمد المقري(986هـ-1041هـ/1578م-1631م) صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، والفقيه علي بن منصور الشرقي، والفقيه محمد الندرومي، والفقيه محمد عبد الله الحداد،... يقول عن ذلك: «فتخرج علي والحمد لله بدعاء والدي وبركته أزيد من أربعين ولدا كلهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يدرسون العلم في كل من العلوم الظاهرة والباطنة»[4].

يدل هذا العدد من الشيوخ وممن تتلمذوا على يد ابن مريم على رسوخه في العلم وعلى مكانته في حاضرة تلمسان وعموم بلاد المغرب آنذاك.

---

1 - عيسى بن محمد الراسي البطوي السعيدي (ت1040هـ/ 1630م)، من فقهاء المالكية وباحث له اشتغال بالتاريخ، خصص فصلا كاملا لترجمة شيخه ابن مريم التلمساني في كتابه **"مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح"**. للمزيد ينظر، عيسى بن محمد الراسي البطوئي، **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**، تح، حسن الفكيكي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط- المغرب، 2000م، ص ص19-30.

2 - المصدر نفسه، ص122.

3 - للمزيد حول شيوخ ابن مريم، ينظر، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح، محمد ابن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908، ص260.

4 - المصدر نفسه، ص269.

ورغم اشتغال ابن مريم بمهنة التعليم، التي كانت سببا في إقبال التلاميذ عليه، ومع ذلك فإن هذا لم يمنعه من التأليف والكتابة، حيث ألف نحوا من ثلاثة عشر تأليفا معظمها في حكم المفقود باستثناء كتاب البستان الذي ترجم فيه لاثنين وثمانين ومائة عالم ووالي ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها، ومن عناوين تلك المؤلفات نذكر: غنية المريد لشرح مسائل أبي الوليد، تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار، كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة التوحيد، شرح المرادية للتازي[1].

يعد ابن مريم من شيوخ المتصوفة في تلمسان، وقد أخذ التصوف عن شيخه علي بن يحي السلكسيني والفقيه الخطيب الجادري، والشيخ أبو السادات محمد بن يحي المدعو أبا السادات وغيرهم ممن خصهم بترجمات في كتابه، فهو يعتقد أن نشر أحوال الصالحين قربة يتقرب به إلى الله تعالى، إذ يثبت أن المرء مع من أحب؛ فكيف بمن زاد عن مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه وخدمتهم ظاهرا وباطنا، ونشر محاسنهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، نشرا يبقى على مر الزمان ويزرع المودة لهم، والحب في صدور المؤمنين للاقتداء بهم حسب الإمكان[2].

1-2- التعريف بالكتاب: كتاب **"البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"**، لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله حضرة الشيخ محمد ابن أبي شنب المدرس بالمدرسة الثعالبية الدولية ومدرسة الآداب العليا بالجزائر، وطبع في المطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه، سنة 1326هـ/1908م، بالجزائر، وهو يتكون من 315 صفحة.

وقد ذكر صاحب الكتاب سنة انتهائه من تأليفه ومكان كتابته له، حيث جاء في خاتمة الكتاب، «وها هنا انتهى العرض فيما قصدناه على الوجه الذي بيناه، ولا حول ولا قوة إلا بالله وفي سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه، ونسأله جلت قدرته أن يجعله خالصا لوجهه على الوجه الذي يتقبله ويرضاه»[3].

والمرجح عندنا أن صدور الكتاب بلفظة "البستان"، ذلك البستان الذي هو عبارة عن مجموعة من الأشجار ومختلف تشكيلات الورود والأزهار، فتيمنا بذلك ألفه؛ لكثرة هؤلاء العلماء الذين احتواهم هذا المؤلف.

وعند رجوعنا إلى المقدمة نجد أن ابن مريم يذكر لنا دوافع تأليفه لهذا الكتاب، وهو النزول عند رغبة صديق من أصدقائه، يقول عن ذلك: «أما بعد السلام عليكم أيها الأخ الأحب في ذات الله تعالى ورحمة الله تعالى وبركاته فقد طالعت ما أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات وجمع من كان بها وحوزها وعمالتها فأسعفتكم فيما طلبتم نسأله سبحانه وتعالى أن يكمله لكم وأن ينفعكم به خصوصا وينفع به المسلمين عموما دنيا وأخرى»[4].

1 - محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط06، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة- مصر، 1349هـ، ص428.

2 - أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، مصدر سابق، (مقدمة المؤلف).

3 - المصدر نفسه، ص314.

4 - المصدر نفسه، (مقدمة المؤلف).

أما عن محتوى الكتاب الذي يتكون من 388 صفحة من الحجم المتوسط، فهو عبارة عن مقدمة قصيرة للمحقق، ثم تراجم مفصلة لمائة واثنين وثمانين عالما وفقيها ووليا صالحا معظمهم ولدوا في تلمسان، أو عاشوا بها، أو تعرفوا عليها، ومنهم من غادرها إلى ديار أخرى، فكانت طريقا إلى غيرها، ومنهم ما وافته المنية بها، بالإضافة إلى معلومات عن مدارس تلمسان وزواياها، وذكر بعض الكرامات والمناقب.

يختتم الكتاب بأربعة فهارس هي:

- فهرس تراجم الأولياء والعلماء.
- فهرس أسماء الرجال والنساء.
- فهرس أسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار.
- فهرس أسماء الكتب.

ثم جدول يحتوي على إصلاح الأغلاط الطبيعية التي وقعت في هذا الكتاب.

وفي خاتمة الكتاب يرشدنا المؤلف إلى جملة من المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه حيث يقول: «وقد انتخبته من نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ أحمد بابا السوداني، ومن بغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد، ومن تقييد سيدي محمد السنوسي في مناقب الأربعة، ومن روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين، ومن النجم الثاقب، ومن الكواكب الوقادة فيمن كان نسبته من العلماء والصالحين القادة ومن كتب عديدة»[1].

والكتاب خاليا من أي ملاحق.

2- الدراسة الباطنية للكتاب: "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" هو العنوان الذي اختاره ابن مريم لمؤلفه، أما المحقق-ابن أبي شنب- فقد قدم لفظ الأولياء على العلماء، حيث جاء تحت اسم "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"، ولا ندري سبب ذلك التقديم والتأخير إلا إذا كان هناك اختلاف في النسخ المعتمد عليها في التحقيق.

وقد أورد محمد ابن أبي شنب النسخ المعتمدة في عملية التحقيق، في مقدمة الكتاب التي دأب المحققون على البدء بها بين يدي النص الذي يريدون تحقيقه، يقول عن ذلك: «... وجمعنا منه نسخا منها نسخة لمكتبة المدارس العليا الجزائرية محفوظة تحت عدد 2001، ونسختين للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظتين تحت عدد 1736 و 1737، ونسخة للسيد وليام مارسي مدير مدرسة الجزائر الدولية، ونسخة للفقيه الشيخ ابن ددوش أحمد بن حامد قاضي معسكر الحالي، ونسخة للفقيه الشيخ الحاج المختار بن الحاج محمد بن أبي القاسم الشريف من زاوية الهامل بقرب أبي سعادة، ونسخة للعلامة سيدي علي بن الحاج موسى الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، ونسخة للفقيه السيد الوانوغي المفتي ببلد الأصنام، وزيادة في تحري التصحيح راجعنا بعض

1 - المصدر السابق، ص314.

الأصول التي نقل عنها المؤلف رحمه الله تعالى مثل: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأبي العباس أحمد بابا التنبكتي السوداني، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحي بن خلدون، وروضة النسرين في ذكر دولة بني مرين لأبي محمد عبد الله بن عمر الشهير بابن الأحمر، وكتاب وفيات الخطيب القسنطيني وغير ذلك»[1].

وإذا انتقلنا إلى متن الكتاب فإننا نجد أن ابن مريم قد رتب أسماء العلماء والأولياء المترجم لهم على حسب الترتيب الألفبائي (حرف الألف) ثم (حرف الباء) وهكذا، بخلاف غيره من المؤلفين الذين كانوا يعتمدون التتابع الزمني الأفقي في تراجمهم.

وقد استهل ابن مريم التراجم بمن اسمه "أحمد"، إلا أن بعض الحروف لم يذكرها، وذلك لعدم ورود أسمائهم بها، مثل: حرف التاء، والثاء، والذال، والضاد، والغين، والفاء، واللام، والواو. ولكن المتتبع لقائمة تلك التراجم من العلماء والأولياء الواردة في متن الكتاب، يلاحظ وجود تراجم لا يتوفر فيهم شرط المؤلف، أي أنهم لم يولدوا في تلمسان ولم يزوروها، ولم يعيشوا بها ومع ذلك نجد تراجمهم في متن الكتاب[2].

والراجح أن ما أقدم عليه ابن مريم هو غرضه التبرك بتلك السير، أو لعدم وجود عالم تلمساني يبدأ اسمه بذلك الحرف، من ذلك مثلا (حرف الخاء) الذي جاء فيه ترجمة واحدة قدم لها ابن مريم بالقول: «لم أجد من شيوخ تلمسان من اسمه خليل لكن اكتب في كتابي سيدي خليلا صاحب التوضيح والمختصر التماس بركته»[3]، وهنا يعني خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة المصري(ت776هـ) صاحب التوضيح في شرح المختصر لابن الحاجب، وقد اجتمع به ابن مريم في القاهرة وحضر مجلس إقرائه للفقه والحديث والعربية.

وأما الأسماء الأكثر ورودا فهي: "محمد" التي ثبت فيها اثنان وثمانون(82) اسما منهم: محمد المعروف بالقلعي، محمد بن محمد بن عيسى البطيوي نسبا التلمساني دارا، ومحمد بن أحمد الوجديجي، واسم "أحمد" الذي أحصى فيه ثمانية وعشرون(28) اسما منهم: أحمد بن أبي يحيى بن محمد الشريف، وأحمد بن محمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوفي، وأحمد ابن محمد بن مرزوق الحفيد.

وقد تفاوتت التراجم والسير التي جاءت في مضمون الكتاب من ناحية الطول والقصر، والدلائل على ذلك أكثر من أن تحصى في المتن، ومثال ذلك ما ورد في ترجمة "سيدي أحمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب المعروف بابن الحاج(ت930)" [4]، الذي فاقت ترجمته 16 صفحة، وكذلك نجد ترجمة "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحي

1 – المصدر السابق، (مقدمة المحقق).

2 – ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ج2، ص354.

3 – أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان**، المصدر السابق، ص96.

4 – المصدر نفسه، ص08 إلى ص24.

بن علي بن محمد بن القاسم بن حمود بن علي بن عبد الله بن ميمون بن عمر بن ادري سبا ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[1]، الذي جاءت ترجمته في 20 صفحة.

بينما نجد تراجم لا تتعدى بضع أسطر وذلك لتفاوت أهمية المعلومات المذكورة بها، ومثال ذلك ما ورد في ص 42، التي حوت ترجمة لثلاثة أعلام هم: - سيدي أحمد بن أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الأستاذ الندرومي التلمساني – سيدي أحمد بن أبي يحي بن محمد الشريف – سيدي أحمد بن محمد بن يعقوب العجيسي الشهير بالعبادي، هذا الأخير جاءت ترجمته على النحو التالي: «يكنى أبا العباس توفي بتلمسان سنة ثمان وستين وثمانمائة» انتهى.

وقد سمحت تلك التراجم وخاصة منها الموسعة للمؤلف بأن يذكر نسب المترجم وأصله، وتاريخ ولادته ووفاته، وأسماء شيوخه وتلامذته، وعناوين مؤلفاته، وفي بعض الأحيان الكتب التي درّسها لمن تتلمذ عليه، والمدن التي رحل إليها، وأسماء العلماء الذين أجازوه فيها، كما أورد لبعضهم قصائد شعرية ومقتطفات نثرية فضلاً على ذكر بعض الإجازات التي منحها الشيوخ لتلامذتهم.

إن ما يمكن استنتاجه من جملة تلك التراجم، أن المؤلف كان يهدف إلى تقديم صورة مصغرة من خلال سير "العلماء والأولياء" عن المجتمع التلمساني الذي كان مفعم بالإيمان المنغمس في عالم التصوف.

فكثير ممن ترجم لهم ابن مريم صدر ذلك بقوله (سيدي) وهو لفظ له دلالات صوفيه، تدل على أدب المريد مع شيخه، ومن ذلك قوله: «سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن عثمان»[2]، وقوله: «سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي»[3]، وقوله: «سيدي أحمد بن موسى الشريف الإدريسي تلميذ سيدي أحمد بن الحاج»[4].

وهنا يظهر جليا ميل ابن مريم إلى التصوف في تراجمه، فهو يعتقد أن التذكير بمناقب الصالحين أنساً للقلوب المتوحشة من شر الزمان وأهله وتنشيطا للنفوس، وقد أدى به ذلك إلى الإيمان بولاية الأولياء وكراماتهم، فهم حسب قوله: «إذا ذكروا نزلت الرحمة»، ولم يتردد في إثبات الكرامات والخوارق لهم، والاعتقاد في صلاح الدراويش والخرافيين وأدعياء العلم الذين كانوا يحظون بتقدير العامة[5].

لقد كان ابن مريم حريصا على ذكر كرامات الأولياء والعلماء وما امتازوا به من عبادة وزهد، ولعّل ذلك من أهم الدوافع في تأليف هذا الكتاب، حيث يقول في المقدمة كما ذكرنا سابقا: «فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاة أولياء الله تعالى وعلمائه، وخدمتهم ظاهرا وباطنا بتسطير أحوالهم، ونشر محاسنهم»، ومن الأمثلة على

1 - المصدر السابق، ص164 إلى ص184.

2 - المصدر نفسه، ص08

3 - المصدر نفسه، ص24.

4 - المصدر نفسه، ص26.

5 - يرجع سعد الله ذلك الميل نحو التصوف بكون ابن مريم من ((أهل الله))، أكثر من كونه من ((أهل العلم)). ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج2، المرجع السابق، ص118.

ذلك قوله عن الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن، «أن رجلا جاءه ليعترض عليه، فجلس في الحلقة فأخذ صاحب الدولة في القراءة، فقال له أبو مدين أمهل قليلا ثم التفت للرجل وقال له لم جئت فقال لاقتبس من نورك فقال له ما الذي في كمك فقال له مصحف فقال له افتحه واقرأ في أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر فإذا فيه الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فقال له أبو مدين أما يكفيك هذا»[1].

أما الحسن بن مخلوف بن مسعود الشهير بأبركان، فقد أثبت « له مكاشفات كثيرة وكرامات منها ما ذكره السنوسي وأخوه علي قالا كان يتوضأ في صحراء يوما فإذا بأسد عظيم قد أقبل فبرك على سبّاطه فلما فرغ من وضوئه التفت إلى الأسد فقال له تبارك الله أحسن الخالقين ثلاثا فاطرق الأسد برأسه إلى الأرض كالمستحى ثم قام ومضى»[2].

ومن ذلك أيضا قول السنوسي في الشيخ أبركان: «ولما قدم من المشرق وجد قرية الجمعة قد خربت وكانت سكنى أسلافه فنزل تلمسان ثم تردد خاطره في الرجوع لقريته الجمعة لتجديد ما دثر منها قال فخرجت إليها وجلست معتبرا في آثارها كيف أخذها الخراب واستولى على أهلها الجلاء وإذا بكلب أقبل وجلس بالقرب مني وحاله في انكسار الخاطر وتغير الظاهر كحالي فقلت في نفسي هل تعود هذه القرية عامرة أم لا فرفع الكلب رأسه وقال لي بلسان فصيح إلى يوم يبعثون»[3]

كان كلما ترجم لأحد من الأولياء أو العلماء إلا ونسب إليه معرفة علوم الظاهر والباطن وخصه بالتعمق في العلوم المعقولة والمنقولة، والحديث عن حياتهم وتآليفهم دون تعليق على الظروف أو نقد الأحداث، فكل ما يهمه هو تسجيل إجازة وذكر خصال، ومؤلفات العلماء المترجم لهم، وهذا ما أكده بقوله: «اعلم أن طلب الإجازة والرواية من شأن أهل العلم، وكذلك معرفة أفضل الأمة من صحابي وتابعي وفقيه، وأن أسماء المؤلفين من الكمال ومعرفة طبقات الفقهاء من مهمات المطالب وكذلك ما ألفوه من حصر المسائل».

هذا وقد تميز البستان بأسلوبه البسيط السهل، الذي مزج بين المنهج العلمي التوثيقي للاسماء والتواريخ، وبين الأدب الصوفي المرتكز على الأدب الروحي والحكاية الشعبية التي تتخللها بعض العبارات العامية مثل قوله: «والله ما يعطيك درهما واحدا لو كانت بلدة كفار يعطيك باش قومت المحلة والله إذا ما رحلت في هذه الساعة ما تربح»[4]، وقوله: «..فقلت له يا والدي الله يرحم لالّة مريم ترضى عني وتحلل لي ما خدمت عليّ وما أقرأتني»[5].

1 – أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان**، المصدر السابق، ص111.

2 – المصدر نفسه، ص74.

3 – المصدر نفسه، ص75.

4 – المصدر نفسه، ص137.

5 – المصدر نفسه، ص267.

بالإضافة إلى أن المؤلف لم يهمل ما كان متداولا من ألفاظ أهل تلمسان، وما كان يجري به التداول اليومي في الوسط الاجتماعي كلفظ"الهيدورة" التي تعني الجلد التي يتخذ للقعود، أو لأداء فريضة الصلاة، ولفظ "السَبَاط" الذي يعني الحذاء، ولفظ "الشواري" التي تعني الأحمال، وغير ذلك.

والمتمعن في ثنايا الكتاب يجد إشارات إلى بعض الطرق المتوخاة في التعليم، وهي الطرق القائمة على تكرار المسألة عدة مرات بغية ترسيخها في ذهن المتعلم، ونجد ذلك عند الترجمة لأحمد بن محمد بن زكري الذي «كان رضي الله عنه مشتغلا بالعلم والتدريس يكرر المسألة الواحدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى يفهمها الخاص والعام وانتفع به المسلمون كلهم وجميع من حضر مجلسه»[1].

وثمة إشارة إلى العملة المتداولة بحواضر تلمسان وقسنطينة وفاس آنذاك، وهي الدرهم، ونجد ذلك مثلا في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي التي جاء فيها: «انه اشتد الغلاء في محلة أبي عنان بقسنطينة حتى بلغ الفول ثمانية بدرهم»[2]، كما نجد إشارات إلى بعض الأجناس والديانات التي كانت بتلمسان مثل: العرب، والبربر والأتراك، والمسلمين، والنصارى، واليهود.

اعتمد ابن مريم في تراجمه على بعض الروايات الشفوية وعلى المذكرات والتقاييد الشخصية، كما راجع العديد من كتب التراجم والسير والتاريخ منها: نيل الابتهاج بتطريز الدباج لأبي العباس أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، وبغية الرواد في أخبار الملوك من بني عبد الواد لمؤلفه ابن خلدون أبو زكرياء، والنجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، لابن صعد محمد بن أحمد أبي الفضل سعيد الأنصاري التلمساني، ولابن صعيد –أيضا– روضة النسرين في مناقب الأربعة الصالحين، ويعتبر اختصار لكتاب النجم الثاقب، والتقييد في مناقب الأربعة المتأخرين لمحمد السنوسي، والكواكب الوقادة لمؤلف مجهول، وربما أخذ أيضا عن الإحاطة لابن الخطيب، والعبر لإبن خلدون، والوفيات لابن قنفذ القسنطيني، والمعيار للونشريسي، والديباج لابن فرحون، وغير ذلك[3].

أما عن الفهارس، فقد قام المحقق بوضع أربعة منها للكتاب، بدأها بتراجم الأولياء والعلماء (ص1إلى ص7)، اتبع فيها الترتيب الألفبائي للحروف، مبقيا عدد أولئك العلماء كما أحصاهم المؤلف وهو مائة واثنين وثمانون عالما(182)، على الرغم من أنه–أي المؤلف– كان قد وجه النظر إلى أن عدد هؤلاء العلماء لا يحصيهم تعداد، ولا يحيط بهم ذكر، وهو ما يفهم من قوله:" وحشرنا في زمرة هؤلاء السادات الأخيار أهل تلمسان وفقهائها لا يقدر أحد على إحصاء عددهم لكثرتهم نفعنا الله بهم، ولو رمنا استيفاء ذكرهم لضاقت الدفاتر عما انتهى إلينا خبرهم رضي الله عنهم أجمعين"[4].

1 – المصدر السابق، ص41.

2 – المصدر نفسه، ص177.

3 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج2، المرجع السابق، ص355.

4 – أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان**، المصدر السابق، ص307.

وأما الفهرس الثاني في أسماء الرجال والنساء(ص8إلى ص36)، فرتبه هو الآخر ترتيبا ألفبائيا، فدل على المواضع التي ورد فيها ذكر العلم من الرجال والنساء في الكتاب. والفهرس الثالث في أسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار(ص37إلى ص42)، المذكورة في متن الكتاب.

وأما الفهرس الرابع في أسماء الكتب(ص43إلى ص63)، فهو يشترك مع بقية الفهارس في الترتيب الألفبائي، وقد ذكر فيه المحقق المؤلفات الواردة بمتن النص، منها: إحياء علوم الدين للغزالي، تفسير القرآن للرازي، العبر وديوان المبدأ والخبر لابن خلدون، الأجرومية وألفية ابن مالك، وغيرها من المؤلفات.

إن وضع مثل هذه الفهارس يساهم في التعرف على جميع جوانب النص المحقق، بما تحتويه من معلومات تؤكد صحة متن النص المحقق ونسبه إلى مؤلفه دون غيره، «فالفهارس تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التهدي إليها كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه»[1]، ولذلك فهي تعد ضرورية في عملية التحقيق، ويبدو أن هذا الأمر لم يفت ابن أبي شنب في عمله هذا.

أما عن الآراء حول هذا الكتاب فهي عديدة، ومن أبرزها شهادة الدكتور ناصر الدين سعيدوني في كتابه التراث التاريخي الذي يعتبر كتاب البستان: المصدر الأساسي للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية وما يتصل بها من عمران وعوائد ومعاملات بالمغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة لفترة طويلة تمتد من القرن السادس إلى غاية الحادي عشر للهجرة (ق12هـ/16م) [2].

وقد حظي الكتاب باهتمام المؤرخين وتقدير المستشرقين، إذ ترجمه المستشرف بروفانصال(Provençal) إلى الفرنسية، وأخذ عنه المستشرق الفرنسي الأب بارجيس(Barges) ما كتبه عن تلمسان، وقام محمد بن أبي شنب بتحقيقه واعادة بعثه من جديد، وهو الذي قال عليه: «هو أعظم المؤلفات في تراجم العلماء السادات»، مع نقده في المبالغة في ذكر الكرامات والحكايات الخارقة دون تمحيص، مما يضعف مصداقيته العلمية لدى البعض.

3- قيمة الكتاب: يتمتع كتاب البستان بقيمة متعددة الأبعاد، تجعله مرجعا في التراث المغاربي، وسجلا حيًّا لتاريخ تلمسان في تلك الحقبة الزمنية، لا يستغنى عنه في توثيق الحياة العلمية والثقافية بها.

ولأن كان الكتاب قد ألف في تراجم الأولياء والعلماء، ويظهر تحول تلمسان من مركز سياسي إلى حاضرة علمية وصوفية، إلا أنه موصول كذلك ببعض الأحداث الجسام التي مر بها المجتمع التلمساني، الذي خاض حربا دامية ضد وباء الطاعون الذي أودى بحياة كثير من العلماء.

1 - عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1998م، ص90.

2 - ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي(تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999م، ص302

كما أن لكل دارس لهذا الكتاب يمكنه استخراج فوائد جمة، منها التاريخية التي عايشها هؤلاء العلماء والأولياء المترجم لهم، وكذا المعلومات المتعلقة بالعمران والمنشآت التي كانت متواجدة بمدينة تلمسان واحوازها كالمدرسة التاشفينية وزواياها، بالإضافة إلى أخبار أخرى.

وفي الأخير، تعتبر عملية تحقيق البستان من طرف ابن أبي شنب وبعثه من جديد مساهمة ذات قيمة مضافة في تاريخ الجزائر الثقافي، أمكن استثمارها في تلك الحقبة لمواجهة السياسة الفرنسية والدفاع عن الخصوصية الثقافية للمجتمع الجزائري، التي أصبحت في مهب ريح عاتية تعصف بكل مقوماته، وتمس كل مظاهر حياته الثقافية والعلمية.

ثانيا– كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية" للغبريني: يعد كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، أحد أهم المصادر التاريخية التي أرخت للحياة الفكرية والعلمية والأدبية ببجاية خلال القرن 07هـ/ 13م، حيث كشف فيه مؤلفه ما كان خفيا من تاريخ هذه الحاضرة خلال تلك الحقبة الزمنية.

1– الدراسة الظاهرية للكتاب.

1–1– التعريف بمؤلف الكتاب: أحمد بن أحمد[1] بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، وكنيته أبو العباس، وقد غلبت عليه شهرته الغبريني نسبة إلى "بني غبري" بطن من قبائل الأمازيغ "البربر" في المغرب الأوسط، وكان ميلاده في أواسط المائة السابعة سنة 644هـ/1246م، على الأرجح من الأقوال.

انطلق منذ صغره نحو العلم، فانكب على حفظ القرآن، وعلوم الفقه والتفسير والحديث والعربية والمنطق وغير ذلك من فنون العلم التي كانت سائدة في عصره، حتى بلغ عدد شيوخه الذين أخذ عنهم نحو سبعين شيخا من أعلام شيوخ المغرب الأوسط وتونس والأندلس.

وقد ترجم لأغلبهم في كتابه عنوان الدراية، نذكر منهم: الفقيهين أبي محمد عبد العزيز القيسي وأبي محمد عبد الله بن عبادة، الذين قرأ عليهما موطأ الإمام مالك، ومختصر ابن أبي زيد وغير ذلك، والفقيه أبو العباس أحمد بن خالد المالقي، الذي قرأ عليه المستصفى للغزالي، والإرشاد وعلم المنطق والطب.

---

1 –وقع خلاف بين مترجميه حول اسم أبيه هل هو "أحمد" أو "محمد". فقد ذهب ابن قنفذ القسنطيني(ت810هـ) في الوفيات إلى أنه أحمد بن محمد الغبريني، وتبعه على ذلك ابن القاضي المكناسي صاحب "لقط الفرائد". غير أن معظم كتب التراجم والسير اعتمدوا اسم "أحمد" وهو ما ورد في مقدمة الطبعة الأولى التي حققها ابن أبي شنب وفي خاتمة الكتاب. للمزيد ينظر، ابن قنفذ القسنطيني، **كتاب الوفيات**، تح، عادل نويهض، مؤسسة نهيض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت– لبنان، 1982، ص379./ ابن القاضي المكناسي، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط– المغرب الأقصى، 1976م، ص69./ أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، تح، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1328هـ/ 1910م

وأما علم العربية فقد أخذه عن الشيخ أبي الحجاج ابن سعيد وأبي عبد الله الكناني وأبي عبد الله التميمي، يقول في هذا الخبر: «لا زمته المدة الطويلة وما رأيت في علم العربية مثله وانتفعت به ما لم انتفع بغيره وقرأت عليه النحو واللغة والأدب والتصوف»[1].

واتفق مؤرخو المغرب الإسلامي وكتاب السير المغاربة على تولي الغبريني القضاء –بعدما شغل وظيفة التدريس ردحا من الزمن– بمواضع عدة، آخرها مدينة بجاية، «فكان في حكمه شديدا، مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه، وحفظ لفروعه، وقيام على النوازل، وتحقيق المسائل»[2].

ولم تذكر المصادر التي ترجمت للغبريني سوى مؤلف واحد له هو "عنوان الدراية"، الذي به أشتهر وذاع صيته، وبهذا الكتاب حفظ لنا أسماء علماء بجاية ومن ورد عليها من الأعلام.

أجمع أكثر المؤرخين على أن الغبريني قد توفي بمدينة بجاية سنة 714هـ، غير أن ابن قنفذ القسنطيني وابن القاضي المكناسي ذكروا أن وفاته كانت سنة 704هـ، ويرجح ابن أبي شنب التاريخ الأول.

بينما تضاربت المصادر في سبب موته، ففيما ردها البعض إلى إصابته بالطاعون، سكت البعض الآخر عن سبب الموت واكتفى بذكر سنة الوفاة، إلا أن ابن خلدون ذهب إلى أن الغبريني مات مقتولا سنة 704هـ[3] بعدما حُرّض السلطان أبو البقاء خالد بن زكريا أمير بجاية ضده، والذي أمر بقتله في سجنه.

1-2- التعريف بالكتاب: يعد كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، بمثابة معجم تراجم لعلماء بجاية، لذلك استرعى نظر محمد بن أبي شنب ونال إعجابه، فجد في البحث عن بعض نسخه المخطوطة، وحققه ثم طبعه بالمطبعة الثعالبية لصاحبها أحمد بن مراد التركي وأخيه، بمدينة الجزائر المحمية سنة 1328هـ/ 1910م، وهو يحتوي على 236 صفحة بالإضافة إلى 06 صفحات للفهرس.

وقد أشار الغبريني في مقدمة كتابه إلى تاريخ شروعه في تأليفه، حيث يقول: «وأني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات»[4].

---

1 – أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، تح، محمد بن أبي شنب المصدر السابق، ص218.

2 – أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الُباهي، **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، نشر، ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة– مصر، 1984، ص132.

3 – عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشان الأكبر)**، تح، خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيرزت– لبنان، 1988، ج6، ص462.

4 – أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، تح، محمد بن أبي شنب، المصدر السابق، (مقدمة المحقق).

وكان اختيار الغبريني لعنوان كتابه " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية "اختيارا موفقا، فالعنوان يعبر بدقة عن المادة العلمية التي يحتوي عليها، وسيظهر ذلك من خلال الملخص العام للكتاب.

يحتوي الكتاب على تراجم مفصلة أو موجزة لعلماء بجاية، مع ذكر أنسابهم ومشايخهم وتلاميذهم ومؤلفاتهم، وتسجيل تاريخ الحركة العلمية بها، باعتبارها مركزا إشعاعيا للعلم والثقافة آن ذاك.

اعتمد الغبريني في انجاز مؤلفه على مصادر ومراجع متنوعة، بعضها مذكور في الكتاب نفسه

2- الدراسة الباطنية للكتاب: يمثل كتاب "عنوان الدراية" نافذة على تاريخ بجاية وحضارتها، وأثرا علميا يكشف لنا عن ملامح الازدهار الفكري والعلمي الذي كانت تتميز به بجاية في القرن السابع للهجرة، ودور ذلك في استقطاب أهل العلم وطلبته، وهو بذلك يعد مرجعا هاما لكتاب التراجم والسير، كما أنه يطلعنا على النشاط الدراسي الذي يتبعه أهل هذه المناطق في طلبهم للعلم.

يفتتح الكتاب بمقدمة مختصرة للمحقق محمد بن أبي شنب لا تزيد عن صفحة واحدة، ضمنها بعد الحمدلة والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، ذكر لعنوان الكتاب"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، ثم الثناء على مؤلفه الذي يقول فيه: «للعلامة المحقق، والفهامة المدقق، الجامع بين الدراية والرواية، قاضي القضاة ببجاية، الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني رحمه الله ورضي عنه»[1].

وانطلاقا من العنوان يتعرف القارئ عن محتواه، الذي تضمن تراجم لعلماء قطنوا ببجاية في فترة محددة حصرها المؤلف في المائة السابعة للهجرة، يقول الغبريني عن ما احتواه مؤلفه: «أورد فيه مؤلفه من تراجم علماء عصره وأخبار أحبار مصره ما يحتاجه المتشوق إلى فرائد الفوائد والمتشوق إلى أوابد العوائد، مع ذكره وفياتهم ومؤلفاتهم وسيرهم في مذاهبهم وعاداتهم واستطراد الأحاديث الشريفة والآثار الصالحة المنيفة والمباحث الفقهية والفتاوى الشرعية وغير ذلك مما لا يحصى، ولا من غيره يستقصى »[2].

وقد حقق بن أبي شنب الكتاب ونشره سنة 1910م[3]، معتمدا على أربع نسخ حسب ما أورده في المقدمة، «(الأولى) للمكتبة الدولية الجزائرية محفوظة تحت عدد 1734، و(الثانية) للفقيه النبيه سيدي عبد الرزاق الاشرف القاضي(باتنه) الحالي، و(الثالثة) للعالم العلامة سيدي علي بن الحاج موسى، الإمام بمسجد ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر، و(الرابعة) للفقيه النجيب والوجيه الأديب الشيخ سيدي أبي القاسم محمد

1 - المصدر السابق، (مقدمة المؤلف).

2 - المصدر نفسه.

3 - أعيد طبع الكتاب مرة ثانية سنة 1969 مصحوبا بالفهارس، وتحقيق عادل نويهض، ثم حقق مرة ثالثة من طرف الأستاذ رابح بونار سنة 1981م. ينظر، أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط2، تح/ تع، عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت- لبنان، نيسان(أبريل)، 1969م./ أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط2، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

الحفناوي المدرس بالمسجد الأعظم بالجزائر»[1]، إلى جانب ذلك، راجع لتوثيق النص مصادر مهمة، مثل: نفح الطيب، ونيل الابتهاج، وجذوة الاقتباس.

ويمكن للقارئ أن يستشف أسباب تأليف الغبريني لهذا الكتاب من خلال ما جاء في المقدمة، حيث يقول: « (أما بعد) فإنه لما كان طلب العلم اللدني فرضا على الكفاية حينا ومتعينا في الحال، ولم يكن بد في تحصيله من تلقيه عن الرجال، وكان التلقي إما بمباشرة أو عن سند ذي اتصال، وكان المباشرة تكفي معرفته، والمسند عنه لا بد أن تعرف صفقه، فلذلك اهتم العلماء بذكر الرجال، واستعملوا في تمييز أحوالهم الفكر والبال،... وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدأ للمسرات، اذكر منهم من اشتهر ذكره، ونبل قدره، وظهرت جلالته، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته»[2].

استهل الغبريني متن الكتاب بترجمات إضافية لبعض علماء القرن السادس هجري، وبرر ذلك بالقول: «وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة، ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي، والفقيه أبي محمد عبد الحق الاشبيلي رحمهم الله ورضي عنهم لقرب عهدهم بهذه المائة، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم »[3].

ويضيف «ثم أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام إفادتي، ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم رحمهم الله»[4]، ليبلغ عدد المترجم لهم 149 ترجمة.

وهنا نلاحظ أن المؤلف قد نهج منهجا في مؤلفه يعتمد على سرد أسماء العلماء وفقا لعامل الزمن، كما عمد إلى الانتقاء انطلاقا من ذكر ثلاثة علماء ينتمون إلى أواخر القرن السادس هجري، ثم ترجمة لعدد كبير من علماء القرن السابع، وفي انتقائه رتب العلماء حسب الأفضلية، فذكر الشيوخ: أبي مدين شعيب، وأبي علي حسن المسيلي، وأبي محمد عبد الحق الأشبيلي، لانتشار فخرهم وفضلهم، ثم يذكر من استفاد منه من العلماء، ثم يذكر بعدهم عامة العلماء.

من خلال هذا العدد الوفير من العلماء الذين ازدحمت بهم بجاية، وتراجم سيرهم، أمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف هي:

- تراجم البجائيين والجزائريين ومن يتصل بهم.
- تراجم الأندلسيين المهاجرين إلى بجاية ونواحيها.

---

1 - أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، تح، محمد بن أبي شنب، المصدر السابق، (مقدمة المحقق).

2 - المصدر نفسه، ص ص3-4.

3 - المصدر نفسه، ص4.

4 - المصدر نفسه، ص5.

- تراجم الغرباء الوافدين على بجاية ونواحيها من بلاد المشرق.

كان المؤلف يبدأ بذكر صاحب الترجمة في رأس موضوعه اسمه وكنيته وصفته، كما يذكر في بعض الأحيان نسبه ويتحقق من ذلك، ومثال ذلك ما ورد في الصفحة 47 من كتاب الدراية: «أبو يوسف بن سعيد»، في نسختين أبو يوسف بن«سعد». وفي الصفحة 108: «أبو عبد الله محمد بن علي القصري»، في نسختين أبو عبد الله محمد بن علي «القصيري». وفي الصفحة 109: «أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى»، في نسختين «أبو القاسم» أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى.

وبعد تحقيق اسم المترجم له، يصف حاله، متعرضا لما عرف عنه من عناية بعلم أو فقه أو أدب، ثم يختم الترجمة بنبذة من شعره إن كان شاعرا، أو حكم وأقوال مأثورة إن وجد ذلك.

ونجد أن معظم اللذين ترجم لهم الغبريني في كتابه، هم من العلماء الذين اشتهروا في علم من العلوم، ومنهم من تقلد الكتابة والوزارة، وبعضهم تولى القضاء والإمامة، وأنه أخذ على نفسه عهدا بأن لا يذكر في تراجمه ما يشير إلى القدح فيهم، بل يذكر ما امتازوا به من فضائل.

وختم الغبريني كتابه بفريدة قلما نجدها في كتب التراجم أو الطبقات، فذكر في آخر عنوانه "برنامج مشيخة المؤلف"، حيث أعطى صورة واضحة عن المؤلفات التي كانت معتمدة في كل علم من العلوم، وما تلقاه هو من علم، يقول عن ذلك: «رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدته. ووجه تلقي ما تلقيته من العلم ورويته. لينتفع بذلك من له أرب. وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب. ويتنوع ما أورد من ذلك إلى نوعين احدهما علم الدراية. والآخر علم الرواية»[1].

لا نعتقد أن الغبريني ترك من المؤلفات غير "عنوان الدراية"، فلا هو نفسه ولا الذين ترجموا له أو أرّخوا لعصره، ذكروا غير هذا المرجع، ولذا نستطيع أن نحكم على أسلوبه النثري من خلال مضمون كتابه الوحيد هذا.

يتميز أسلوب الغبريني بالوضوح والاختصار، والجمع بين الدقة التاريخية والأدبية، مع التركيز على التوثيق والنقل الأمين، كل ذلك بلغته سلسة يسهل على القارئ فهمها، كما عمد إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية، للتدليل على صحة أقواله، كما تأثر تأثراً قويا بالسجع، فلازمه في كتابه من عنوان الكتاب نفسه إلى آخر سطر من سطور صفحاته.

وقد أكثر من الجمل القصيرة والتزيينات اللفظية، فعمد في كل ترجماته إلى صيغ وعبارات تكاد تكون واحدة في الأسلوب، فعبارة "الفقيه المجتهد المحصل المتقن" مثلا، وكذلك عبارة "الفقيه الصالح الزاهد الورع" نجدها وصفا أطلقه المؤلف على المترجم لهم دون تمييز أو تفريق بين أديب وشاعر ومحدث ومؤرخ، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، إذ من غير المعقول أن يكون جميع الأشخاص على مستوى واحد في المعلومات أو على درجة واحدة من الذكاء والاجتهاد والشاعرية و...الخ.

1 - المصدر السابق، ص216.

حظي الكتاب باهتمام كبيرا من قبل المؤرخين والعلماء، وبإشادة واسعة منهم، كواحد من أهم مصادر الترجمة المحلية بالجزائر، رغم بعض المآخذ عليه، وفيما يلي أبرز ما قيل عنه:

جاء في كتاب تاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمان الجيلالي: «الغبريني حفظ لنا أسماء عشرات العلماء الذين قد يطويهم النسيان لولا هذا السِّفر القيم».

أما أبو القاسم محمد الحفناوي فيشيد بالمؤلف في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف"، حيث يقول: «وكتابه كتاب رجل خبير بما يقول، ودليل على أنه من الفحول...»[1].

وقد أثنى عادل نويهض على الكتاب في مقدمته التحقيقية، موضحا قيمته التاريخية والعلمية، باعتباره مصدرا أساسيا لفترة مهمة من تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي، ورغم الملاحظات النقدية، إلا أنه بشهادة أكبر العلماء « هو أصدق وأشمل سجل طبع عن الحياة العقلية في المائة السابعة للهجرة لا في بجاية وحدها إنما في المغرب الأوسط أيضا»[2].

ويشير الأستاذ رابح بونار للباعث الذي حفزه على تحقيق الكتاب وطبعه للمرة الثالثة سنة 1971م، من خلال الأهمية الأدبية والعلمية التي ينطوي عليها كوثيقة نادرة لتاريخ الحياة العلمية في بجاية والقطر الجزائري عامة في القرن السابع الهجري، وهو مرجع لا يستغني عنه كل دارس، مؤرخ أو باحث اجتماعي[3].

3- قيمة الكتاب: يُعد كتاب "عنوان الدراية" كنزا تاريخيا وعلميا لفهم الحياة الثقافية في بجاية خلال العصر الذهبي للمدينة. وتتجلى قيمته في مجموعة التراجم التي ذكرها الغبريني، والتي تعطي صورة واضحة وجلية لما كانت عليه تلك الحاضرة من حركة علمية وفكرية وأدبية وثقافية واسعة، على مدى أكثر من قرن من الزمن، بالإضافة إلى العلاقات المختلفة التي تنشأ بين أهل العلم والحواضر العلمية.

وإلى جانب الفائدة من التراجم والطبقات، فإن الكتاب يعد مادة مصدرية مهمة للكثير من جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولا سيما ما يهم الحياة الثقافية التي نجح الغبريني في تكوين صورة متكاملة عنها إلى حد كبير، فهذا الكتاب انعكاس لثقافة عصر، وتعبيرا صادقا عن اهتمامات وميول مؤلفه من الناحية الفكرية والسلوكية.

عكس الكتاب بحق ما كان لحاضرة بجاية من أثر يذكر في تنمية إنتاج مختلف العلوم الإسلامية، ومدى صلاتها الوثيقة التي كانت تربطها مع مراكز النهضة العلمية الإسلامية في المشرق والمغرب.

---

1 - أبي القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر 1324هـ/1906، ص26.

2 - أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط2، تح/ تع، عادل نويهض، المصدر السابق، ص15.

3 - أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط2، تح، رابح بونار، المصدر السابق، ص50.

ولذلك كله، يعد كتاب "عنوان الدراية" مرجعا أساسيا لكتاب التراجم والسير من بعده، وصورة صادقة عن الحياة العقلية في مدينة بجاية، وأصدق وأشمل سجل طبع عن الحركة العلمية والأدبية والثقافية في المائة السابعة للهجرة لا في بجاية وحدها إنما في المغرب الأوسط أيضا.

ثالثا– كتاب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهور بالرحلة الورثيلانية للشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني: يعد كتاب "الرحلة الورثلانية" من بين أكبر الأعمال التي أنجزها الورثيلاني في حياته، ومن بين أهم المراجع التي أرخت لتراث الرحلة في الجزائرية وبلاد المغرب، حيث جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج، وصورة حية للعالم الإسلامي في العصر العثماني المتأخر، وبذلك تعد مرجعا هاما للباحثين في التاريخ وأدب الرحلة، بالإضافة إلى فوائد جغرافية وتراجم لعدد لا بأس به من الأعلام مع ذكر آثارهم ومؤلفاتهم.

1– الدراسة الظاهرية للكتاب.

1–1– التعريف بمؤلف الكتاب: هو الحسن بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني، الرحالة والمؤرخ والفقيه، ولد في بني ورثيلان[1]–ومن ثمة نسبته الورثيلاني– سنة 1125هـ/ 1713م، وتوفي بنفس مكان ميلاده في شهر رمضان سنة 1193هـ/ 1779م، وبعضهم قال عام 1194هـ عن عمر ناهز ثماني وستين أو تسعا وستين سنة[2].

يعود في نسبه إلى أسرة عربية شريفة من بيت علم وفضل وصلاح، وكان جده قد جاء من ميلة وصاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات وأصبح شيخ علم معترفاً له، وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة، وهكذا اجتمع في أصول الورثيلاني الدين والدنيا: الدين عن طريق جده ووالده اللذين كانا أيضا من المرابطين، والدنيا عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف.

نشأ الورثيلاني نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، وفي المدرسة القرآنية التي كان يديرها والده حفظ القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، وبعد أن شب ذهب يبحث عن العلم في مختلف الزوايا وعند شيوخ وطنه، فتعلم الفقه والنحو ثم أضاف إلى ذلك علمي التصوف والتوحيد، ولا شك أنه نال حظا من اللغة والأدب والعروض والتاريخ[3].

رحل بعدها الورثيلاني نحو المشرق، والتقى بعلماء أجلاء، وفقهاء أكفاء، وقد استفاد من علمهم ونهل من دروسهم فأجازوه في مختلف العلوم، ومنهم: الشيخ الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفزاوي والعفيفي والسيد البليدي والملوي والصباغ والعمروسي وخليل الأزهري وعمر الطحلاوي والزياتي والاشبيلي وأبي القاسم والربيعي

1 – بني ورثيلان: موطن الرحالة والتي هي جزء من منطقة القبائل الصغرى القريبة من مدينة بجاية.

2 – الحفناوي أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ج2،ص 134.

3 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، 1998م، ج02، ص394.

والهاشمي وابن شعيب والكردي، ثم رجع من المشرق بعد أن امتلأ وطابه وفاض عبابه، فعلم وأفاد وألف وأجاد ودعا إلى الله العباد[1].

أدى فريضة الحج ثلاث مرات، الأولى برفقة أبيه وهو ابن ثمانية عشر سنة، وكان ذلك سنة 1153هـ/ 1740م، والثانية سنة 1166هـ/1752م، والثالثة دامت ثلاث سنوات وكانت ما بين 1179هـ-1181هـ/ 1765م-1768م[2]، وقد أتمها في الرابعة والخمسين من عمره.

وهكذا أصبح الورثيلاني كجده ووالده، من علماء المنطقة البارزين، ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة الروحية والاحترام، وقد أصبح بعد ذلك من المدرسين وشيخ زاوية الأسرة، حيث تخرج على يديه عدد كبير من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية.

ألف الورثيلاني تصانيف عديدة معظمها في الفقه والتصوف والتوحيد، منها:"شرح على القدسية" للشيخ عبد الرحمان الأخضري، و"شرح على وسطى الإمام السنوسي"، وحاشية جليلة على حاشية المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السنوسي، وكتاب المرادين وقصيدة فيها خمسمائة بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[3]، وأكبر عمل ألفه في التاريخ والأخبار هو الرحلة التي نحن بصدد دراستها، وقد سمها تسمية تلفت الأنظار، وهي "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".

1-2- التعريف بالكتاب: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهور بالرحلة الورثيلانية للشيخ العالم الرباني والشريف النوراني سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، وهو ثمرة رحلاته الحجازية الثلاث، حيث أن بين كل رحلة وأخرى مدة ثلاثة عشر سنة، مما مكنه ذلك من ترتيب أبواب كتابه.

صدر هذا الكتاب عن مطبعة بيير فونتانا بمدينة الجزائر سنة 1908م، لمحققه محمد بن أبي شنب، بطلب من الحاكم العام الفرنسي "جونار"، يقول محمد بن أبي شنب عن ذلك الطلب: «ولما كان هذا التأليف، الحسن الترصيف، مطمع الأنفس، وغاية التأنس، أمر سمو الوالي العام بطبعه، لتعميم نفعه»[4].

أما تأليف الورثيلاني لرحلته لم يكن مجرد تسجيل لرحلة عادية، بل كان له أهداف واضحة، منها بيان فضل علم "التاريخ" والأخبار، الذي يعده مرآة الزمن ويعرف بالأمم وحضاراتها، وعين على استخلاص العبر، كما كان توثيق الرحلته جزءا من تقليد إسلامي يتمثل في رحلة طلب العلم وزيارة الأماكن المقدسة.

1 - الحفناوي أبو القاسم محمد، **المرجع السابق**، ص 134.

2 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج02، المرجع السابق، ص395.

3 - الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانية**، تص، محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص (ذ).

4 - الحفناوي أبو القاسم محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص(مقدمة المحقق).

فهي إذا ليست مجرد يوميات مسافر، بل هي مشروع متكاملا يجمع بين العلم والدين، والتاريخ والجغرافيا، وعلم السير والتصوف.

يقع هذا الكتاب الذي نحن بصدد دراسته في ثمان مائة وتسعة عشرة صفحة (819) بما فيها كلمة المحقق، وترجمة المؤلف، والفهارس، وقد كتب بخط مغربي وأوراق صفراء.

2- الدراسة الباطنية للكتاب: تعتبر الرحلة الورثيلانية من أبرز الرحلات التي شهدتها الجزائر خلال القرن الثاني عشر هجري (18م)، حيث جمعت بين التحصيل العلمي وتأدية مناسك الحج، وتعد مصدرا هاما من مصادر تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني.

يقع كتاب الرحلة الورثيلانية في جزء واحد امتاز بالضخامة، وقد اعتمد محمد ابن أبي شنب في تحقيقه على أربعة نسخ الأولى «نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف مجموع صفحاتها 642 في كل صفحة من 21 إلى 32 سطرا، و33 كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة طولها 271 مليمترا في عرض 210 مليمترا. ونسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جميل، مقابلة كالتي قبلها على مسودة المؤلف مجموع أوراقها 253 في كل صفحة 21 سطرا و31 كراسة غير مخطوطة متخللة أيضا بأوراق مورقة طولها 207 مليمتر في عرض 190 مليمترا وهي أصح النسخ وأقل بياضا. ونسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها غير جيد، مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح لشهر شعبان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر(1313) مجموع صفحاتها 640 في 37 كراسة غير مخيطة، متخللة بأوراق مورقة في كل صفحة 20 سطرا وطولها 265 مليمترا في عرض 195 مليمترا. ونسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس سنة 1321هـ بتصحيح الشيخ على الشنوفي والشيخ الأمين الجريدي، وهذه النسخة مشتملة على ثلاثة أجزاء في الأول 250 صفحة وفي الثاني 214 صفحة وفي الثالث 260 صفحة، غير أنه يمكن أن تعتبر نسخة مخطوطة بخط مغربي يكاد لا يقرأ في بعض المواضع لانطماس الحروف وتعثر القلم والتمجمج أو تفشي المداد وزيادة على ذلك لم ينبه في غير موضع عن البياض الموجود في الأصل »[1].

يُفتتح كتاب الرحلة بمقدمة تحت عنوان "كلمة للمصحح" من تأليف محمد ابن أبي شنب، امتازت بأسلوب بسيط غلب عليه السجع، على الرغم من خلو أسلوب المحقق في عمومه من التأنق والزخرف اللفظي وتأثره بالكتابات الاستشراقية التي تميل إلى العلمية أكثر، ومما جاء في مقدمته حين تحدث عن أهمية الرحلة: «أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد، وفرائد الفوائد...» [2]، مع ذكر الجهد الذي بذله في التصحيح، كون الأصول التي رجع إليها في التحقيق مختلفة في الروايات ومضطربة العبارات.

1 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص (ب).

2 - المصدر نفسه.

وأُتبعت مقدمة المحقق بمقدمة ثانية تحت عنوان"ترجمة المصنف"، وهي بقلم عبد القادر بن محمد الصغير ناسخ الرحلة، وفي هذه الترجمة تعريف بصاحب الرحلة، وتصانيفه العديدة، وتآليفه المفيدة، والمجالات التي نبغ فيها.

ثم يأتي بعد ذلك أبواب الرحلة الورثيلانية، وهي عبارة عن مسار الشيخ إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، ثم عودته إلى قريته ببني ورثيلان، ويُتبع متن الكتاب بخمسة فهارس، وهي:

- الفهرس الأول: خاص بأبواب الكتاب(ص01إلى ص713).

ضم هذا الفهرس مجمل أبواب كتاب الرحلة الورثيلانية إلى الحجاز قصد الحج وطلب العلم، وهي عبارة عن مسار الشيخ من مسقط الرأس بالجزائر مرورا بتونس وطرابلس ومصر التي زار فيها الأزهر ولقاء علمائه وصولا إلى بلاد الحجاز وأداء مناسك الحج وزيارة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، مع ذكر مختلف الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى التاريخية لهاته المناطق، وكذا زيارته للأولياء والأصفياء في الطريق، ومدح العلماء الذين التقى بهم.

- الفهرس الثاني: يتعلق بأسماء الرجال والنساء والقبائل (ص714إلى ص732).

أُعتمد في هذا الفهرس الترتيب الألف بائي لأسماء الرجال والنساء والقبائل، حيث بدأ بآدم عليه الصلاة والسلام، وينتهي إلى يونس بن يلس المسيلي. ونفس الترتيب سيعتمد في بقية الفهارس اللاحقة.

- الفهرس الثالث: يحوي أسماء الأماكن والبلدان والجبال والأنهار (ص733إلى ص777).
- الفهرس الرابع: يخص أسماء الكتب الواردة في الرحلة(ص778إلى ص801).
- الفهرس الخامس: يتعلق بقوافي أبيات الشعر الواردة في الرحلة (ص802إلى ص814).

أتبعت الفهارس بجدول يجمل بيان الخطأ والصواب في مطبوع هذا الكتاب(ص815إلى ص819).

يصف الورثيلاني مؤلفه في مقدمة متن الرحلة، بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالقول: «فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار، والرباع والقفار والديار، والمعاطن والمياه والبساتين والأرياف، والقرى والمزارع والأمصار، والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الأخيار، والأشياخ العارفين والإخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقربين والأبرار، من المشرق إلى المغرب سيما أهل الصحو والمحو إذ ليس لهم مع غير الله قرار، أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشادي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار»[1].

وهنا يبرز لنا وبكل دقة ووضوح دوافع تأليف الورثيلاني لهذه الرحلة، التي هي نتاج شغفه الكبير بما رأى وشاهد أثناء تلك الرحلات التي قادته نحو المشرق.

1 - الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر نفسه، ص (ب).

وانتقد في المقدمة عدم اهتمام أهل بلاده بالتاريخ وسخريتهم من دراسته ودارسيه، بينما اعتبر هو أن علم التاريخ من العلوم التي تزيد في فضل الإنسان، ويربط خلف هذه الأمة بسلفها، كما دعا إلى الاقتداء بهم، وتتبع آثارهم، باعتبار أن هذا النوع من الآثار يكاد أن ينعدم من هذا الوطن، وفي هذا يقول: «لما رأينا من وقوع الإهمال في تلك التراجم في وطننا، فرسمنا كل ذلك رسما جيدا، فحفظت من كل خلف وصف أسلافه، ونقلت من كل نوع أخبار أصله، علما مني لا يمجه السمع السليم، والطبع المستقيم، ريحانة لما يجده المتأخر بعدنا، ورحمة لما يحصل من اقتباس الأنوار في وطننا»[1].

ومن المواضيع البارزة في الرحلة هو الوصف الجغرافي والسرد التاريخي لمسار الرحلة عبر المدن والبلدان التي زارها، انطلاقا من بلده الجزائر ثم تونس ثم ليبيا ثم مصر وصولا إلى بلاد الحجاز، وكان شديد الحرص على وصف كل المناطق التي شاهدها وصفا دقيقا، ومن جملة ذلك حديثه على معالم طريق الحج الوعرة منها والسهلة، مما يجعل السالك لها يعرف من خلالها مدى استطاعته أو عدمها على الحج.

فمعرفة الاستطاعة وعدمها إنما تكون ببيان المراحل وصعب الأماكن وسهلها، وبيان المسافة بين المعاطن وبيان العذب منها وغيره، ليعرف ما يتزود من الماء وقدر ما يعرف من الأحمال، وكل ذلك يحتاج فيه إلى تصور الطريق بالتفصيل، ليعرف الإنسان حصول الاستطاعة لنفسه، فيجب عليه أو عدمها فلا، لأن الحكم بالاستطاعة فرع التصور للطريق [2].

ومما يلاحظ أن مصر والتي يبدو أنه مكث بها مدة ليست بالقصيرة، قد تحمل بالنظر إلى الأبواب التي خصها بالذكر في رحلته انطباع متفرد ومتميز في نفسه، حيث أنه أعجب بها، ويظهر ذلك في وصف أهلها وأسواقها ودكاكينها وأزقتها وديارها ووكلاتها وقهواتها ومساجدها ومدارسها وعجائب قرائها وعلمائها وصلحائها وطلبتها وفقرائها وظلامها وبطارقتها وأهل شرطتها وجنودها وعساكرها وأمرائها وكثرة خلقها[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرحلة إلى الحجاز، سبقتها رحلة داخلية في بلاد الجزائر قصد زيارة رجالات العلم والفقهاء، وكذلك قبور أولياء الله الصالحين، وذلك بهدف الإعلام على ما يبدوا بالرحلة والحصول كما يقول: على بركة هؤلاء الأولياء والصلحاء ودعواتهم.

أما في الجانب الآخر من الرحلة، فنجد سرد لقائمة طويلة من تراجم الأولياء، والعلماء والفقهاء، الأحياء منهم والأموات، سواء في ارض الجزائر أو بالمناطق والمدن التي زارها خلال مسار الرحلة.

1 – المصدر السابق، ص (ب).

2 – المصدر نفسه، ص143.

3 – المصدر نفسه، ص316.

وعن الدواعي والمبررات التي يسوقها لذلك الكم الهائل من التراجم، وخاصة لصلحاء وطنه فيقول: «هم أهل سداد وصواب وخدمة رب الأرباب، أولو فضل وعلم وأدب وحلم، أنوارهم ساطعة وأحوالهم مرتفعة وضمائرهم خاشعة، ونفوسهم لله خاضعة جملة وتفصيلا»[1].

وقد جاء أسلوب الرحلة واضح وبعيدا عن التكلف، مكتفيا بالمفردات والعبارات المتداولة عند الجميع، وإن كان لا يخلوا من التنميق والإطراء عند ذكر بعض الإعلام الذين ترجم لهم، كما أنه جنح إلى استعمال بعض العبارات الدارجة عند سرده للأحداث التاريخية.

اعتمد الورثيلاني في تدوين الرحلة على نوعين من المصادر، الأولى تتمثل في مشاهداته الخاصة وعلى ما سمعه من عامة الناس والعلماء والمشايخ، ومن ذلك تكرر عبارة"وقد شاهدنا..."، "وقد سمعت..."، "وقد أخبرني شيخنا سيدي أبو المهدي عيسى الثعالبي...".

الكتب التي اعتمد عليها أيضا "عنوان الدراية" للغبريني، و"النبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة" و"الوغليسية" بشرح عبد الكريم الزواوي، أما طريق الحج وتونس ومصر وطرابلس والجزيرة العربية فقد اعتمد على رحلة أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري، وكذا العياشي و"حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" و"الأدلة السنية" لابن الشماع، وغير ذلك[2]. كما أنه أكثر من النقل على الدرعي الذي كان أحيانا ينقل عنه صفحات كاملة، ويسميه "شيخ شيوخنا".

لقي الكتاب اهتماما كبير من قبل الباحثين والمؤرخين، الذين أشادوا بقيمته التاريخية والأدبية والعلمية، وفيما يلي أبرز الآراء والتقييمات التي وجهت نحو الكتاب ومؤلفه:

يعتبره أبو القاسم سعد الله الكتاب موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر (18م)، رغم تعدد الخطأ فيها، والافتقار إلى المنهج القويم، وكثرة الاستطراد والتكرار، ومع ذلك كله فالرحلة تعد من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال[3].

أما محمد سعيد الزاهري فيشيد بأسلوب الكتاب قائلا: «جمع بين دقة المؤرخ وأسلوب الأديب، فجاءت رحلته سلسلة وممتعة، مع عمق في التحليل»، أما ناصر الدين سعيدوني فقد لاحظ أن الورثيلاني ركز على الجانب الديني والعلمي، لكنه لم يعطي تفاصيل كافية عن الأوضاع الاقتصادية أو الإدارية العثمانية، وهناك أيضا ملاحظات حول اختصاره لوصف بعض المناطق مثل ليبيا مقارنة بتفصيله لمصر والحجاز.

وإجمالا يعد الكتاب إضافة علمية ومرجعا مهما لدراسة التواصل العلمي بين المغرب والمشرق، حيث سجل أسماء علماء ومكتبات اندثر بعضها على حسب رأي عمر رضا كحالة في موسوعته معجم المؤلفين.

---

1 - المصدر السابق، ص48.

2 - المصدر نفسه، ص 04.

3 - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج02، المرجع السابق، ص398.

3- قيمة الكتاب: يعد الكتاب وثيقة تاريخية نادرة، تبرز أهميتها في قيمتها التاريخية الكبيرة بفضل ما اشتملت عليه من معلومات لها علاقة بالحياة السياسية والاقتصادية وأسلوب العيش، والمستوى الثقافي والعادات والتقاليد، والاهتمامات الشعبية للمدن والبلدان التي زارها الورثيلاني خلال رحلته نحو الحج.

فهي عبارة عن سجل حافل بأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم، وعلاقة الولايات بالسلطة العثمانية، وكذا المعالم العمرانية من مساجد ومدارس، ونافذة على الحركة العلمية ومراكز العلم والمعرفة.

وتعد الرحلة كذلك مصدرا غنيا للباحثين في التاريخ والجغرافيا، والطرق التجارية والحجاجية بين بلاد المغرب والمشرق، وتخطيط المدن وخصائصها المعمارية والعمرانية.

كما تجمع الرحلة تراجم عن علماء وأولياء ومشايخ المغرب والمشرق، وهي بذلك مصدرا من مصادر التاريخ الإسلامي في القرن الثاني عشر هجري (18م)، بما يمكن أن يكون موسوعة تاريخية تضاف إلى مؤلفات الرحالة المغاربة الآخرين.

وختاما، يتضح أن محمد بن أبي شنب قد أرسى بمنهجه في التحقيق دعائم مدرسة علمية رائدة في خدمة التراث العربي الإسلامي بالمغرب العربي، امتزج فيها الحس النقدي بالدقة الأكاديمية والوعي النهضوي، فقد اعتمد في أعماله على النصوص الأصلية، مستندا إلى النسخ الموثوقة منها، معتنيا بالضبط اللغوي وتوضيح السياق التاريخي، دون الإطناب في التعليق. وقد جسد هذا المنهج في تحقيقه لكتاب البستان، والرحلة الورثيلانية، وعنوان الدراية، التي تمثل نماذج تعكس حرصه على الإحياء العلمي للتراث، وإبرازه في ثوب محقق يستجيب لمعايير البحث الحديث.

وبهذا يمكن القول إن ابن أبي شنب قد بلغ من خلال هذه الجهود هدف التحقيق العلمي للنصوص، إذ لم يكن غايته نشرها فقط، بل بعث روحها في الوعي الثقافي والعلمي للأمة. ورغم أن هذه الكتب الثلاث هي أبرز ما حققه، إلا أنها تظل نماذج داله على مشروع أوسع خدم من خلاله التراث العربي الإسلامي.

المبحث الثالث: جهود حسن حسني عبد الوهاب في تحقيق التراث.

تميز حسن حسني عبد الوهاب بالعمل على إحياء التراث التونسي بالخصوص، واشتهر بجهوده في جمع المخطوطات، وتحقيق النصوص التاريخية، وإبراز الهوية الثقافية التونسية والعربية، متبعا في ذلك نهج الدراسات الاستشراقية التي تعتمد على طبع كتب جامعة أو مقالات في مجلات علمية. فنما فيه ذوق البحث التفصيلي، والتنقيب الأثري، والعناية بتحقيق المصادر العربية الإسلامية وإحيائها.

المطلب الأول: حسن حسني عبد الوهاب وبداية التحقيق العلمي للمخطوط بتونس.

يعتبر حسن حسني عبد الوهاب من الرواد الذين وضعوا أساسات البحث العلمي في مجال تحقيق المخطوط في تونس، فخلال عام 1923م قررت إدارة العلوم والمعارف التونسية تشكيل لجنة لنشر المخطوطات العربية المهمة التي ينبغي إخراجها من زوايا النسيان لتعم بها الفائدة ويحصل بها النفع.

وقد اختارت لتركيبة هذه اللجنة شخصيات من الهيئة العاملة التونسية تحت رئاسة المستشرق "ويليام مارسيه" أحد أعضاء المجمع العلمي الفرنسي، ومدير المدرسة العليا للغة والآداب العربية بتونس.

ومن ضمن الأعضاء المعينين في هذه اللجنة كان حسن حسني عبد الوهاب، فابتدأت اللجنة في أعمالها، واجتهدت في انتقاء ما رأته مفيدا من بين المخطوطات العربية من كتب التاريخ والرحلات والأدب[1].

وكان لدى حسن حسني آنذاك ثلاث رسائل إفريقية عثر عليها قريبا، فتعهد بتقديمها تباعا إلى اللجنة لتمثيلها للطبع بعد التعليق عليها بما يناسب.

وهذه الرسائل هي:

الأولى– "آداب المعلّمين" تأليف محمد بن سحنون الإمام القيرواني المتوفى سنة 256هـ.

الثانية– "أحكام السوق" تأليف يحي بن عمر الكناني دفين سوسة المتوفى سنة 289هـ.

الثالثة– "مسائل السماسرة" تأليف أبي العباس عبد الله الأبياني التونسي المتوفى سنة 352هـ.

يقول عن تلك الرسائل: وما كان اختياري في تقديم هذه الرسائل على غيرها إلا لكون مؤلفيها من علماء إفريقية المتقدمين وعظمائها المجيدين الذين يحق لهذه البلاد الافتخار بنبوغهم من جهة، ومن أخرى لما احتوت عليه من جليل الفائدة التاريخية والقواعد الأصولية التي يمكن الرجوع إليها متى مست الحاجة إلى تنظيم التعليم أو تدوين أحكام بلدية في هذا القطر الميمون الذي لم يزل في عصر تكوينه الإداري ونموه الاقتصادي، بحيث إن ترجيع النظر إلى ما سلف من الأنظمة والتراتيب المسنونة من ذي قبل صار ضربة لازب لمن عقد النية على الصلاح إذا كان قصده حقا بلوغ النجاح[2].

المطلب الثاني: نماذج من أعمال حسن حسني عبد الوهاب في التحقيق

أولا– كتاب"آداب المعلمين" لابن سحنون: لقد اهتمت الأمم عبر عصور التاريخ بموضوع التربية والتعليم، وطرائقه وأساليبه، وأسهم العلماء والفلاسفة والباحثون منذ أفلاطون حتى يومنا هذا في وضع النظريات التي ما زالت تتطور حينا بعد حين، وما تزال موضع اهتمام المفكرين والمصلحين.

ومن أهم وأنضج الدراسات التي أرست أسسا هامة، ووضعت مبادئ صالحة على مر السنين، تلك التربية التي أسهم العلماء المسلمون فيها إسهاما كبيرا.

ومن أبرز أعلام التربية والتعليم الذين كان لهم فضل السبق في التأليف في النظام التربوي الإسلامي، ابن سحنون، الذي هو صاحب المؤلف المدروس"آداب المعلمين".

---

1 – محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية، مطبعة العرب، تونس، 1929م، ص03.

2 – المصدر نفسه، ص04.

1- الدراسة الظاهرية للكتاب.

أ- التعريف بمؤلف الكتاب: ورد في "سير أعلام النبلاء" للإمام الذهبي، أن ابن سحنون هو عبد الله محمد بن سحنون، ولد بالقيروان سنة 202هـ، ونشأ في كنف أبيه، فقيه المغرب وإفريقيا، عبد السلام سحنون التنوخي القيرواني شيخ المالكية، الذي اعتنى بتربيته وتأديبه وتعليمه، فأخذ حظه من القرآن الكريم والعلوم الضرورية، ثم تحول إلى مجالس الدروس العالية على يد ثلة من شيوخ افريقية، فحمل عليهم مروياتهم وأتقنها، ورحل إلى الأمصار أين تعرف على كثير من أئمة العلم[1].

رجع ابن سحنون إلى بلاده مملوء الوطاب، وشاع ذكره بين طبقات العلماء والفضلاء في سائر الأنحاء، حيث اشتغل بالتدريس والتأليف، ومن جملة ما ألفه رسالة سماها "آداب المعلمين" وهي على صغر حجمها، إلا أنها رسالة قيمة ونفسية، لما تتضمنه من آراء تربوية تعبر بوضوح عن أن الأمة الإسلامية عنيت بقضايا التعلم والتعليم.

توفي ابن سحنون سنة 256هـ، مخلفا وراءه تراثا كبيرا في مختلف الفنون، ومن جملة ما ترك: كتاب "الجامع" وهو عبارة عن موسوعة شاملة للعلوم الرائجة في ذلك العصر، "المسند" في الحديث، تفسير الموطأ، كتاب "التاريخ"، "آداب المعلمين" وقيل"المتعلمين" وقيل"المعلمين والمتعلمين"[2].

ب- التعريف بالكتاب: كتب على واجهة الكتاب "كتاب آداب المعلمين مما دوّن محمد بن سحنون التنوخي عن أبيه رضي الله عنها"، اعتنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه، خادم العلم حسن حسني عبد الوهاب، ونشرته اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية، مطبعة العرب، تونس، سنة 1929م.

اعتمد عبد الوهاب في تحقيقه له على نسخة محفوظة لدى الشيخ بلحسن النجار مفتي الديار الإفريقية، تخرج في 12 صفحة مكتوبة بخط نسخي إفريقي[3].

ثم أعيد طبعه مرة ثانية بمراجعة وتعليق الأستاذ محمد العروسي المطوي، عن مطبعة دار الكتب الشرقية بتونس، سنة 1972م، والذي زاد في مراجعته للمطبوعة، نسخة ثانية موجودة بالخزانة العامة بالرباط مسجلة تحت رقم (85/ق).

يعد كتاب "آداب المعلمين" من أقدم الكتب في التربية الإسلامية، ووثيقة مهمة في تاريخ التعليم في المغرب الإسلامي، وهو يحتوي على 64 صفحة، بالإضافة إلى ملحقات وفهرس وجدول لإصلاح الأغلاط.

---

1 - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح. علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1983، ج13، ص ص60-62.

2 - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص ص26-27.

3 - توجد النسخة الآن بدار الكتب الوطنية، تونس، تحت رقم: 8787.

كما اهتم بالمسائل التربوية المتعلقة بالمعلمين، وما يجب عليهم نحو تعليم الصبيان وتأديبهم من النواحي الدينية والفقهية، فتضمن أحاديث مسندة، ومسائل في أبواب التربية والتعليم كان قد ألقاها على أبيه الإمام سحنون (ت240هـ/854م). لذلك يمكن اعتبار أن مضمون هذا الكتاب هو الأساس الذي كان يعتمد عليه في تعليم الصبيان بإفريقية خلال أواسط القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي.

وإذا رجعنا إلى متن الكتاب نجد أن ابن سحنون قد قسمه إلى فصول متنوعة، تناول فيها: فضل التعليم والتعلم، وحقوق وواجبات المعلم، وكذا منهج تعليم الصبيان، وتنظيم العملية التعليمية، معتمدا في انجاز كل ذلك على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وجملة من المصادر والمراجع، ذكرها المحقق في التهميش منها: إحياء علوم الدين للغزالي، أعمال الأعلام لابن الخطيب، البيان المغرب لابن العذاري، طبقات علماء افريقية لابن العرب والخشني، مقدمة ابن خلدون، المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار.

بقي أن نشير إلى ابن سحنون ألف كتابه هذا لأسباب متعددة، بعضها مرتبط بالسياق التاريخي والاجتماعي في عصره الذي يقول عنه : «شاهدنا بأعيننا الكتاب يعالج سكرات الموت لما اعتراه من الوهن والبلاء كأنه يجرُّ وراءه الشيخوخة والهرم»[1]، وبعضها الآخر نابع من اهتمامه الشخصي بالتعليم والفقه، وبما أنه كان فقيها مالكيا وقاضيا، فأراد أن يربط العملية التعليمية بأحكام الفقه الإسلامي كحكم أجر المعلمين هل هو جائز أم لا؟ وحدود تأديب التلاميذ وحقوق وواجبات الأولياء تجاه المعلمين.

2- الدراسة الباطنية للكتاب: أُلف كتاب "آداب المعلمين" في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وهي فترة ازدهار الثقافة الإسلامية على عهد إفريقية الأغلبية، حيث شهدت تلك الحقبة تطور نظم الكتاتيب وانتشار التعليم، واهتمام الفقهاء بالتربية كجزء من بناء المجتمع الإسلامي.

وقد حظي هذا الكتاب بعدة تحقيقات علمية من قبل باحثين مختصين في التراث العربي الإسلامي، ومن أبرزهم حسن حسني عبد الوهاب، الذي يرجع سبب تقديمه لهذا الكتاب عن غيره من الكتب في التحقيق، إلا لكون مؤلفه من علماء إفريقية المتقدمين وعظمائها المجيدين الذين يحق لهذه البلاد الافتخار بنبوغه من جهة، ومن أخرى لما احتوى عليه من جليل الفائدة التاريخية والقواعد الأصولية التي يمكن الرجوع إليها متى مست الحاجة إلى تنظيم التعليم[2].

وإذا انتقلنا إلى محتويات الكتاب فإننا سنجده يتألف من ثلاث أقسام كبيرة نذكرها بشيء من التفصيل فيما يلي:

1 - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 37.

2 - المصدر نفسه، ص 04.

أ- القسم الأول (مقدمة المحقق، ص4-37): يفتتح الكتاب بـ (كلمة للناشر) ذكر فيها السياق العام الذي جاء فيه هذا التحقيق، والدور الذي لعبته دار العلوم والمعارف التونسية في تشكيل لجنة سنة 1923م لنشر المخطوطات العربية المهمة، والتي ينبغي إخراجها من زوايا النسيان.

وقد كان حسن حسني عبد الوهاب ممن شملهم التعيين في هذه اللجنة، والتي قدم لها ثلاث رسائل للطبع بعد تحقيقها من بينها "آداب المعلمين" التي تعد أول مصنف في التراث الإسلامي يعنى بالتربية.

يلي ذلك العنوان (التعريف بالمؤلف) محمد بن سحنون، نشأته في القيروان وتأثره بوالده، ومسيرته في طلب العلم ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، ثم (لمحة عن الكَتاتيب في إفريقية) في زمن محمد بن سحنون و(طريقة التعليم في الكَتاتيب)، وشروط (اختيار المعلم) الذي يجب أن يكون حسن الخلق، عفيفا، مستقيم، وملما بالقرآن وعلومه، ومتفرغا للتعليم، لا يميز بين الطلاب عادلا بينهم، تلك إذا (واجبات المعلم).

أما عن (أصول التربية قديما)، فعندما يبلغ الصبي الخامسة أو السادسة من العمر يسوقه أبوه إلى الكُتاب ويوصى عليه المعلم بما يناسب، وكان التعليم يتم بمنهج لين بعيد عن العنف، يترك للصبيان حرية ممارسة (الرياضة البدنية) وأوقات للراحة عند الجمعة والعيدين.

ومهما كانت عناية السلف بـ(حياة الكُتاب الاجتماعية) وإنماء عددها، وإقبالهم على تحسين طرق تعليمها، فإنهم لم يعيروا تنميقها وتكليف بنائها أي أهمية.

ويختتم هذا القسم بذكر (مشاهير المؤدبين الإفريقيين) من لدن الفتح الإسلامي إلى القرن الخامس منهم: أبو علي شقران بن علي الهمذاني، وأسد بن الفرات بن سنان، وأبو إسحاق الجبنياني...

ب- القسم الثاني (رسالة محمد بن سحنون، ص38-64): من خلال قراءة عمودية لرسالة آداب المعلمين، فإنه يمكننا أن نحصر المواضيع التي تناولتها في النقاط العشر التالية:

- ما جاء في تعليم القرآن العزيز.
- ما جاء في العدل بين الصبيان.
- باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى.
- ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز.
- ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم.
- ما جاء في القضاء في عطية العيد.
- ما ينبغي أن يخلى الصبيان فيه.
- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.
- ما جاء في إجازة المعلم ومتى تجب.
- ما جاء في إجازة المصحف وكتب الفقه.

والملاحظ من خلال تلك العناوين، أن هذه الرسالة تتضمن منهج ابن سحنون التربوي، غير أنه ألمح إليه – المنهج– مشتتا بين هذه العناوين التي ذكرها، مما يوحي أن أغلبها إجابات على أسئلة كانت تطرح عليه، والباقي منها استدراكات يشير إليها مستبقا التساؤل عنها.

ومن أجل جعل تلك العناصر أقرب إلى الدراسة في وحدات متقاربة، يسهل مناقشتها وتحليلها، يمكن تبويب الموضوعات التربوية التي عالجها ابن سحنون في قراءة أفقية على النحو التالي:

– الباب الأول: يرتكز على منهجية التعليم وطريقة التدريس، والذي يتألف من قسمين، الأول إلزامي ويتضمن تعليم القرآن الكريم قبل أي علم آخر، مع مراعاة المراحل العمرية وقدرات الطلاب، والتدرج في التعليم من السهل إلى الصعب، مع التكرار للدرس والتشويق بالقصص الهادفة، والربط بين العلم والعمل.

وقد اعتبر ابن سحنون أن القرآن الكريم هو أصل العلوم وأساسها؛ لذا كان أول ما افتتح به في كتابه (ما جاء في تعليم القرآن العزيز)، ولكي يثبت أسبقية تعلم القرآن على غيره من العلوم، فإنه ساق آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة يبين من خلالها ما لتعليم القرآن من أهمية عند الكبير والصغير، منها قول رسول الله [صل الله عليه وسلم] «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]، وقوله[صل الله عليه وسلم]: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرون»[2].

كما يلحق بهذا القسم إعراب القرآن والشكل والهجاء، والخط الحسن والتوقيف والترتيل، مع وجوب إدراج علوم الفقه وما يلزم الناشئة من وضوء وصلاة «لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها، والتكبير، وكيف الجلوس، والإحرام، والسلام، وما يلزمهم في الصلاة، والتشهد، والقنوت في الصبح فإنه من سنة الصلاة ومن واجب حقها الذي لم يزل رسول الله[صل الله عليه وسلم] عليها حتى قبضه الله تعالى صلوات الله عليه ورحمته وبركاته»[3].

وجعل تعليم الأدب للمتعلمين من الأمور الواجبة على المعلم؛ فإنه من الواجب لله عليه النصيحة لهم، وحفظهم ورعايتهم، ويقصد بذلك تعليم الصبيان الآداب والأخلاق الحسنة، ومن باب أولى أن يلتزم المعلم في سلوكه بمنهج الإسلام، ويطبق تعاليمه فيقلده الصبيان، ويبتعدون عن الانحراف.

أما القسم الثاني فهو اختياري، ويتضمن تعليم الحساب والشعر العربي وقواعد اللغة العربية والخط والنحو، ويترك فيها الأمر للمعلم، فهي من باب الاستحسان ما دام الأهل لم يشترطوا على المعلم تعليمها لصبيانهم، قال:

1 – رواه البخاري والترمذي وأحمد وأبو داود.

2 – رواه مسلم وابن ماجة.

3 – محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 53.

«وينبغي أن يعلمهم الحساب، وليس ذلك بلازم له إلا أن يُشترط ذلك عليه، وكذلك الشعر والغريب، والعربية والخط، وجميع النحو، وهو في ذلك متطوع»[1].

واشترط ابن سحنون في تعلم هذه العلوم ألا ينتقل المعلم من درس إلى آخر، إلا بعد أن يحفظه المتعلمون، ويقوم المعلم باختبارهم، فلا يجوز نقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها.

– **الباب الثاني**: المتعلق بشخصية المعلم وواجباته وحقوقه، فيشترط على حسب قول ابن سحنون في المعلم أن يكون متخلقا بخلق القرآن، حافظا له، عارفا بأحكام الوقف والترتيل، بعيدا عن الرياء والغضب، بارزا كقدوة ومثلا في وسطه، وأن لا يجعل التعليم وسيلة للكسب المالي فقط.

ويشترط على المعلم كذلك، التخلي عن كل شيء للتعليم، وأن يلتزم بأداء مهمته على أحسن وجه، وأن يعمر أوقات فراغه بالنظر فيما يعود على تلاميذه بالنفع والفائدة، ومراقبة غدوهم ورواحهم، وإعلام أوليائهم عن مغيبهم بلا عذر.

ويحجر على المعلم من أن يتخذ عريفا يقوم مقامه ما لم يكن في مرتبته العلمية وأخلاقه المرضية، ويفرض عليه المساواة التامة بين أبناء الأشراف والفقراء، ويسوق المؤلف حديثا عن إمام دار الهجرة أنس بن مالك [رضي الله عليه] قال: «قال رسول الله[صل الله عليه وسلم]، أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين»[2].

ويؤكد ابن سحنون على أن المعلم يستحق الأجر باعتباره مالا حلالا، استنادا لما ذكره الإمام مالك[رضي الله عليه] : «لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن، وإن اشترط شيئا كان حلالا جائزا»[3]. ويلحق بذلك الخَتْمَة: وهي عطاء واجب يستحقه المعلم من المتعلم إذا ختم أو قارب ختم القرآن أو تجاوز الثلث، ظاهرا أو نظرا في المصحف، ولا يلزم استحقاق المعلم لها أن يكون اشترطها على الأب قبل البدء بتعليم الصبي، بل تجب بمجرد تجاوز الثلثين، يقول ابن سحنون: «وحق الختمة واجب اشترطها أو لم يشترطها، وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا في المعلمين»[4].

– **الباب الثالث**: المتعلق بالعملية التأديبية وضبط الصف، من خلال التدرج في النصح اللفظي فالتوبيخ والضرب غير المبرح، مع التفريق بين الخطأ المتعمد والسهو، وأن لا يعاقب الجميع فيؤخذ البريء بذنب المذنب.

يرى ابن سحنون أن استعمال الضرب من طرف المعلمين ضد المتعلمين، يجب أن لا يتحول إلى سلوك انتقام، يهدف إلى إلحاق الأذى والضرر بالمتعلم، بل يجب أن تكون غايته من وراءه تصحيح الاعوجاج وتوجيه

1 – المصدر السابق، ص 50.

2 – ذكره ابن سحنون، ص 42، وهو حديث ضعفه النسائي وابن معين والذهبي في "المغني في الضعفاء".

3 – المصدر نفسه، ص 41.

4 – المصدر نفسه، ص ص 41-42.

المتعلم، فالهدف من وراء تأديب المتعلم ليس الإهانة أو الانتقاص من قيمته، بل العمل على الأخذ بيده وتوجيهه نحو ما هو أصح[1].

وبين مقدار الضرب بثلاث ضربات، ولا يزيد عليها إلا بإذن الأب، قال: «ولا يجاوز بالأدب ثلاثا، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك، إذا آذى أحدا»[2]. وإن زاد بعد إذن الأب فلا يتجاوز العشرة.

قال ابن سحنون عن تلك المقادير في الضرب: «ولا يجاوز بالأدب عشرة، وما على القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا. قلت: لم وقَّت عشرة في أكثر الأدب غير القرآن، وفي القرآن ثلاثة؟ فقال: لأن عشرة غاية الأدب، وكذلك سمعت مالكا يقول. وقد قال رسول الله[صل الله عليه وسلم]: (لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد). ثم حذر من الزيادة على الثلاث بلا إذن الأب، وذكر حديث الرسول[صل الله عليه وسلم] أنه قال: (أدب الصبي ثلاث درر فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة) »[3].

فالهدف من تقنين الضرب وتحديده له مغزى تربوي عميق، وهو التنبيه إلى أن العقوبة لا يجب أن تصل إلى الضرر الجسماني الذي يلحق بالصبي، وإنما يكفي منه الألم اليسير في القدمين ليتنبه الصبي لخطأه فلا يعود إليه ويتحقق المراد.

- **الباب الرابع**: يحوي شؤون تنظيمية لإدارة الفصل، من تشريعات ومهام وبُنى مادية لضبط نظام الكتاب، وتحديد زمان ومكان الدراسة.

يتلقى الصبيان التعليم في الكُتَّاب أو الحانوت، وهو المؤسسة المخولة لإدارة العملية التعليمية تحت إشراف المعلم، وقد نقل ابن سحنون كراهية أبيه تعليم الصبيان في المسجد؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة، ولم ينصب المسجد للتعليم، فمتى ما تحفظ الصبي من النجاسة واستطاع التوقي منها، أمكن لوليه إلحاقه بالكتاب، وأما نهاية المرحلة التي يمكن له البقاء فيها في الكتاب فهي البلوغ.

وقد حدد ساعات التدريس اليومي والذي يبدأ من الضحى إلى الانقلاب(قبيل العصر)، وأن الأسبوع ينتهي بعشية يوم الخميس، والجمعة يوم العطلة الأسبوعية مخصص للعبادة والتفرغ لقضاء الحاجات.

وتحدث ابن سحنون عن تحديد العطل وما ينبغي لأن يخلى الصبيان فيه، فقال: «الفطر يوما واحدا ولا بأس أن يؤذن لهم ثلاث أيام، والأضحى ثلاثة أيام ولا بأس أن يؤذن لهم خمسة أيام»[4].

---

1 - أيد هذا الموقف الإمام الغزالي الذي شدد على أن يقصد المعلم من التأديب الإصلاح لا التشفي. ينظر،
- M. Ben Cheneb," Lettre sur l'éducation des enfants par Abou Hamed El Ghazali", **R**.**Afr**, Alger, 1901, pp101-110.

2 - محمد بن سحنون، المصدر السابق، ص 44.

3 - محمد منير مرسي، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 2005، مج1، ص309،

4 - المرجع نفسه، ص 48.

ت– القسم الثالث (ملحقات، ص65–75): تحتوي على آراء بعض العلماء حول التعليم وهم:

– رأي أبي بكر بن العربي في التعليم: والذي يظهر طريقة بلاده–الأندلس– في التعليم وكذا طريقة المشرق –مصر والشام والحجاز– ثم يبدي رأيه الخاص في الطريقة التي اختارها في تلقين الصبي.

– رأي ابن خلدون في التعليم: والذي أفرد فصلا في مقدمته بشأن طريقة التعليم بالأمصار العربية في عصره، جاء تحت عنوان "فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه"

– مشاهير المعلمين في صدر الإسلام نقلا عن كتاب(المعارف) تأليف ابن قتيبة الدينوري.

– مشاهير المؤدبين الإفريقيين من لدن الفتح الإسلامي إلى القرن الخامس بقلم الناشر.

يظهر من خلال المواضيع المدروسة في هذا الكتاب أنه ليس مجرد نصائح تربوية، بل هو مشروع متكامل لإعداد المجتمع المسلم عبر التعليم، وقد كان سابقا لنظريات التربية الحديثة.

قال محمد أسعد طلس حول الكتاب: هو كتاب لطيف الحجم ألفه محمد في سياسة الأطفال وتعليم الصبيان وتأديبهم، وبَحْث شيء من قواعد التربية وآدابها عند المسلمين[1].

أما المؤرخ والمحقق عبد الله عبد الدائم فيرى في كتابه "التربية عبر التاريخ"، بأنه أقدم كتب التربية التي وصلت إلينا، وأنه رسالة لطيفة تعد كدليل علمي للمعلمين في العصر الوسيط، تدور حول سياسة الأولاد وتعليم الصبيان، ويقدم إرشادات تفصيلية لكيفية التعامل مع الطلاب منذ فجر الإسلام حتى القرن الثالث للهجرة[2]، مع التركيز على الأخلاق الإسلامية كأساس للعملية التربوية، مثل: الصدق والأمانة والعدل، وينتقد بعض الجوانب التي تعطي سلطة مطلقة للمعلم، معتبرا أنها قد لا تتناسب مع مفاهيم التربية الحديثة القائمة على الحوار.

ويرى محمد العروسي المطوي[3] أن الكتاب يعد وثيقة أساسية لفهم التربية في المغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري، ويشيد بدور ابن سحنون في تأسيس أخلاقيات مهنة التعليم، معتبرا أن الكتاب يقدم رؤية متكاملة تجمع بين الفقه المالكي والتربية العلمية.

3– قيمة الكتاب: يمثل الكتاب وثيقة تاريخية تربوية نادرة، أرست قواعد التعليم ومنهج التربية الإسلامية، وأخلاقيات مهنة التعليم في العصر الإسلامي الأوسط، وتؤكد أن التربية كانت جزءا من مشروع حضاري شامل لبناء الفرد المسلم.

---

1 – محمد أسعد أطلس، **التربية والتعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، 1957م، ص182.

2 – عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر العصور من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العالم للملايين، ط5، بيروت – لبنان، 1984، ص ص252–253.

3 – عمل محمد العروسي المطوي على مراجعة الكتاب والتعليق عليه انطلاقا من النسخة التي حققها حسن حسني عبد الوهاب، ونشره سنة 1972م، عن دار الكتب الشرقية بتونس.

وقد بين الكتاب أن الأمة الإسلامية كان لها السبق في مجال العناية بالتربية، فتراثها يزخر بمحاولات جادة، وأعمال رصينة، ونظرات دقيقة وصائبة في دراستهم لقضية التربية بكل أبعادها، وكان الأصل الذي تقوم عليه تلك الجهود هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، مما جعل قضية التربية تتخذ في التراث العربي الإسلامي بعدا نظريا وتطبيقيا.

ولعل ابن سحنون من العلماء الذين أسهموا إسهاما جادا في قضية التربية في مستوياتها النظرية والتطبيقية، من خلال تنظيم بيئة الكُتاب والقواعد المنظمة للعلاقة التعليمية بين المعلم والمتعلم، وهذا ما جعله رائدا في هذا المجال، كما يظل كتابه هذا ذا قيمة في تاريخ الأفكار التربوية مقارنة بالنظريات القديمة أو الحديثة في مجال التربية، وهو ما حفز الباحثين والهيئات على العناية به وتحقيقه.

ثانيا– كتاب"أحكام السوق" ليحي بن عمر: يعد كتاب "أحكام السوق" الذي ألف في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرى، من الكتب المؤسسة في الفقه المالكي في مجال فقه المعاملات والأحكام التجارية، وأول كتاب ألف في السوق والحسبة، وهو يكشف عن الانتباه المبكر من علماء الإسلام لقضية السوق والمعاملات التجارية وفق ما تنص عليه أحكام الشريعة الإسلامية.

ولتلك الأهمية حظي الكتاب باهتمام كبير من طرف الباحثين المعاصرين ترجمة وتحقيقا، ومن تلك الأعمال تحقيق حسن حسني عبد الوهاب.

1– الدراسة الظاهرية للكتاب.

أ– التعريف بمؤلف الكتاب: هو أبو زكريا يحي بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني الأندلسي، أحد أئمة المالكية الأعلام، ولد سنة 213هـ حسبما اتفق عليه مترجموه[1].

نشأ بقرطبة فأخذ عن عبد الملك بن حبيب وغيره، ثم ارتحل إلى القيروان واستوطن أخيرا سوسة وبها توفي سنة 289هـ، وقبره خارج باب البحر بسوسة[2] مشهور.

سمع بإفريقية من الإمام سحنون وعلى يديه تفقه[3]، وابن أبي زكرياء الحفري، وعَوْن وغيرهم، وسمع بمصر من يحي بن عبد الله بن بُكير، وابن رُمح، وحَرمَلة بن يحي وغيرهم، ثم انتقل إلى الحجاز فسمع من أبي مصعب الزّهري وسليمان بن داود وغيرهم.

---

1 – يرجح محقق الكتاب أن يكون تاريخ ولادته أسبق من هذه السنة، ذلك أنه سمع بمصر من الدمياطي (ت226هـ) فيكون سنه عندما ارتحل إليه لا يعدو الثانية عشر. أنظر، يحي بن عمر، **أحكام السوق**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، مر، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975م، ص 10.

2 – محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط06، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة– مصر، 1349هـ، ص73.

3 – قال يحي عن الإمام سحنون: «رأيت في منامي كان سحنون معلم صبيان بيده درة فأعطانيها وقال: قم على الصبيان. فأوّلتها خلافته في تعليم الناس». المصدر نفسه، ص 11.

وبعد رحلة في بلاد المشرق رجع أدراجه إلى بلاد المغرب، ليحط رحاله بالقيروان، التي كانت تشهد نهضة علمية وثقافية، حيث أصبحت من أهم مراكز نشر الفقه المالكي وقبلة لطلاب العلم في ذلك العصر.

هناك اشتهر ذكر يحي بن عمر بين الخاص والعام من أهل القيروان، كان يجلس للتدريس في المسجد الجامع بالقيروان، وكان يتردد على مجلسه جمع من الطلبة تضيق بهم جنبات المسجد، حتى إنه كان ينصب له كرسي يجلس عليه ويسمع الناس لكثرتهم، وكان ليحيى قارئ يستعين به في إسماع الجمهور، فيجلس عن بعد على كرسي آخر ليسمع من بَعُد من الناس، وكان القضاة أو أصحاب السوق يكتبون إليه من سائر جهات إفريقية يستفتونه فيما كان يعرض لهم من مسائل.

تتلمذ على يديه جمع غفير من الأعلام، ومن أشهر تلاميذه وأبرزهم: أخوه محمد وأبو بكر بن اللبّاد وأبو العباس الأبياني وأحمد بن خالد الحافظ[1]، والقصري راوي كتاب أحكام السوق ومدونه.

ترك يحي بن عمر العديد من المؤلفات القيمة، سعى من خلالها إلى توطيد دعائم الفقه المالكي والمشاركة في إثرائه، منها: المنتخبة في اختصار المستخرجة(فقه)، وأحمية الحصون، والوسوسة، والنساء، وفضائل المنستير والرباط، والرد على الشافعي، والرد على الشكوكية، والرد على المرجئة، وأحكام السوق[2] الذي هو محل الدراسة.

ب– التعريف بالكتاب: كتاب أحكام السوق أو النظر والأحكام في جميع أحوال السوق، تأليف الفقيه أبي زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني الأندلسي الأصل الإفريقي الموطن، رواية أبي جعفر أحمد القصري القيرواني[3]، اعتنى بتحقيقه حسن حسني عبد الوهاب، راجعه وأعده للنشر فرحات الدشراوي، طبع من طرف الشركة التونسية للتوزيع، تونس في شهر مارس 1975م.

اعتمدت في عملية تحقيق الكتاب على نسختين، يذكرهما المراجع فرحات الدشرواي في (التوطئة)، الأولى مخطوط موجود بخزانة المحقق حسن حسني عبد الوهاب، يقول عنه: « في سنة 1959 أو 1960.. أخرج لنا من خزانته مخطوطا من الكتاب–أحكام السوق– وأطلعنا عليه؛ وكان الشيخ قد اهتم بتحقيقه وجمع نصيبا من المواد الصالحة للتعليق عليه»[4].

1 – محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص73.

2 – خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط05، دار العالم للملايين، بيروت– لبنان، 1980، ج08، ص160.

3 – لكتاب "أحكام السوق" روايتين، الأولى: بسند أحمد القصري القيرواني، والثانية: بسند ابن شبل الأندلسي موجود في كتاب"المعيار" للونشريسي. للمزيد ينظر، محمود علي مكي، "كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي"، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، مج04، مدريد– اسبانيا، 1956م، ع1–2، ص ص62–63.

4 – يحي بن عمر، **أحكام السوق**، المصدر السابق، ص07.

أما النسخة الثانية كانت دراسة المحقق محمود علي مكي التي نشرها في صحيفة المعهد المصري بمدريد سنة 1956م، تحت عنوان "كتاب أحكام السوق" ليحيى بن عمر، والتي ترجم فيها للفقيه المالكي، مع تحليل مفصل للكتاب، مبينا خصائص هذا النوع من الأحكام التي ستعرف من بعد ذلك بموضوع الحسبة[1].

ألحقت بتلك الدراسة نصا من "كتاب أحكام السوق" مستخرج من "المعيار" للونشريسي، على رواية ابن شبل الأندلسي، محقق من طرف مكي، مع شرح ما لزم شرحه والتعليق عليه تعليقا دقيقا[2].

وهكذا اجتمع لتحقيق الكتاب روايتان؛ الأولى للقصري القيرواني والثاني لابن شبل الأندلسي، تكمل الواحدة الأخرى، يقول الدشراوي: «..اشتغلنا مدة طويلة مع الشيخ المرحوم في مراجعة الروايتين، وجمع بقية المواد الضرورية للتعليق على النص.. واستوفينا هكذا تحقيق الكتاب تحقيقا علميا في تمام نصه وبما ينبغي من التعاليق الصالحة لفهمه والاستفادة منه»[3].

وقد تأخر صدور التحقيق حتى سنة 1975م، أين خرج في حجم متوسط، يحتوي على 186 صفحة، مقسمة على النحو التالي:

– توطئة(ص05 إلى ص08): ذكر فيها الدراسات التي اهتمت بهذا الكتاب على غرار تحقيق الباحث محمد علي مكي سنة 1956م، وترجمة الكتاب للغة الاسبانية سنة 1975م من طرف المستشرق "غرسيه قومس".

– المقدمة(ص09 إلى ص30): احتوت على تعريف بمؤلف الكتاب ورَاويه، وسند الرواية وزمانها ومكانها، وكذا جمع الكتاب وتنسيق مواده، يلحق بذلك ثلاث صور من الصفحات الأولى للمخطوط مكتوبة بخط مغاربي ومحاطة بإطارين.

– متن الكتاب(ص31 إلى ص135): وجاء فيه 45 فصلا يمكن أن تصنف في ثلاث مجموعات كبرى على النحو التالي:

- ✓ ما يتعلق بأحوال السوق وتحسين سير العمليات التجارية فيه.
- ✓ ما يتعلق بالغش والتدليس في الموازين ومنع كل ما من شأنه الإضرار بالعامة.
- ✓ ما تعلق بأحوال الناس العامة، والتصدي للانحرافات الشاذة.

---

1 – **الحسبة**: هي الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، وهي أيضا: نظام إشرافي يتولاه المحتسب لمراقبة الأسواق والآداب، وتطبيق الأحكام الشرعية في شؤون المعيشة مثل: ضبط وتنظيم المعاملات في السوق، مراقبة الأسعار، التأكد من جودة السلع، ومكافحة الغش والتدليس والاحتكار وكل الممارسات غير الصحيحة. للمزيد ينظر، أحمد مصطفى المراغي، **الحسبة في الإسلام**، تص، محمد عبد الرحمن الشاغور، الجزيرة للنشر والتوزيع، 2005م، ص05.

2 – ينظر، محمود علي مكي، المرجع السابق، ص ص45-85.

3 – يحي بن عمر، المصدر السابق، ص06.

– **فهرس الأعلام(ص139 إلى ص140)**: مرتب ترتيبا ألفبائي.

– **تنبيه(ص141 إلى ص147)**: وهو قائمة من الملاحظات التي صُدِّر بها الملحق حتى تكتمل قراءة النص الذي أورده المحقق مكي، وتتم المقارنة بينه وبين النص الأصلي للمخطوط.

– **الملحق(ص148 إلى ص185)**: كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي، فصيلة من صحيفة المعهد المصري، بقلم: محمود علي مكي.

– **فهرس الكتاب(ص186)**.

أما عن المصادر التي جاءت في هامش التعليقات، فترجع بالأساس إلى الكتاب والسنة، وما رُوي من فقه عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، وفقه الإمام مالك بن أنس(الموطأ) وتلاميذه، وفتاوى شيوخ يحي بن عمر مثل: الإمام سحنون بن سعيد وعبد المالك بن حبيب وغيرهما، وكذا كتاب الطبقات (طبقات علماء افريقية تأليف أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء افريقية لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني...).

2– الدراسة الباطنية للكتاب: يصور لنا كتاب "أحكام السوق" الذي جاء في صورة أسئلة وأجوبة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية بكل دقة في البلاد الإفريقية في منتصف القرن الثالث الهجري، من خلال الإجابة عن ما يزيد عن ستين مسألة فقهية موجهة إلى الفقيه يحي بن عمر، سواء تعلق الأمر بأحكام السوق ومعاملات الناس فيه أو بغيره من المسائل التي تصادف الناس في حياتهم اليومية.

وقد تعددت هذه الأسئلة بتعدد المستمعين، من تلاميذ الفقيه وغيرهم، لذلك تجاوزت المسائل المطروحة موضوع السوق والحسبة إلى مباحث فقهية عامة، عالجها المؤلف من خلال نثر طائفة من اجتهاداته وآرائه وفق ما يقتضيه المذهب المالكي.

والملاحظ أن الكتاب جاء خلوا من مقدمة، والسبب في ذلك أن مادته شبيهة بكتب النوازل والفتاوى، فهي عبارة عن أسئلة وأجوبة كما ذكرنا، تشكلت من حصيلة الدروس التي ألقاها المؤلف، ويرجح أن الراوي أبا جعفر أحمد بن محمد القصري هو من جمع مادة الكتاب ورتبها.

يفتتح الكتاب بـ"القول فيما ينبغي النظر فيه من الأسواق"، وهي جملة من المسائل التي يوضح فيها يحي بن عمر ما يجب أن تكون عليه أسواق المسلمين، من خلال وجوب إشراف الدولة على ضبط حركته، وأن يتحرى الوالي أو الأمير العدل بتولية الثقة ممن يعرف في وظيفة صاحب السوق، «فيأمر أوثق من يعرف ببلده أن يتعاهد السوق»[1].

1 – يحي بن عمر، المصدر السابق، ص ص31–32.

وأول واجب على متولي هذا العمل هو أن يراقب توحيد المكاييل والموازين، ومعاقبة المتلاعبين بتلك الأنظمة والمعايير ولو بحرمانهم من التجارة في السوق وغلق محلاتهم، أو إخراجهم منها، وتعد عقوبة الإخراج من السوق من العقوبات القاسية.

وأن لا يغفل النظر على الدراهم المتداولة في البلد فإن رأى فيها زيفا كأن تكون مختلطة بالنحاس مثلا، فعليه أن يتعقب المزيفين ويعاقبهم بكل قسوة، ولشدة خطر ظهور النقود المزيفة أوجب يحيى بن عمر على الوالي أن يؤمر أحد الخبراء بمثل تلك الأمور كي يعالج ذلك الخطر «حتى تطيب دراهمهم ودنانيرهم، ويحرزوا نقودهم»[1].

ولا يترك الكتاب سلعة ولا أهل حرفة دون أن يتكلم عنها، وهو يتناول في ذلك مسائل اقتصادية عامة مثل تحرير الأسعار وإزالة الأضرار، وكل أنواع الغش والتدليس والغرر، كما يتحدث عن مسألة توحيد السعار بأسواق البلاد المختلفة على أسعار العاصمة، وهو يرجح أن الصواب في أن تنفرد كل بلد بأسعارها خلافا لبعض متقدميه من الفقهاء.

والكتاب يضع قواعد صحية تهدف إلى المحافظة على سلامة السكان ونظافة المدينة وشوارعها، من خلال مراقبة جودة المنتوجات ومنع ما يضر الناس سواء في أموالهم أو في أبدانهم، ومنع كل بيع فيه محظور شرعي وكذا ما أدى إلى المحظور، وأهمية الرجوع إلى أهل الخبرة وتحكيم الأعراف.

كما نجد في الكتاب صورة للحياة الاجتماعية من خلال أحوال الناس العامة، وما يتعلق بظاهرة الانحرافات الشاذة كانتشار الخمور ودور الأذى والفجور، وما جاء في الوليمة وما يكره من سماع فيها للهو أو لعب أو شرب مسكر، ومن ذلك باب جهاز المرأة وذهاب النساء إلى الحمام من غير مرض ولا نفاس، أو خروجهن إلى المقابر والبكاء على الميت، أو لبسهن للخف والنعل الصرار.

يستدل المؤلف لبعض أقواله بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وجل الكتاب من أقوال أئمة المذهب المالكي، فاستحضاره وإحاطته بمذهبه وأدلته يظهر جليا واضحا في منهجية الكتابة.

كما أن الكتاب قد جاء حافلا باجتهادات وآراء يحيى بن عمر في إطار المذهب المالكي، كما كثرت نقوله لأقوال وأجوبة أئمة المذهب، بداية من الإمام مالك، ونَقَلة المذهب من بعده كيحيى بن عبد الله بن بكير، والإمام سحنون بن سعيد الذي ربط الأحكام الفقهية بمقاصدها ومصالحها الشرعية التي شُرِّعت الأحكام لأجلها.

والأمثلة في ثنايا الكتاب كثيرة منها قوله: «حدثنا مشائخنا، سحنون بن سعيد، والحارث بن مسكين، وأبو الطاهر...، عن مالك بن أنس»[2]، وقوله: «أخبرني بذلك الحارث بن مسكين قال أخبرني عبد الله بن وهب عن مالك»[3]. ومن الاجتهاد في الأحكام قوله: «أرى أن يُفعل بمن نقَّص من السعر الذي عليه أهل السوق في قمحه

1 – المصدر السابق، ص34.

2 – المصدر نفسه، ص42.

3 – المصدر نفسه، ص49.

أو شعيره...، إما أن تبيع كما يبيع أهل السوق وتكون كأحدهم، وإلا فاخرج من السوق»[1]، وقوله: «أرى...أن لا يبيعوا الخبز فيه حجارة من الرحى، فإن ركب النهي يتصدق به أدبا له ويمنع أن يعمل الخبز ويبيعه في السوق على تلك الحالة»[2]. وسئل عن الحناطين، هل يجب عليهم أن لا يبيعوا القمح والشعير والفول...، حتى يغربلوها؟ فقال: «قال: مالك، لا يبيعون ما ذكرت إلا بعد أن يغربلوها...قال يحي: فأرى أن يلزموا بذلك»[3].

نلاحظ أن جل الأسئلة والأجوبة جاءت متفرقة ومختلفة وغير مرتبة بأي شكل من الأشكال، ولا يظهر فيها صنعة التأليف المعهود، فمعظمها يركز على جانب الأعمال التجارية والأنشطة الاقتصادية التي محلها السوق، ومقصود الكتاب منها كما يبدوا هو بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بتطهير السوق من المحرمات والمنكرات، ومنع الحيل والغش والاحتكار والتطفيف وغيرها من المحرمات، وقد قرن المؤلف بين الأحكام الفقهية النظرية والوقائع العملية التطبيقية، وفق أصول وقواعد المذهب المالكي.

إنّ كتاب أحكام السوق كما يذكر موسى لقبال: «يظهر أنه وحيد في بابه من حيث أنه وصل إلى درجة ملحوظة في التحري الدقة»[4]، وهذا إن دل على شيء فهو يظهر مدى لهذا الكتاب من أهمية في مجاله، وهو ما ذهب إليه محمود علي مكي الذي يقول: « فليست قيمته تنحصر في كونه مجموعة من الآراء والفتاوى لفقيه من أكبر فقهاء عصره، بل للموضوعات الذي تناولتها هذه الآراء، فهي متعلقة بالمعاملات اليومية للشعب وما يعرض للناس في مرافقهم وأسواقهم وبيعهم وشرائهم وما إلى ذلك مما يطلعنا على دقائق حياة الناس، ومما يمكن أن يصور لنا هذه الحياة تصويرا حقيقيا لا زيف فيه»[5].

أما المحقق حسن حسني عبد الوهاب فيقول عنه: «كتاب فريد في بابه،.. أبان فيه نظام المدائن في الإسلام، ومهمة الحسبة، وهو –فيما عرفنا– أقدم من ضبط أصولها وأحكامها»[6]، وهو بذلك يختص في دراسة المعاملات المرتبطة بالسوق والمعاملات التجارية، كما أنه أتاح لمن أتى بعده في التوسع وتهذيب هذا اللون من المواضيع وتطويرها.

3– قيمة الكتاب: يُبرز الكتاب مدى عناية الفقه الإسلامي بتنظيم حركة السوق، ووضع ضوابط تضمن انتظامه، وتدفق الأموال فيه بشكل عادل، بما يحقق تلبية حاجات الناس ورغباتهم.

---

1 – المصدر السابق، ص ص45–46.

2 – المصدر نفسه، ص 56.

3 – المصدر نفسه، ص 49.

4 – موسى لقبال، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأتها وتطورها)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ديسمبر 1971م، ص 45.

5 – محمود علي مكي، المرجع السابق، ص92.

6 – حسن حسني عبد الوهاب، **الإمام المازري**، مصدر سابق، ص 28.

كما يُبين الكتاب حرص الفقهاء وعنايتهم الفائقة لتنظيم المعاملات التجارية، ووضع أطر قانونية وأخلاقية تمنع الاحتكار، وتضمن الشفافية، وتحقيق التوازن بين حقوق البائع والمشتري، والحرص على معالجة كل ما يعوق العدالة في السوق، سواء عبر التسعير الجائر، أو الغش في الموازين، أو التلاعب بالأسعار والتدليس، مما يعكس رؤية متكاملة لتحقيق العدالة والاستقرار الاقتصادي.

ويعد الفقيه يحي بن عمر من أبرز العلماء الذين أسسوا لفقه السوق في التراث الإسلامي، حيث تناول أحكامه بتفصيل دقيق، باعتباره مركز الثقل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث درس آليات العرض والطلب، وحقوق العمال، وواجبات التجار، مما يجعل الكتاب مرجعا أساسيا لفقه المعاملات، كما يكشف عن دور الفقهاء في مراقبة الأسواق.

فالنظام الاقتصادي في الدول الإسلامية لم يكن فوضويا، بل كان خاضعا لرقابة دقيقة من قبل السلطات المختصة، وقد كانت الدولة تبسط هيمنتها ورقابتها على النشاط التجاري، وتتدخل عند الحاجة لضمان استقرار الأسعار ومنع الغش، وحماية المستهلكين، كما كانت تشرف على تنظيم المهن، ومراقبة الصيارفة والتجار، وضمان التزام جميع الأطراف —بائعين، مشترين، عمال، ملاك حوانيت،..– بالمعايير الشرعية والقانونية.

يتميز الكتاب بتقديمه حلولا عملية وإجابات شرعية لعديد من المعضلات التي تقع أثناء المعاملات التجارية بالأسواق، مما يجعله مرجعا علميا ذا قيمة تاريخية وفقهية عالية، ولا تقتصر أهميته على كونه أحد كتب الفقه والفتاوى فحسب، بل أيضا من المصادر الأساسية لفقه الحسبة المذهبية في المغرب الإسلامي، مما يجعله عمدة في دراسة التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في التراث الإسلامي.

خلاصة الفصل.

مثل محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب نموذجا فريدا للعلماء الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة في التعامل مع التراث العربي الإسلامي، خاصة في فترة حرجة من تاريخ المنطقة، حيث شكل عملهما جسرا بين التراث المخطوط والدراسات الأكاديمية الحديثة، ويمكن تفصيل جهودهما في إحياء التراث من خلال عملية التحقيق في النقاط التالية:

الحفاظ على تراث الأمة المهدد بالاندثار، أين عمل العالمان في ظل ظروف وسياسات استعمارية حاولت طمس الهوية العربية الإسلامية، وفي فترة كانت فيها كنوز المخطوطات ببلاد المغرب الإسلامي تتعرض لخطر الإهمال، أو المصادرة، أو السرقة والتهريب.

المساهمة في توثيق تاريخ المنطقة من خلال عملية إنقاذ التراث المحلي والتركيز على تراث المغرب العربي، الذي كان مهمشا مقارنة بتراث المشرق.

استفاد كل من محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من مناهج المستشرقين في النقد التاريخي والتحقيق، لكنهما حافظا على المنهجية العربية التقليدية في التوثيق من خلال مقارنة النسخ المخطوطة وتوثيق الأسانيد، والاعتماد على المصادر الموثوقة، كما أن عملية التحقيق لم تقتصر على نشر النصوص، بل شملت التعليقات العلمية، وإضافة الفهارس، وتراجم الأعلام، مما جعل تحقيقاتهما مراجع معتمدة.

في فترة كانت فيها السلطات الاستعمارية تروج للثقافة الفرنسي على حساب الثقافة والهوية العربية الإسلامية للمنطقة، جاءت تحقيقاتهما لتأكيد الهوية العربية الإسلامية، وعملا مقاوما في مواجهة موجة التغريب.

لم يقتصر دور ابن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب على التحقيق الفني للمخطوطات، بل شكلا حركة وعي بأهمية التراث كجزء من الهوية والمقاومة الثقافية، ولا تزال تحقيقاتهما تُدرس كمراجع أساسية في الدراسات التراثية، كما أن منهجهما العلمي يُعتبر أساسا لمشاريع تحقيقية حديثة في العالم العربي.

أكدّا أن المغرب العربي ليس متلقيا سلبيا للتراث، بل له تراثه الخاص الذي يحتاج إلى التحقيق، وإبرازه للعالم الغربي، والتواصل مع بلاد المشرق العربي، والتعاون مع علماء مصر والشام لنشر تحقيقاتهما والمشاركة في المؤتمرات المختلفة، والتأكيد على الوحدة التراثية الذي أظهر أن تراث المغرب العربي جزء لا يتجزأ من التراث الإسلامي الكبير، رغم محاولات الاستعمار فصل المنطقة عن المشرق.

بعث الروح في الأجيال اللاحقة من خلال تأسيس مدرسة تحقيقية مغاربية، وتمهيد الطريق لمشاريع تحقيقية حديثة برزت في أعمال شخصيات ثقافية وازنة كالشيخ عبد الرحمان الجيلالي وأبو القاسم سعد الله، والعروسي المطوي وعثمان الكعاك، وغيرهم كثير.

بقي أن نشير إلى أن محمد بن شنب ركز في أعماله على تراث المغرب الإسلامي وخاصة الجزائر، بينما اهتم حسن حسني عبد الوهاب بالتراث التونسي، مع التركيز على النواحي الحياتية المختلفة للمجتمع.

وفي الأخير يظل كل من محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب عَلَمَين بارزين في مجال إحياء التراث العربي الإسلامي، حيث نجحا في تحويل المخطوطات المهملة إلى نصوص حية تساهم في فهم التاريخ وترسيخ الهوية من خلال إحياء التراث.

➢ الفصل الثالث: دور محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث من خلال التأليف والنشر والترجمة.

- المبحث الأول: إحياء التراث من خلال عملية التأليف والنشر.
- المبحث الثاني: إحياء التراث من خلال الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية.

الفصل الثالث: دور محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث من خلال التأليف والنشر والترجمة.

يمثل التراث العربي الإسلامي ذاكرة حية تختزن إنجازات الفكر والعلم والأدب، وقد تعرض هذا التراث لتحديات كبيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، في ظل هجمة استعمارية غربية شرسة، استهدفته طمسا وتشويها وتحريفا.

خلال تلك الحقبة الصعبة، ظهرت مبادرات من أجل التأليف والنشر والترجمة، والمساهمة في حفظ قسم كبير من التراث، وإحيائه من جديد. فبينما قام التأليف بتدوين الأفكار والعلوم، عمل النشر على تعميمها وانتشارها، في حين جسَّرت الترجمة الهوة بين الثقافات، وفتحت قنوات اتصال مع الحضارات الأخرى.

المبحث الأول: إحياء التراث من خلال عملية التأليف والنشر.

المطلب الأول: التأليف والنشر عند محمد بن أبي شنب.

برز محمد بن أبي شنب كأحد الرواد الذين ساهموا في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال جهوده العلمية في التأليف والنشر، ومن خلال توظيف المعرفة في المقاومة الثقافية والمحافظة على الهوية[1]، خاصة في ظل تلك التحديات الاستعمارية المذكورة سابقا. وقد تمثلت جهوده الأساسية في مجالي التأليف والنشر من خلال مشروع منهجي ارتكز على توثيق التراث اللغوي والشعبي، وتحقيق النصوص التاريخية المهمشة، ونشرها وفق أطر علمية معاصرة.

أولا: أسلوب محمد بن أبي شنب في التأليف والنشر.

اتسم أسلوب محمد بن أبي شنب في التأليف بطابع علمي منهجي دقيق، يعكس تكوينه العميق في الثقافة العربية الإسلامية من جهة، وإلمامه الواسع بمناهج البحث الحديثة القائمة على النقد والتحليل من جهة أخرى. لم يكن أسلوبه مجرد نقل حرفي للنصوص، بل كان مقاربة تحليلية نقدية تهدف إلى إحياء التراث وتقديمه في صورة علمية معاصرة، يصف ذلك الأسلوب الشيخ الإبراهيمي قائلا: «أما أسلوب البحث وبناؤه على المحاكمة والنقد، فهو ظاهرة الرجل الخاصة به ونعته الصادق»[2].

عرف بن أبي شنب كيف يوظف ما تعلمه عن الغرب في خدمة العلم والتراث العربي والإسلامي، دون أن يكون مقلدا يتبع غيره في عصر شاعت فيه التبعية والتقليد. أشار إلى تلك العقبة الشيخ الإبراهيمي في قوله:

---

1 – لم يكن نشاط محمد بن أبي شنب التأليفي منعزلا عن سياقه، بل كان استجابة واعية لتحديات المرحلة، فبعد قمع المقاومات الشعبية المسلحة، حول الاستعمار الفرنسي جهوده نحو طمس الهوية العربية الإسلامية للجزائر، عبر سياسة ممنهجة شملت إغلاق المدارس، وتهميش اللغة العربية، وتشويه التاريخ المحلي.

2 – أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929–1940)**، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1997م، ج01، ص47.

«ليس في طريقنا معشر الشرقيين من عقبة لولا العلة المشئومة التي هي عائقنا الأكبر عن الإنتاج الفكري والخصب العقلي، بل هي السبب الوحيد في موت ملكة الابتكار فينا، تلك العلة هي التقليد الذي أصبح ظاهرة من ظواهر العلوم الإسلامية وتاريخها»[1]. ثم يشير إلى نزعة بن أبي شنب الاستقلالية وبعده عن علة التقليد التي جعلته رائدا من رواد النهضة الثقافية قائلا: «إن المفكرين منا لينشدون نهضة تقضي على التقليد وتغرس ملكة الاستقلال في البحث التاريخي، وأن بوادر هذه النهضة قد ظهرت من عهد غير بعيد، وأن فقيدنا [يقصد بن شنب] اليوم من الطلائع المبكرة لهذه النهضة بهذا الوطن»[2].

كما تميز أسلوبه بالوضوح والدقة، بعيدا عن الإطناب والتنميق أو التركيز عن جمال الأسلوب وبلاغة العبارة، فأسلوبه أقرب إلى العلماء المحققين منه إلى الكتاب والأدباء. ولما سئل بن شنب على ذلك أجاب بالقول: «خذ العلم وماذا يعنيك أكان بأسلوب طلي أو كان بأسلوب غير طلي، وحسبك أنك فهمت عني ما أريد ولا تغرنكم زخارف الألفاظ وتزويقاتها وهل اللغة إلا أداة للفهم والتفهيم»[3].

ويؤكد ذلك الشيخ محمد السعيد الزاهري في معرض حديثه عن علم بن شنب وأدبه حين قال: «فإنه في الواقع عالم أكثر مما هو أديب، وأبحاثه وإن كانت في موضوعات أدبية، فهي أبحاث علمية على طريقة علماء المشرقيات، لا تكاد ترى عليه مسحة أدبية كلها أبحاث في اللغة العربية، وفي الأدب العربي وتاريخه وتاريخ رجاله»[4].

كما تميز أسلوبه بالشمول والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة، سواء في جمع الأمثال الشعبية أو تحقيق النصوص التاريخية، ففي مشروعه التوثيقي حول أمثال العوام بأرض الجزائر والمغرب، لم يقتصر على جمع أكبر عدد من الأمثال، بل عمل على تصنيفها وتحليلها وشرحها، مع الإشارة إلى جذورها التاريخية واللغوية ومقارنتها بأمثال مشابهة في الثقافات العربية الأخرى[5].

وبالرغم من تأثره بالغرب في أسلوب الكتابة، فإنه لا يخلوا من لمسة خاصة تدل على شخصية يحركها باطن عقلي وروحي، فيه غيرة على التراث العربي الإسلامي، يقول عن ذلك المستشرق مارتينو(Martio): «إن السيد

---

1 – أحمد طالب الإبراهيمي، مرجع سابق، ص47.

2 – المرجع نفسه، ص47./ عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق، ص118.

3 – محمد بن شنب، **منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص07.

4 – المرجع نفسه، ص47.

5- Mohammed Ben CHeneb, **Proverbes Arabes De L'Algerie Et De Maghreb**, Ernest Lerpux Editeur, Paris- France, 1906, T1,2,3.

سيأتي تفصيله في العنصر القادم.

بن أبي شنب كان صورة الأديب المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوربية في العمل من دون أن يفقد شيئا من صفاته وعاداته» [1].

ثانيا: التأليف في مجال التاريخ والتراجم والسير

لم يكن المحتل الفرنسي يهدف إلى السيطرة على الجزائر ونهب ثرواتها والتسلط عليها فحسب، بل كان يرمي-إضافة إلى ذلك- إلى اقتلاع التاريخ وطمس الهوية والقضاء على اللغة والتراث العربي الإسلامي فيها. ولكي يقطع صلة الجزائر بتاريخها العربي الإسلامي عمد إلى تشويه تاريخ وجغرافية الجزائر بتجاهلها أحيانا، وحرمان الجزائريين من دراستها الدراسة الصحيحة والوافية في المؤسسات الحكومية، والتدخل لإلغائها في المؤسسات التعليمية الحرة والكتاتيب القرآنية، ومنع أصحابها من تدريس التاريخ العربي الإسلامي[2]، بل واعتبر الفتح ونشر الإسلام في الجزائر احتلالا عربيا، وأنه جاء ليخلص الجزائر من هذا الاحتلال!

وكادت هذه السياسات أن تؤتي أكلها، وتقطع الصلة بين الأمة وتاريخها، لولا مقاومة وجهد كبير لثلة من أبناء الجزائر الغيورين على تاريخها وتراثها، ومن هؤلاء يبرز اسم محمد بن أبي شنب الذي كانت مؤلفاته ليست مجرد أعمال أكاديمية محضة، بل مثلت محاولة منهجية لإعادة بناء الذاكرة الجمعية، وتأكيد الاستمرارية الحضارية للجزائر ضمن إطارها الطبيعي العربي الإسلامي.

برز ابن أبي شنب كمحقق للعديد من كتب التاريخ والتراجم والسير، معتمدا في مشروعه التوثيقي على رؤية شمولية تجمع بين التاريخ الثقافي والسياسي والاجتماعي، مبرهنا على أن التاريخ لا يقتصر على سرد الأحداث الكبرى بل يشمل حركة الفكر والعلم والثقافة، ففي هذا المجال «العلاّمة ميّالٌ إلى تحقيق كتب لها علاقة كبيرة بالتاريخ الثقافي للجزائر، وهذه العلاقة تجعلنا نعتبر هاته المراحل من التأليف بمثابة بناء علاقة الذات الجزائرية التي كانت عُرضة للتهديم والتشويه بتاريخها الثقافي والديني» [3].

لقد عمد الاحتلال الفرنسي إلى إظهار الجزائر على أنها كانت أرضا أوروبية، وعلى أن الوجود العربي فيها كان عارضا، لذلك نهض بن أبي شنب يعمل على إخراج كل ما يمثل هوية الأمة وأصالتها، ومن أعماله في هذا المجال نذكر: مقاله التوثيقي تحت عنوان "الجزائر" وهو نظرة إجمالية في تاريخ عاصمة الجزائر، قدم فيه دراسة شاملة وتفصيلية عن التاريخ الحضاري لمدينة الجزائر والتطور الاقتصادي والاجتماعي بها، معتدا في ذلك على قراءة تحليلية للنصوص التاريخية والمخطوطات المحلية والعثمانية، وقراءة طبقية للتطور العمراني، فـ«الجزائر مدينة معروفة مشهورة

1 - عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق، ص107.

2 - ينظر، عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص ص153-154.

3 - الهواري غزالي، "المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر دراسة لترجمة محمد بن شنب لنص في البيداغوجيا الإسلامية"، **محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري- أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر 15-17 ديسمبر 2009**، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، 2009م، ص22.

وهي مبنية على خرب مدينة فينيقية ثم رومانية اسمها ايقوسيوم(Icosium) »[1]. وذُكرت آثارها من قبل الجغرافي أبو عبيد البكري، على أن «مدينة جزائر بني مزغنى هي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأول، وآزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم، وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان بأحكام عمل وإبداع صناعة، لم يغيرها تقادم الزمن ولا تعاقب القرون ولها أسواق ومسجد جامع... »[2].

أما ابن خلدون، فيشير في"العبر" إلى أن ابن زيري هو من اختط المدينة باسمه، وهي تعود في نسبتها إلى بني مزغنة بساحل البحر[3]. وقال الشريف الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: «مدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبارها وهي عامرة آهلة وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة» [4]. وأما إطلاق لفظة الجزائر على القطر، فمن باب استعمال الخاص وإرادة العام، ويرجح بن أبي شنب أن الأتراك هم الذين استعملوا هذا أولا بقولهم (جزائر أو جاغي)، وأما في القديم فإن اسمها المعلوم "المغرب الأوسط" وحدوده هي حدود القطر الجزائري تقريبا.

من خلال تلك الاقتباسات، نلاحظ أن المقال يقدم إطارا سرديا مختصرا وهاما لتاريخ تأسيس مدينة الجزائر، متتبعا لتطورها عبر العصور الفينيقية ثم الرومانية، وصولا إلى الفتح الإسلامي وعصر الدويلات ببلاد المغرب الإسلامي والوجود العثماني، بغية تأصيل الوعي بتاريخها من خلال الاعتماد على مصادر تاريخية وجغرافية عربية إسلامية كالبكري وابن خلدون والإدريسي.

كما يؤكد المقال على أن الجزائر ليست مجرد مدينة حديثة وليدة الاحتلال الفرنسي، بل هي وريثة حضارة قديمة، وامتداد طبيعي للأمة العربية الإسلامية، هذه القراءة تضعف الرواية الاستعماري التي كان تحاول تصوير الجزائر كأرض بلا تاريخ أو حضارة قبل الفتح الفرنسي!![5].

ولعل من أهم ما يحسب لابن أبي شنب في مجال التراجم والسير، تلك الجهود الكبيرة التي بذلها في تحقيق الكتب والتي تضمنت تراجم العلماء الجزائريين والمغاربة عبر العصور، والتي صورت لنا الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية في الجزائر وبلاد المغرب، وحفظت لنا مادة علمية غزيرة، أصبحت فيما بعد مصادرا أساسية لدراسة التاريخ. ومن أمثلة ذلك عنايته بتهذيب وترتيب كتاب "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لابن مريم

1 – ينظر، محمد بن أبي شنب، "الجزائر"، **المجمع العلمي العربي بدمشق**، ع02، سوريا، 1929/02/01م، ص99.

2 – المرجع نفسه.

3 – محمد بن شنب، **منتخبات**، المصدر السابق، ص 63.

4 – محمد بن أبي شنب، "الجزائر"، المصدر السابق، ص100.

5 – لأهمية ذلك المقال أعادت "الشهاب" لسان حال جمعية العلماء نشره وقدمت لهذا المقال بما يلي: وقفنا على هذا المقال المتعلق بعاصمة قطرنا بقلم فقيدنا العزيز الأستاذ محمد بن شنب، في رمضان الماضي من مجلة المجمع العربي، فنشرناه لقراء الشهاب، ينظر، محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ج3، ص 130.

المديوني التلمساني، الذي يعد وثيقة هامة تعين المؤرخ في التعرف على مجريات الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية لبلاد المغرب الأوسط، وكذلك كتاب" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس الغبريني، الذي يعد أرشيفا حيا للحياة العلمية في القرن السابع الهجري، ويحفظ أسماء وتراجم علماء ربما طمست أخبارهم لولا هذا الكتاب[1].

وقد شكل نشر محمد بن أبي شنب لكتاب "طبقات علماء إفريقية"، برسائله الثلاث؛ الأولى: " كتاب طبقات علماء افريقية" لأبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي، والثانية: "كتاب طبقات علماء افريقية" لمحمد بن الحارث بن أسد الخشني، والثالثة: "كتاب طبقات علماء تونس" لأبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي، عمل محوري في إحياء التراث المغاربي[2]. هذا المؤلف يعد من أهم التحقيقات العلمية المنظمة في التراجم والسير، ومصدرا أصيلا يوثق دور علماء القيروان وإفريقية في انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

لم تكن أهمية نشر هذا العمل محصورة في القيمة العلمية فحسب، بل يمتد إلى أن يكون فعلا ثقافيا يعيد الاعتبار للهوية العربية الإسلامية للمنطقة، من خلال توثيق البيئة الفكرية والاجتماعية (الأخلاق، الزهد، التصوف) بالقيروان وعموم إفريقية، من خلال تتبع حياة تراجم العشرات من العلماء والفقهاء والمحدثين، مما يجعله نموذجا مبكرا في أدب التراجم والسير.

كما كانت له عناية خاصة بكتاب "تاريخ الرجال الذين رووا صحيح الإمام البخاري وبلغوه للجزائر واختلاف الطرق في ذلك"، ليُظهر كيف استطاع هذا المصنف الهام في الحديث النبوي الشريف من الوصول إلى الجزائر وكيف تلقوه وحفظوه، وهنا إشارة واضحة إلى تمسك الجزائريين بمنهج السنة النبوية الشريفة، الذي لم يرضوا غيره مذهبا منذ دخول الإسلام إلى بلاد المغرب[3].

ومن الكتب ذات القيمة التاريخية التي اهتم بها ونقحها وحققها نذكر: "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"، وكتاب"الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، و"رحلة الشيخ الورثيلاني"، و" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس الغبريني، وهي مخطوطات نفيسة تُعطي صورة عن بعض أعلام الجزائر

---

1 – سبق وأن درسنا المؤلفين في الفصل السابق.

2 – نشر محمد بن أبي شنب هذا التحقيق مع ترجمة بالفرنسية في جزأين، طبع بباريس(1915م). ينظر، محمد بن أبي شنب، (**كتاب طبقات علماء افريقية، أبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي**) (**كتاب طبقات علماء افريقية، محمد بن الحارث بن أسد الخشني**) (**كتاب طبقات علماء تونس، أبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي**)، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، د.ت.ط، د.م.ط.

3 – ينظر، أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905.

- Mohammed Ben CHeneb, **De La Transmission Du Recuil De Bokhary aux habittants D'ALGER**, (Recuil De Memoires et de textes publie en L'Honneur Du XIV^{e} Congres International des Orientalistes, par les professeurs de L'Ecole Superieure des Letres et des Medersas, ALGER 1905, Kraus Reprint Nendeinl Liechtenstein, 1908, PP99-115.

الذين برزوا في عهود متقدمة، تعبيرا عن أصالتهم وخدمة لتراثهم الذي تركوه، وحفظا لذاكرة الأمة التي أُريد لها الطمس والذوبان.

وحسب ما ذكره عبد الرحمن الجيلالي؛ أن بن أبي شنب كان ينوي كتابة تاريخ الجزائر مع التعرض لمختلف الجوانب الجغرافية والطبيعية والاقتصادية، والأحوال السياسية والاجتماعية المتعاقبة، والحالة العلمية وتطورها، وأنساب العائلات القديمة وتراجم أعيانها وقادة الفكر المشهورين[1].

ثالثا: إحياء التراث من خلال التأليف في مجال التربية والتعليم.

اتبعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر سياسة تهدف إلى إخضاع الشعب الجزائري وإبعاده عن مقومات ثقافته وتاريخه وهويته. وقد جعلت من المدرسة والتعليم وسيلة أساسية لفرض الهيمنة الفرنسية، وذلك عبر السعي إلى إذابة المجتمع الجزائري في الثقافة الفرنسية وتكريس الاستغلال المادي والمعنوي للشعب.

لقد عملت فرنسا جاهدة على إنتاج نموذج تربوي وتعليمي يخدم أهدافها الاستعمارية، فجعلت من التعليم أداة لإعادة تشكيل المجتمع الجزائري على نحو يخدم استمرار السلطة القائمة بالاحتلال. ومن بين تلك الوسائل التي اعتمدتها: فرض اللغة الفرنسية، تهميش اللغة العربية، وتشويه التاريخ الوطني، وطمس التراث.

غير أن هذا المسعى لم يكن بلا مقاومة، فقد شكل وسيلة لبعث وعي وطني في صفوف الجزائريين من خلال إنتاج نخبة من المثقفين والعلماء، ساهمت في بعث حركة إصلاحية هدفت إلى تكوين جيل متمسك بهويته محافظ على تراثه. وقد ظهرت تلك الجهود من خلال تشكيل النوادي والجمعيات ونشر المقالات الأدبية والفكرية، أو عبر نشر المؤلفات والدراسات، أو من خلال التدريس.

ويعد محمد بن أبي شنب أحد أبرز هؤلاء الرواد الذين كان لهم إسهام بارز في مجال التربية والتعليم، حيث مثل نموذجا للمثقف الجزائري الذي جعل من التراث وسيلة للتربية، ومن التربية أداة لإحياء التراث. فقد كان أول جزائري يشغل منصب أستاذ للأدب العربي في المدرسة العليا للآداب بالجزائر سنة 1904م، ومن خلال عمله أستاذا بالجامعة، أسهم في تكوين أجيال من الطلبة الجزائريين، مكونا بذلك نواة فكرية وثقافية كان لها أثر بالغ في ترسيخ الوعي الوطني.

وقد تميزت مساهماته بكونها شاملة، إذ لم يقتصر دوره على التدريس فقط، بل قدم مقالات ودراسات ركزت على ضرورة تكوين الطالب الجزائري تكوينا متوازنا، يجمع بين العلوم الحديثة والمعارف التربوية، قصد النهوض بالثقافة العربية الإسلامية، الأمر الذي جعل منه شخصية محورية في مسار الفكر الإصلاحي التربوي بالجزائر، ورمزا لمقاومة الطمس الثقافي داخل مؤسسة استعمارية فرنسية[2].

1 – عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب**، مصدر سابق، ص33.

2 – عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، المرجع السابق، ج4، ص122.

كرس محمد ابن أبي شنب حياته للتربية والتعليم[1]، متنقلا من المدرسة الابتدائية-المدية، قسنطينة، العاصمة- إلى جامعة الجزائر، كما ساهم في نشر جهود السابقين في مجال التربية، وإخراج أفكارهم إلى العلن، مع ترجمة هذه الأعمال والتعليق عليها، وفي هذا رسالة واضحة تهدف إلى إبراز الأصالة المتجذرة في هذا المجتمع في مجال التربية والتعليم، ورفضا لحجة الاستعمار القائلة بأن الجزائريين كانوا غير قابلين للتعليم ولا التصحيح، وأنهم أعداء للمدرسة[2]، وعلى العكس تماما كما يدعي الاستعمار أنه جاء ليحضر هذا المجتمع البربري! بل إن الحضارة الإسلامية التي ينتمي إليها الجزائريون، تكن احتراما عاليا للتقدم العلمي والمعرفي.

ومن أعماله المهمة في مجال التربية والتعليم ترجمته لمخطوط "خاتمة في رياض الصبيان وتأديبهم وتعليمهم وما يليق بذلك" في التربية الإسلامية لمؤلف مجهول، وهي رسالة مفادها أن الإسلام يحث على التربية، وأن المسلمين ألفوا في مجال التربية والتعليم، وأن عامة المسلمين معنيون بهذا الشأن في مجتمعاتهم، على عكس ما يعتقد الاستعمار وما يعمل على نشره بين أوساط الناس. واختار للترجمة عنوانا آخر هو:"مبادئ التربية الإسلامية" مستدلا به على الفكرة الرئيسية للنص، نشره في المجلة الإفريقية(La Revue Africaine) الصادرة عام 1897م، ويبلغ عدد صفحاتها 12 بالإضافة إلى النص العربي المترجم، ليطلع عليه كما قال: من «كانوا يزعمون...أن الإسلام عدو للتعليم» و«أن المسلمين يرفضون تعليم أطفالهم» وتمنى أن يسهم جهده «في تقويض هذا الرأي المسبق»[3].

نُشر العمل في زمن مبكر من مسيرة محمد بن أبي شنب العلمية، عندما كان النقاش محتدما حول دور الدين والتربية في المجتمع الجزائري الخاضع للاستعمار الفرنسي[4]. فقد كان الاستعمار يسعى لفرض مناهج تعليمية

---

1 - يقول العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي على دور محمد بن أبي شنب التعليمي في خطابه عند يوم التأبين:«...وقفت لأبين لكم ناحية من نواحي الفقيد، وهي ناحية عرفها القليلون منا، وجهلها الكثيرون، هذه الناحية هي الغرة اللائحة في حياة الرجل الكريم، وهذه الناحية في نظري سر تفوقه أو سر غربته في هذا الوطن. هذه الناحية هي التي لاحت للعلماء من غربيين وشرقيين فأكبروا الرجل وأنزلوه المنزلة التي هو بها حقيق، هذه الناحية هي العظة البالغة والعبرة النافعة للناشئين منا في العلم وهي المثال الذي يجب أن يحتذوه، وما حياة العلماء الذين وقفوا حياتهم لنفع البشرية إلاّ أمثلة تحتذى ولها بعد ذلك أثرها في النفوس إن خيرا وإن شرا»، للاطلاع على نص الخطبة كاملا ينظر، مجلة الشهاب، مصدر سابق، ص07./ أحمد طالب الإبراهيمي، المرجع السابق، ص46.

2 - للمزيد ينظر، أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ط4(منقحة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م، ج2، ص165.

3 - ينظر "مقدمة" محمد بن أبي شنب لترجمة المخطوط في مجلة: - M. Ben Cheneb, Notions de Pédagogie Musulmane, **R. Afr**, Alger, 1897, pp267-285.

4 - كان المستعمر الفرنسي يسعى إلى نشر جملة من الثوابت الإيديولوجية والأهداف السياسية من بينها: رفض فتح أبواب التكوين في وجه الجماهير العريضة، وعدم الأخذ بالمبادئ اللائكية للمدارس الجمهورية. ينظر، الهادي بوشمة، "الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب قراءة سوسيو بيوجرافية"، **محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري-أعمال الملتقى الدولي بالجزائر 15-17 ديسمبر 2009**، المرجع السابق، ص ص58-59.

تقصي العربية والدين، بينما دعا ابن أبي شنب إلى العودة إلى التربية الإسلامية بوصفها مشروعا أصيلا لحفظ الهوية والنهضة.

يخبر ابن أبي شنب في المقدمة القصيرة التي كتبها للنص المترجم، أن الدين الإسلامي ليس-كما أراد البعض أن يزعم- عدوا للتربية والتعليم، فهو بحسب تعالمه يجعل التعليم واجبا على كل فرد، غير أن هذا التعليم يجب ألا يقتصر على المعرفة الدينية فقط. وأضاف بأن الدين هو الذي أوجب على المسلمين إنشاء المدارس، رغبة في دراسة القرآن والتفقه في الدين. فـ«تعليم القرآن للأطفال هو علامة التقوى التي يظهرها المسلمون في كل مدنهم؛ فالقرآن يشكل النفوس الفتية ويطور ملكاتها المختلفة»[1].

يلم المخطوط الذي يعود تاريخ كتابته إلى بداية القرن التاسع عشر، على صغر حجمه بكثرة مجالات تربية الأطفال وتعليمهم، والتأكيد على أنها من الأمور التي جاءت بها الشريعة مستدلا بقوله تعالى:«يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا»، ويقال:«من أدّب ابنه صغيرا قرّت عينه كبيرا، ومن أدّب ابنه أرغم أنف عدوه»[2]، والتركيز على العناية بالطفل رغم الوضع الاجتماعي الصعب الذي كانت تعيشه البلاد، وقلة الإمكانيات المادية لتوفير تعليم تقليدي قائم على قدرات الأولياء في بناء الكتاتيب ودفع أجور المعلمين.

كما يكشف المقال عن نظرة حديثة نسبيا في تصورنا للأطفال وبالتالي نمط التعامل معهم، كالرأفة بهم، والدعوة إلى إظهار الاحترام والحب لهم، وعدم التغلظ والشدة عليهم دائما، وفي الحديث«من لم يرحم لا يرحم»، وتوفير الوقت اللازم حتى يدرسوا وعدم شغلهم بما يعيقهم على التحصيل العلمي[3].

لاشك أن هذا الاهتمام المبكر لابن أبي شنب بمثل هذا الموضوع التربوي، يمثل محاولة لإبراز مبادئ التربية الإسلامية في الجمع بين العلم الشرعي والسلوك العلمي، والتوازن بين الترغيب والترهيب في التربية، ودور الأسرة والمعلم في العملية التربوية، مع ضبط للأخلاق والآداب. وهو ما كان ينبئ عن توجهه مستقبلا في أن يكون أحد أبرز رجال التربية، من خلال اهتمامه بمسائل بيداغوجية بحكم ممارسته لمهنة التعليم وبحكم المسؤوليات التي تولاها، ومنها إشرافه على امتحان البكالوريا لعديد من السنوات[4].

وتمكن بعد سنوات قليلة، وتحديد في عام 1901م، من ترجمة مخطوط صغير آخر، ينسبه إلى أبي حامد الغزالي تحت عنوان "رسالة في تربية الصبيان"، يستوحي الكثير من أفكاره في مجال التربية والتعليم[5].

---

1 - M. Ben Cheneb, **Notions de Pédagogie Musulmane**, op-cit, pp267.

2 - محمد بن شنب، **منتخبات**، المصدر السابق، ص17..

3 - عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، المصدر السابق، ص20.

4 - المصدر نفسه.

5 - M. Ben Cheneb," Lettre sur l'éducation des enfants par Abou Hamed El Ghazali", op-cit , pp101-110.

تقوم رسالة الإمام الغزالي في تربية الأطفال على رؤية تربوية شمولية تجعل من التعليم والتهذيب عمليتين متكاملتين، فالطفل عنده أمانة تستلزم تنشئته منذ الصغر على القرآن الكريم ومكارم الأخلاق، في بيئة أسرية واجتماعية صالحة، ويرى الغزالي ضرورة التدرج في التعليم بما يتناسب مع قدرات الطفل، مع الموازنة بين الجد واللعب حفاظا على التوازن النفسي، واعتماد أسلوب التشجيع والثواب أساسا للتقويم، مع استخدام العقاب المعتدل عند الحاجة فقط[1].

وتهدف هذه المبادئ إلى إعداد إنسان صالح متوازن يجمع بين العلم النافع والخلق القويم، وقادر على خدمة مجتمعه ودينه. وهنا نشير إلى أن عناية محمد بن أبي شنب بهذه الرسالة تبرز من خلال قيمتها العلمية والتاريخية، ومن خلال المساهمة في إحياء التراث التربوي الإسلامي، وإدخاله في النقاش الأكاديمي حول التربية والتعليم في ظل الهيمنة الاستعمارية.

رابعا: التأليف في مجال اللغة والأدب

عمل محمد ابن أبي شنب في صمت ودون جلبة، واضعا نصب عينيه هدفا أسمى هو إحياء التراث العربي الإسلامي وخدمة اللغة العربية. وقد شهد له معاصروه بسعة الاطلاع وقوة الملكة في التأليف والكتابة، فكان متمكنا من مادته اللغوية والأدبية، ومتحكما في أدوات البحث العلمي.

لقد تميز مشروع ابن أبي شنب العلمي بمرجعية فكرية مزدوجة. فمن جهة استند إلى الأصول العربية الإسلامية، ومن جهة أخرى استعان بالمناهج النقدية الغربية الحديثة في التحقيق والدراسة. وبذلك استطاع أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأن يبرز أصالة اللغة العامية الجزائرية من خلال ربطها بأصولها الفصيحة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم.

وقد جسد ابن أبي شنب هذه الرؤية في مؤلفه المهم "الأمثال العامية في الجزائر والمغرب- Proverbes arabes de L'Alger et du Maghreb"، الذي جمع فيه مئات الأمثال المتداولة من مختلف مناطق الجزائر والمغرب[2]، وحللها بوصفها مادة أدبية واجتماعية تكشف عن ذهنية المجتمع وثقافته[3]. كما تناول بالدراسة "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في عامية الجزائر" (كتابه الثاني المقدم لنيل شهادة الدكتوراه سنة1922م)، محللا

1 - M. Ben Cheneb, **Florilège**, op.cit, pp31-37.

2 - يزخر التراث الجزائري والمغاربي بالعديد من الفنون الشعبية الشفوية منها والمكتوبة، ويعد المثل الشعبي واحد من أعرق تلك الفنون التي تنقل لنا صورة عن المجتمع بعاداته وتقاليده وتجاربه وخبراته، ولم يكن المثل الشعبي مؤرخا لحياة المجتمعات فحسب، وإنما كان ولا زال مدونة لسانية ثرية بالظواهر اللغوية، واللطائف الفنية، والأساليب التعبيرية الغنية بالمعاني البلاغية، مما جعله قبلة الدارسين، ومن ذلك هذا المؤلف لمحمد بن أبي شنب بأجزائه الثلاث.

3 - Mohammed Ben Cheneb, **Proverbes de l'Algérie et du Maghreb**, Ernest Leroux éditeur, Paris-fronce, 1906, T1, p II.

بنيتها ودلالتها ومبينا أصولها اللغوية في محاولة لإثبات أن اللهجة الجزائرية ليست لغة معزولة كما كان يروج الاستعمار، بل امتداد للعربية الفصحى محملة بثراء حضاري[1].

ويظهر إبداعه كذلك في جمعه بين الدرس اللغوي والنقد الأدبي، إذ لم يكتف بجمع النصوص وتوثيقها، بل قدم شروحا وتحليلات معمقة كشفت عن مكانة العامية الجزائرية ضمن التراث العربي. مقدما نموذجا رصينا أسهم في حماية الهوية الثقافية، ومواجهة دعوات المستعمر الفرنسي إلى إحلال الفرنسية محل العربية أو الانتصار للعامية.

ومن تصانيفه في مجال الأدب العربي والبلاغة يبرز مؤلفه "تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب" وهو كتاب في علمي العروض والقوافي، حاول ابن أبي شنب أن يبين من خلاله أن الشعر الشعبي(الحر) على الرغم من ابتعاده عن القواعد الصارمة للعربية الفصحى، يبقى امتدادا للأدب العربي الأصيل[2].

لقد أولى محمد بن أبي شنب عناية كبيرة بجمع الكلمات والتراكيب اللغوية التي جرت على ألسنة الأدباء في القديم والحديث، إذ رأى أن اللغة العربية بحاجة دائمة إلى إثراء وتوثيق عبر بحوث تجمع بين الدقة العلمية والابتكار المنهجي. ومن أبرز ما يدل على هذه الجهود دراسته المعجمية حول"رموز الاختصار العربية" التي نشرها في المجلة الإفريقية سنة 1920م، في عمل جمع ما يقارب مائة كلمة من الألفاظ المختصرة المتداولة عند المؤلفين العرب في الفقه والحديث والفلسفة[3].

ومن بين تلك الأبحاث المتميزة التي نشرها بالمجلة الإفريقية، دراسته حول أصل كلمة شاشية(origine du mot chachiya)[4]، وهي غطاء رأس كان يلبس في بلاد المغرب العربي وبلاد الشام وتركيا. وقد أثبت ابن أبي شنب اعتمادا على معجم دوزي(Douzy) في كتابه المعجم المفصل لأسماء اللباس، أن اللفظة تعود إلى مادة "الشاش"، أي النسيج الرقيق الذي يلف على الرأس[5]، ورجح أن انتقال الكلمة إلى الاستعمال العام جاء نتيجة الشبه بين هذا الغطاء وبين لفائف الشاش المستعملة في الطب. وأن تصفح ما ذكره البكري في كتابه " المعجم ما استعجم" وياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"، يتضح أن الشاشية مأخوذة من أصلها الجغرافي وهي بلاد الشيشان بآسيا الصغرى.

---

1 – محمد كرد علي، "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية"، **مجمع اللغة العربية بدمشق**، سوريا، 1923م، مج3، ج5،ص ص155-156.

2 – يقول عبد الرحمن الجيلالي عن ذلك الكتاب: «هو كتاب فريد في بابه وحيد في فنه، لم يؤلف مثله من حيث الجمع والإتقان والضبط، مع وفرة المادة وكثرة الأمثلة والتمارين».ينظر، عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق ، ص35.

3 - Mohammed Ben Cheneb, **Florilége**, editions Casbah, Alger, 2007, pp205-209.

4- Mohammed ben cheneb, " Observation sur l'emploi de mot tellis son origine" , **R. afr**, n°56, 1912, pp566-570.

– محمد بن شنب، **منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق**، مصدر سابق، ص ص201-202.

5 – رينهارت دوزي، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، تر، أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت– لبنان، 2012، ص 217.

أما دراسته الأخرى فكانت حول استعمال كلمة "تليس" وأصلها(Observation sur l'emploi de mot tellis son origine)[1]، حيث لاحظ أنها كلمة متداولة في المغرب العربي لكنها غير مثبتة في المعاجم القديمة، ويشير في بداية المقال إلى أن المعجم العربي لا يقبل هذه الكلمة إلا تحت كلمة "تِليسة"(tillisa) على وزن "فِعيلة" مثل: سكينة وقنينة...مستشهدا بعدة مصادر كابن خالويه في كتابه "ليس في كلام العرب"، وعبد اللطيف البغدادي في كتابه "ذيل الفصيح"، والحريري في كتابه "دُرة الغواص في أوهام الخواص"، ثم يعطي دلالة الكلمة بحسب المصادر العربية والغربية، ثم يبحث في زمن ظهورها. ليطرح بعد ذلك السؤال حول أصل الكلمة: هل هو عربي؟ أم هو أجنبي؟ وعن أي لغة أخذ؟ فيستعرض مختلف الافتراضات، ليخلص في الأخير إلى أصولها الإغريقية البيزنطية، وهو ما يوافق طرح الخفاجي[2].

هذا المقال والذي سبقه، يظهر الإلمام الكبير لابن أبي شنب بعلوم وتاريخ اللغة العربية وكذلك اللغات الأخرى، كما يكشف عن سعة اطلاع وتنوع مصادر استقصاء معلوماته، والاعتماد على الثنائية بين كتابات المشرقيين والغربيين التي مكنته من الوصول إلى نتائج معرفية دقيقة في الاستنطاق التاريخي لأسماء الكلمات.

وله عدة أعمال أخرى في مجال اللغة والأدب من تأليف وشرح وتحقيق وتنقيح نذكر منها: تنقيح وزيادة كثير من المواد في معجم ابن سديرة (العربي=فرنسي)، وضبط روايات كتاب "تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين" للفيروز أبادي، وبحث عن أبي دلامة وشعره، وهو موضوع الأول لأطروحته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه.

كما خاض تجربة في الشعر، غير أنه لم يكن فيه مُكثرا، يقول عن ذلك عبد الرحمن الجيلالي: «كتب ابن أبي شنب الشعر الملحون، كما كتب الشعر المقفى، ونظم عدة قصائد في الجزائر وفي مدح بلدته وفي أغراض أخرى»[3]. وما نلحظ في قصائده حضورا قويا للبعد الوطني، إذ خاطب الشباب وحثهم على طلب العلم واكتساب المعارف باعتبارها السلاح الأنجع لمواجهة التحديات، ففي أحد مقطوعاته نقرأ:

أفيقوا بني أمي عمي برقي المشارف	وجدوا وكدوا في اكتساب المعارف
فقد ذهب الأعلام والعلم بينكم	ولم يبق إلا كل غمر وخالف
خلت أربع العرفان واستوطن البلى	وغف غراب الجهل حقا بشارف
فيا وحشتا من طالب ومدرس	ومنشد أشعار وراوي اللطائف

1- Mohammed ben cheneb, "origine du mot chachiya", **revue africaine**, n°51, 1907, pp54-56.

2 - **الخفاجي(977هـ-1069هـ/1569-1659م)**: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. للمزيد حول سيرته ينظر، خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج01، ط15، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 2002، ص238

3 - الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، مرجع سابق، ص64.

هذا النص الشعري يعكس وعيا مبكرا بدور النخبة المثقفة في إحياء هوية الأمة وصيانة كيانها الحضاري، وهو خطاب يتقاطع مع أفكار الحركة الإصلاحية التي بدأت تبرز مع مطلع القرن العشرين. ولم يقف بن أبي شنب عند حدود التوجيه التربوي، بل مارس نقدا اجتماعيا واضحا، محذرا من مخاطر الركون إلى الجهل، ففي قصيدة أخرى يقول:

بني الوطن استفيقوا من غفول ولا تبقوا بصحراء الخمول

فإن الجهل نقصان عليكم وأدنى رتبة قدر الجهول

ألم تتلوا كتاب الله يوما وسنة من أتانا بالدليل[1]

تلك صياغة شعرية تعكس موقفا إصلاحيا متقدما، حيث يظهر الشعر هنا كمنبر للتوعية الجماعية والدعوة إلى النهضة، وهو ما ينسجم مع مشروعه العلمي في خدمة اللغة وإحياء التراث العربي الإسلامي[2].

وجاء في قصيدة أخرى يمدح فيها الجزائر:

هلم بنا نحو الجزائر يا فتى فقد ضاق بي حالي وأقعدني الوجد

هناك غزال قد غدا بسواحر وخذ به يزهو الأقاحي والورد

وقال أيضا في الحث على الأخلاق الفاضلة:

أحسن إلى من أساء واجتنب قلقا تنل به سكنا في جنة العالي

حاسن أخيك وإن شانت محاسنه واستر عيوبا وكن منها على بال[3].

يتبين من خلال هذه الجهود، أن محمد بن أبي شنب لم يكن مجرد باحث في اللغة والأدب، بل كان مؤسسا لمنهج علمي في دراسة اللهجات والأمثال والألفاظ الدخيلة، جامعا بين الأصالة والمعاصرة، مسخرا معارفه في خدمة العربية من خلال الدراسات المعجمية، جاعلا من شعره منبرا للتوجيه والإصلاح. ومن ثم فإن مشروعه الفكري والأدبي يمثل صورة متكاملة للمقاومة الثقافية الجزائرية في مطلع القرن العشرين. ولا يقل أهمية في ذلك عن حسن حسني عبد الوهاب في تونس في نفس المجال.

المطلب الثاني: الكتابة والتأليف عند حسن حسني عبد الوهاب.

يُمثل حسن حسني عبد الوهاب نموذجا للمفكر الموسوعي الذي أدرك بتعدد إنتاجه الفكري والثقافي أبعادا شتى للمعارف الإنسانية. وقد جسد مساره العلمي حالة من التكامل بين الاعتماد على المصادر التراثية

1 – عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق، ص36-37.

2 – في هذا المجال، يمكن النظر إلى شعر محمد بن أبي شنب كجزء من حركة أدبية جزائرية أوسع ضمت شعراء مثل: عبد الحليم بن سمايه، وعبد الرحمن الجيلالي، ومحمد العيد آل خليفة، واللذين أسهموا مجتمعين في بناء خطاب وطني عبر الأدب.

3 – عبد الرحمان الجيلالي، **محمد بن أبي شنب حياته وآثاره**، مصدر سابق، ص37.

والأساليب الحديثة في البحث، حيث تداخلت في أعماله حقول التاريخ مع السير والتراجم والأدب واللغة والفن بكل أشكاله، مما أعطانا رؤية شاملة عن المجتمع التونسي ومكونات هويته في تلك الفترة.

لقد ترك عبد الوهاب آثار عديدة يمكن أن يعنى بها اختصاصيون كثيرون، معتمدا في جل أعماله على الوثائق المشهور بصحتها، مع التركيز على النقائش والمسكوكات والحفريات، وكذا تنوع موضوعات الكتاب الواحد من التاريخ السياسي إلى الأدب واللغة، ثم الفن، والمواعظ والحكم، بأسلوب مرن ولغة مبسطة، كان هدفه في ذلك، شدُّ القارئ إليه.

أولا: التأليف في مجال التاريخ والتراجم والسير.

سلكت السياسة الاستعمارية في تونس كما في الجزائر، منذ انتصاب الحماية مسلكا عدائيا، غايته طمس معالم تاريخ تونس الحضاري، مما دفع بالنخبة التونسية إلى الرد على هذا المسلك، والعمل على سد الفراغ الذي يجده التلميذ والمدرس، والرجل العامي في التعرّف على تاريخ بلاده والإلمام بتراثها الحضاري.

في تلك الظروف، عايش حسن حسني عبد الوهاب عن كثب فترة الاستعمار المباشر أولا، ثم فترة الاستقلال السياسي للبلاد التونسية. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو المنهج الذي اتبعه عبد الوهاب في هذه الفترة الزمنية الطويلة للتأليف في مجال التاريخ والتراجم والسير؟ وما هي أهم إسهاماته في هذا المجال؟

يعد حسن حسني عبد الوهاب أحد رواد المدرسة التاريخية التونسية الحديثة، والتي ترى أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث السياسية، بل هو سجل شامل يجمع بين التحليل العلمي والحس الأدبي للأحداث، مع توثيق تطور المجتمعات ثقافيا واجتماعيا.

وعندما نرجع إلى آثار عبد الوهاب في كتابته للتاريخ عبر مختلف مراحل حياته، نجده يكرس ذلك المفهوم للتاريخ، على أنه «موعظة وحكمة في السياسة لمن يريد أن يتعظ، والموعظة مرتبطة عنده في أغلب الحالات بفذلكة أو ملحة يأتي بها لترسيخ الموعظة وتحقيق الهدف المنشود»[1]. وهنا يعني؛ تشييد ما تهدم من صروح المجتمع حتى يتراجع للقطر شبابه ويعود إليه رونقه وإيهابه، إذ لا عبرة ولا موعظة أجمل من سوق التاريخ على حسب قوله.

والتاريخ عنده أيضا استنباط الحقائق واستقصاء المصادر واستجلاء المظاهر، وفي هذه الحالة ينوع في مفهوم التاريخ فمن الموعظة والإرشاد، إلى استنتاج الحقائق من مصدرها من «وثائق تاريخية ثابتة وأصلية مشهود لها بالصحة»[2]، إلى الكشف عن مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية.

فالتاريخ لم يعد إتباع ذلك الخط المستقيم السردي الراوي للتراث سلفا عن خلف، ولم يعد تلك المواعظ الموجهة للنشئ؛ بل تحول إلى مظاهر متعددة لحراك اجتماعي يصنع التاريخ، بما ينتجه من تراث مادي ومعنوي.

1 - جلول ريدان، **حسن حسني عبد الوهاب (1883-1968)**، مرجع سابق، ص239.

2 - المرجع نفسه، ص240.

بدأ عبد الوهاب التأليف في مجال التاريخ والتراجم والسير مبكرا منذ 1905م، وذلك قبل أن يخلف البشير صفر في تدريس مادة التاريخ في الخلدونية سنة 1908م[1]؛ حيث دعي هذا الأخير إلى منصب عامل بسوسة لإبعاده عن نشاطه الثقافي السياسي والحد من نفوذ الخلدونية الفكري في الأوساط التونسية.

وقد سعى من خلال إسهاماته إلى ترسيخ الهوية العربية الإسلامية للبلاد التونسية التي طالما تهددها الاستعمار، وهذا ما نلحظه في جل كتاباته التي انصبت بالأساس على تاريخ افريقية بمختلف عصورها، العربية والإسلامية منها بالخصوص، بما في ذلك فترة الاستعمار وفترة ما بعد الاستقلال، وما يسند هذا القول مؤلفه الشهير"خلاصة تاريخ تونس" الذي أصدره سنة 1918م، والذي يشمل –على قوله–«ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر»، وقد أشار إلى الغرض من إصدار هذا التأليف قائلا: «كان الباعث القوي على وضع "هذه الخلاصة": «حب الوطن والشغف بأخباره، واحتياج ناشئتنا إلى مختصر في حوادث قطرهم»، ثم أضاف: «وقد توخينا طريقة الاختصار والإفادة، إذ كان مقصدنا إيقاف ناشئة مدارسنا التونسية على تاريخ بلادهم وترغيبهم في مطالعته»[2].

يقدم الكتاب محاولة لإيجاز تاريخ تونس من خلال تلخيص الأحداث التي شهدتها دون التعمق في تفاصيلها، حيث يقسم الكتاب حسب المراحل التي مرت بها البلاد التونسية إلى أربعة أبواب تحوي واحد وعشرون فصلا، يقوم المؤلف في كل فصل بعرض أهم أحداث ومظاهر الحضارة في كل عصر من العصور مع ذكر أهم الشخصيات من المشاهير في العلم والأدب والسياسة والحرب.

يحتوي الباب الأول من هذا الكتاب على عنوان "العصور القديمة" من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السابع بعد الميلاد، حيث قدم فيه حسن حسني عبد الوهاب أهم المراحل التي مرت بها تونس منذ العهد القرطاجي وبداية القدوم الفينيقي وتأسيس قرطاجنة، مرورا بالحروب البونية والاحتلال الروماني للمنطقة، ثم الاستيلاء الوندالي والبيزنطي.

الباب الثاني: والذي يدور حول "العهود الإسلامية الأولى" من القرن السابع إلى القرن السادس عشر ميلادي، عرض لنا المؤلف مراحل انتشار الإسلام في المنطقة منذ أول غزوة سنة 27هـ إلى استقرار الإسلام بتونس سنة 84هـ، ثم يلي ذلك سلسلة الخلفاء وأهم أعمالهم خلال فترة الدولة الأغلبية ثم الدولة العبيدية ثم الدولة الموحدية فالحفصية.

أما الباب الثالث: فقد لخص فيه المؤلف "العصور الحديثة" ودخول الإيالة التونسية في العهد العثماني سنة 1574م إلى سنة 1881م تاريخ فرض الحماية الفرنسية. حكم تونس خلال فترة الخلافة العثمانية عدة دول

1 – حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، مصدر سابق، ص5.

2 –المصدر نفسه، ص6.

هي: الدولة المرادية من 1631 إلى 1704م، ثم الدولة الحسينية الأولى من 1705 إلى 1837م، ثم الدولة الحسينية الثانية من 1837 إلى 1881م، وقد ذكر المؤلف البايات الذين حكموا تونس وأهم منجزاتهم.

وقد جاء الباب الرابع تحت عنوان "العهد المعاصر" وهي الفترة التي كانت فيها تونس تحت الحماية الفرنسية من 1881م إلى 1956م، وقد ركز حسن حسني في هذا الفصل على تاريخ الحركة الوطنية، ثم الحركة الاستقلالية والكفاح التحري حتى نيل الاستقلال وإعلان الجمهورية التونسية.

ويعد كتابه "العمر" في المصنفات والمؤلفين التونسيين، أهم إنجاز أخرجه عبد الوهاب إلى جمهور القراء، والمقصود هنا "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية"، وكما هو معروف فإن عبد الوهاب اعتبر هذا الكتاب مقدمة لكتابه الذي أفنى العمر في انجازه، وكان الاسم الأصلي لهذا الكتاب "صدور الأفارقة"[1]، وقد نشر منه الكثير في مجلة الثريا خلال سنتي 1945/1944م.

اعتمد عبد الوهاب على ما يبدوا نفس المنهج الذي اتبعه ابن خلدون الذي تأثر به أيما تأثر في الفصل بين كتاب العبر ومقدمته، وقد سار على نفس المنوال تقريبا، حيث سارع بإنجاز كتاب الورقات كمقدمة لكتاب العمر خاصة منهما الجزء الأول والثاني، الذين صدرا سنة 1965م.

أما القسم الثالث فقد طبع سنة 1972م، بعد وفاته تحت رعاية محمد العروسي المطوي الذي كان يسميه عبد الوهاب"الابن الأديب والمفكر المصيب"، وأوكل إليه مهمة إنجاز كتاب العمر، وقد تضمن هذا الجزء الكثير من المقالات والكتابات في شتى الأغراض.

أما كتاب العمر إجمالا فقد صدر سنة 1990م، أي بعد وفاة حسن حسني عبد الوهاب بواحد وعشرين سنة، بمراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، يقول عن ذلك الإصدار المؤرخ وعالم الآثار التونسي عز الدين باش شاوش في تصديره لهذا المؤلف: «وأخيرا يصدر للناس في أحسن حلة بفضل جدّ محقّقَين هما من رجالات العلم الأجلّة، كتاب جامع مفصل مطول أفنى في تأليفه العمر، مؤرخ تونس الأكبر شيخنا المنعم المبرور حسن حسني عبد الوهاب الذي اقتفى أثر صاحب((كتاب العبر)) فصنّف ((كتاب العمر)) ليكون ديوان المبتدأ والخبر في الحضارة الإسلامية والثقافة العربية بتونس منذ العهد العربي المبكر وخلال عصور المجد الإسلامي المتجذر»[2].

---

1 – أشارت صحيفة النهضة بتاريخ: 1952/11/13م إلى هذا الكتاب باسم "تاريخ إفريقيا العام"، وهو يقع في خمسة أجزاء، وقضى في تأليفه 50سنة.

2 – حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، بيت الحكمة/ دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، مج1990،01م، (التصدير).

ويضيف قائلا: «والله وحده يعلم كم بذل مفخرة تونس علامتنا من الجهد وصرف من الوقت والكدّ في سبيل التنقيب عن تراجم المتقدمين والتقاط آثار المؤلفين من بين المخطوطات والمطبوعات وتدوين آدابهم المبثوثة في مختلف الجهات بين كتب الأخبار والسير والطبقات وما جاء في المجاميع وغيرها من المؤلفات»[1].

وفي فترة حالكة من تاريخ تونس المعاصر، إثر معركة الزلاج سنة1911م، وحوادث الترامواي سنة 1912م، كان الفرد التونسي فيها أشدّ ما يكون حاجة لشحذ عزيمته واعتزازه بحضارته العربية الإسلامية، أصدر حسن حسني عبد الوهاب كتابه الأول "بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق"[2]، وهو لم يتجاوز الثلاثين من العمر آن ذاك.

كان قصد عبد الوهاب في البداية الترجمة للشاعر القيرواني ابن رشيق، فوجد نفسه يتوسع في الترجمة ليعرف بالوسط الحضاري والثقافي الذي نشأ فيه من حيث المعالم والمجتمع والنشاط الاقتصادي والحياة اليومية والتنظيم السياسي والمجالس الأدبية. لقد كانت هذه الترجمة لابن رشيق مناسبة لبيان جانب من تاريخ الحضارة التونسية في عهد ازدهارها بالقيروان.

جاء الكتاب في ثراء محتواه، وسلاسة أسلوبه، وتوثيق معلوماته، وتنوع مصادره، مفيدا للمبتدئين والدارسين، ويكفيه في هذا المقام شهادة أحد تلاميذه الجامعيين الأستاذ الشاذلي بويحي: «وضع فيها شيخنا المحقق حسن حسني عبد الوهاب منذ أكثر من نصف قرن كتيّبا لم يزل على إيجازه مرجعا أساسيا وتصويرا كافيا لتلك الحضارة»[3].

لكن قيمة هذا الكتاب لا تقف عند تلك الخصلة فقط، بل تدرك من خلال سياق تأليفه التاريخي كما ذكرنا سابقا؛ فهو موجه لشباب التونسي في فترة تمكن الاستعمار الفرنسي وهيمنته على البلاد التونسية، لذلك عمل حسن حسني عبد الوهاب على تقوية الشعور بالانتماء إلى بلد له حضارة عربية إسلامية عميقة.

وقد طرحت مجموعة من النخبة التونسية، موضوع المرأة التونسية تحت التسلط الاستعماري، ومسألة تعليمها وتربيتها تربية إسلامية، ورفض بعث البنات إلى مدارس إدارة المعارف خشية تعلم اللغة الفرنسية والتشبه بالبنات الأوربيات. وكان حسن حسني عبد الوهاب من تلك النخبة التونسية التي ناقشت قضية المرأة، بل سعى إلى التفتيش في التاريخ لإحياء تراث النابغات التونسيات، على غرار الكاتبة زينب فواز التي ألفت كتابا تحت عنوان "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور"[4].

---

1 – المصدر السابق، (التصدير).

2 – حسن حسني عبد الوهاب، **بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق**، تق، محمد العروسي المطوي، بيت الحكمة، 2009، ص07.

3 – **حوليات الجامعة التونسية**، ع02، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1965، ص239.

4 – **زينب فواز**: أديبة وكاتبة وشاعرة، لقبت (درة الشرق)، لها مقالات في الأدب والإصلاح الاجتماعي، ولدت زينب بنت علي بن الحسين بن عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن يوسف فواز عام 1860م على الأرجح، في بلدة تبنين بصيدا جنوب لبنان، رحلت إلى مصر حيث درست الصرف=

وعلى ذلك المنوال ألف كتابه "شهيرات التونسيات" سنة 1917م، ويذكر عبد الوهاب السبب الذي بعثه على إنشاء هذا الكتاب بالقول: «فبادرت إلى مسايرة ما علق بنفس صديقي وكشفت له عن القناع عما حضرني من تراجم العقائل والنابغات الأصائل، اللائي عطرن أديم هذا القطر بشذى فضلهن، وسارت الركبان بحديث شهرتهن، وهو من أقطع الأدلة على رسوخ الحضارة الإسلامية وتأصلها في هذا الإقليم »[1]، يتحدث هنا عن صديق له أبدى «أسفا شديدا على خلو هذا القطر من نابغات تونسيات.. نفاخر بعبقريتهن الشرقيين، ونباهي بمداركهن الغربيين »[2].

يعتبر كتاب"شهيرات التونسيات" نوعا من التأريخ للمرأة التونسية وتقصي أخبارها عبر الزمن، ومرجعا لطلاب الفوائد ونموذجا للراغبين في اقتناء الشوارد، ومجاراة لأهل الشرق، سعى من خلال عبد الوهاب إلى سدّ الفراغ من مثل هذه المواضيع في المكتبات التونسية.

لقد كانت غاية عبد الوهاب من هذا التأليف كما ذكرنا «الاقتصار على عرض تراجم شهيرات بلادنا وجمع شوارد أخبارهن والتنويه بذكرهن والتخليد لشهرتهن إحياء لفضيلة الإقتداء بالسلف الصالح»[3]. وأول شهيرة حظيت بالترجمة في هذا الكتاب هي –الحفيدة الخطابية– زينب بنت أبي عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ هذه الحفيدة الخطابية قدمت البلاد الإفريقية مع طلائع الفتح الإسلامي، وماتت ودفنت بموضع يعرف بقمونية قرب مدينة القيروان[4].

ومن تلك التراجم نجد "أم البنين الفهرية" وهي امرأة صالحة من أهل القيروان تسمى فاطمة بنت محمد الفهري، وتكنى أم البنين، نزلت في أهل بيتها بعدوة القرويين –بالمغرب الأقصى– على عهد إدريس الثاني، وبعد وفاة زوجها وإخوتها، ورثت منهم مالا كبيرا، فتعلقت همتها ببناء مسجد، وتحرت في بنائه أن لا تدخل شبهة في

=والبيان والعروض، والنحو الإنشاء، ذاعت شهرتها بعدما كتبت في عدة جرائد منها: "النيل"، "لسان الحال"، "المؤيد"، اللواء"، "الأهالي"، "الاتحاد المصري"، وفي مجلتي "الفتاة"، "أنس الجليس"، وتعددت أعمالها مثل: الرواية والمسرحية والسيرة...توفيت سنة 1914م. للمزيد ينظر، زينب فواز، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1312هـ، ص05.

1 – حسن حسني عبد الوهاب، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، 1353هـ/1934م، ص3 (المقدمة).

2 – هذا الصديق هو عبد الرحمان الكعاك الذي جاب معه الإيالة بهدف فتح فروع للخلدونية في كامل تونس، وأن تأليف عبد الوهاب لكتاب "شهيرات التونسيات" كان بطلب هذا الصديق لإحياء تراث تراجم التونسيات. للمزيد ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، 1353هـ/1934م، ص3 (المقدمة).

3 – المصدر نفسه، ص3 (المقدمة).

4 – يعلق حسن حسني عبد الوهاب على هذا الافتتاح بالقول: «الحفيدة الخطابية: أبهى وأسنى جوهرة يكلل بها تاج تراجم التونسيات اسم الفتية الطاهرة حفيدة الخليفة العادل عمر الفاروق رضي الله عنه». للمزيد ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، 1353هـ/1934م، ص09.

تشييده، ولم تزل أم البنيين صائمة من يوم شُرع في بناء المسجد إلى أن تم البناء، وصلت فيه شكرا لله تعالى. هذا المسجد هو جامع القرويين الشهير، والمعهد الديني المعتبر، أكبر كلية عربية في البلاد المراكشية[1].

وإن كان عنوان الكتاب يشير إلى أن المحتوى سيكون تعريفا بشهيرات التونسيات، فإننا نرى في هذا البحث محتوى آخر لا يقل أهمية عن الأول: وهو أن للمرأة التونسية كرامتها، وحقوقها، كما لها واجباتها، ورَأيٌ في تغذية الفكر، وأثرٌ في الذود عن الأخلاق..، ويرجع حسن حسني عبد الوهاب هذه المزايا إلى ما تغذت به "الشهيرات" من رحيق الشريعة الإسلامية التي حفظت للمرأة حقوقها وحرمتها.

والذي نلحظه من خلال "الورقات والخلاصة وشهيرات وكتاب العمر" وغيرها مما كتب في عديد المجلات، يدرك أن عبد الوهاب كان يؤمن بشدة بقيمة الفرد في صنع التاريخ، وهؤلاء الأفراد ليسوا الأفراد العاديين بل هم النابغون في كل دور من المشتهرين في العلم والأدب أو في السياسة والحرف، أو هم رجال اشتهروا من بين الفقهاء والقياد والنساك والصلحاء[2].

إن ما كتبه عبد الوهاب وما صنفه يبين مدى سعة اطلاعه واتساع مداركه وتنوع اختصاصاته، وقدرته على الكتابة والتأليف في مختلف الأغراض، وعلى غرار التراجم والسير، نجده يكتب حول رحلة حج المغاربة من بلاد المغرب العربي إلى الأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

تعد الرحلة الحجازية نوع من فنون الأدب التاريخي، الذي يقوم بتوثيق كل ما يتعلق برحلة الحج، بدءا من الاستعداد للسفر، ووصف الطرق والمسالك، والمشاهدات الجغرافية والبشرية، وصولا إلى مناسك الحج ووصف الأماكن المقدسة، وانتهاء برحلة العودة. فهي ليست مجرد يوميات سفر، بل موسوعة مصغرة تنقل صورة حية عن الحياة السياسية والفكرية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في العصر الذي كتبت فيه.

يعتبر مقال "حج المغاربة قديما وحديثا" لحسن حسني عبد الوهاب[3]، أكثر من مجرد سرد تاريخي؛ إنه رحلة في أعماق التراث المغاربي عبر القرون، وقصة التواصل الحضاري بين المغرب والمشرق العربي، ومرجعا أساسيا في دراسة الجغرافيا التاريخية والاجتماعية لبلاد المغرب. حيث يوثق الطرق التي يسلكها وفد الحجاج المغاربة عبر مسارين رئيسين: الطريق الجنوبي عبر الواحات الممتدة من جنوب الجزائر والجريد التونسي إلى مصر، والطريق الشمالي عبر الجبال والتلول فتمر بتلمسان فالجزائر فقسنطينة وتونس نحو الشرق. وقد شكلت مفازة برقة في ليبيا

1 – المصدر نفسه، ص ص20–21.

2 – حسن حسني عبد الوهاب، **الورقات**، ج2، ص323.

3 – نشر هذا المقال في كتاب يحمل عنوان: ذكرى الحج (مشاهدات وسوانح لحجيج الشمال الإفريقي أثناء رحلتهم إلى الأراضي المطهرة في موسم الحج لسنة 1358هـ). ينظر، الوكالة التونسية للطبع والتوزيع والنشر، **ذكرى الحج 1358–1940**، المطبعة التونسية، تونس، 1940، ص ص5–15.

التحدي الأكبر، حيث وصفها عبد الوهاب بأنها «بيداء قاحلة جرداء لا ماء فيها ولا مقر لتجديد الزاد»[1]، مما يجعل اجتيازها مؤشرا على نجاح الرحلة.

أما الطريق البحري رغم اختصاره للزمن، إلا أنه محفوفا بمخاطر القرصنة والعواصف، مما جعل الطريق البري مفضلا رغم مشاقه. ولم تكن الرحلة مجرد انتقال جغرافي، بل كانت ظاهرة اجتماعية-اقتصادية- دينية متكاملة[2]، فطريق العودة الذي كان غالبا يشمل زيارة القدس وبلاد الشام، كان يختتم باستقبال شعبي مهيب في القرى والمدن، مع إقامة الولائم والأناشيد، في جو من احتفال جماعي يؤكد التماسك الاجتماعي.

وقد خصص عبد الوهاب جزءا مهما من المقال للمقارنة بين الحج قديما وحديثا-النصف الأول من القرن العشرين- ويظهر كيف أدى دخول وسائل النقل الحديثة من سفن بخارية ومدّ خطوط سكك الحديد إلى تطور كبير في رحلة الحج، وتغير جذري في الطابع الاجتماعي والاقتصادي للرحلة. كما أدى إلى تراجع الدور التنظيمي المركزي لـ "أمير الحج" الذي كان يمثل السلطة السياسية المركزية (العثمانية أو المحلية)[3].

كانت الإدارة الاستعمارية تدرك أن رحلة الحج بوصفها نقطة اتصال رئيسية بين المسلمين، تشكل تهديدا لسلطتها، فقد كانت الحجاز ساحة لالتقاء النخب المغاربية بالمفكرين والإصلاحيين من المشارقة أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم، حيث تتبادل الأفكار المناهضة للاستعمار. لذلك سعت إلى تفكيك المؤسسات التقليدية التي كانت تنظم حياة المجتمع، ومنها تنظيم قوافل الحج، وإنشاء أنظمة للتأشيرات –جواز السفر- التي سمحت بمراقبة حركة الأفراد وتحديد هوياتهم، مع قطع الروابط بين مغاربة تحت السلطة الاستعمارية والدولة العثمانية التي كانت تمثل رمزا للخلافة الإسلامية، مما يسهم في عزل المنطقة عن مركزها الحضاري.

في هذا السياق يمكن قراءة هذا المقال على أنه ليس مجرد تسجيل تاريخي وفقط، بل محاولة لاستعادة الذاكرة الجماعية وإبراز الهوية الإسلامية المغاربية المستقلة، بتوثيقه لرحلة الحج قديما، وتنظيمها الذاتي بعيدا عن الأطر الاستعمارية، كان يؤكد على جذور المنطقة العميقة الممتدة في تراث الأمة العربية الإسلامية. والتأكيد على استمرارية هذه الفريضة حديثا رغم كل الصعوبات، يؤكد رسوخ فكرة الهوية في وجه محاولات الطمس.

كتب عبد الوهاب بعد استقال تونس السياسي عن تاريخ "النقود العربية في تونس"، هذا المؤلف الذي كان الغرض منه في الظاهر الاستجابة لطلب صديقه الهادي نويرة مدير البنك المركزي التونسي آنذاك، ويهدف

---

1 - المرجع السابق، ص8.

2 - الشيباني بنبلغيث، **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، مكتبة علاء الدين، صفاقس- تونس، 2008، ص120.

3 - "أمير الحج" أو "أمير الركب"، يعين عادة من طرف أمير البلاد، وينتخبه عادة من بين أعيان العلماء أو أفاضل الصلحاء المشهورين بالدين والتقوى، يرافق الحاج من أبناء وطنه ويشرف عليهم حالة سفرهم ذهابا وإيابا ويقضي بينهم إن وقع خلاف كما أنه يكلف غالبا بحمل صرة الصدقات والعطايا المعينة للحرمين الشريفين.ينظر، المرجع السابق، ص6.

إلى تكوين مجموعة شاملة عن تراث المسكوكات التونسية لتعرض في إحدى القاعات لمصلحة المالية حتى يتضح تواصل مهمة البنك لمركزي من أقدم عصور التاريخ إلى الآن[1].

ولئن ذكر عبد الوهاب أنه «قد كتب هذا تأييدا لفكرته، وتقديرا لعزيمته–صديقه–»[2]، فإنه لا يمكن تجاهل الغرض الرئيسي الذي قصده الهادي نويرة، وهو هدف سياسي وليس تاريخيا أو فنيا فقط. لقد سعى من خلال هذه الاستجابة إلى إبراز أن الدولة التونسية من أقدم العصور كانت لها عملتها، وهي بذلك لها تاريخها النقدي، ومؤسساتها النقدية[3]، وبالتالي فهي ليست بحاجة إلى غطاء نقدي أجنبي.

والجدير بالذكر أن عبد الوهاب في مختلف كتاباته هذه، كان يرجع إلى المصادر العربية الإسلامية، والمؤكد أنه عندما عين على خزانة المحفوظات سنة 1920م–الأرشيف العام– [4]، قد استثمر ذلك كمصادر في بحوثه.

ثانيا: التأليف في مجال اللغة والأدب

تميزت جهود حسن حسني عبد الوهاب في مجال التأليف اللغوي والأدبي بمنهجية تجمع بين الدقة الأكاديمية والوضوح التربوي، مما جعل مؤلفاته وتحقيقاته مرجعا أساسيا في حقول النحو والصرف والبلاغة، فضلا عن التحليل الأدبي.

غلب السجع على أسلوب عبد الوهاب الأدبي، فجل كتاباته يغلب عليها المحسنات البديعية، فلم يستطع قلمه أن يخرج عن هذه المحسنات إلا نادرا جدا. فحذقه لأساليب البيان أمكنه من أن يجدد ما انْدرس من أساليب الكتابة، وأن يبين ما طُمس من معالم البيان، بلغة فصيحة قلما تمكن منها غيره.

وإن أردنا أن نلاحظ كل تلك الخصائص والميزات سنجدها في الفقرة التي عرف بها علم الأدب عند العرب قائلا:«إن البحث في آداب أي شعب من الشعوب لمن أهم الوسائل وأعظم الأسباب لفهم تاريخه السياسي، والاجتماعي، والأخلاقي، وقد تتشابه الأمم البشرية بطباعها، ومداركها في كثير من الوجوه وإن اختلفت في بعضها، ولذلك جاءت آدابها متشابهة في مواضيعها ومناحيها من تباين يميز كل أمة عن سواها، فآداب اللغة عند الشعوب قديما، وحديثا مؤلفة من الشعر، والنثر. والنظم ينقسم إلى مواضيع كثيرة من حماسة وفخر ووصف ورثاء وحكم ومواعظ وما إلى ذلك، ولم تخلُ أمة من الشعراء والخطباء على تفاوت في الإجادة واختلاف في الأسلوب.

1 – حسن حسني عبد الوهاب، الورقات، ج1، ص397.

2 – المصدر نفسه.

3 – للمزيد حول هذا البحث، ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **النقود العربية في تونس**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1968م

4- A.N.T, S-E, C02, D18/1, P13.

والأدب عند العرب يشتمل كل ما يصلح العقل واللسان، وبهذا الفكر، والأذهان، والمقصود منه التوصل إلى إجادة النظم والنثر على طريقة العرب، وتحصيل ملكة الكتابة الرشيقة والكلام الفصيح»[1].

ففضل حسن حسني عبد الوهاب على النهضة الأدبية قائم على أعماله الفكرية، وآثاره الأدبية، فهو واحد من أولئك الذين حرّكوا الركود الأدبي في تلك الحقبة الزمنية، فقاموا بنشر تراث الأمة الأدبي واللغوي، وكان أدبهم مثالا حيا للأدب الأصيل الذي أنتجه أبناء هذه الأمة عبر العصور التاريخية المختلفة.

إن إنتاج حسن حسني عبد الوهاب الأدبي الذي يتمثل معظمه في "مجمل تاريخ الأدب التونسي" وفي "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية" وفي "بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق" ليعد أدبا عميق المعاني، ويمتاز بنصاعة اللفظ، وكثرة الملح والنكات والفكاهة الخفيفة، وهو أقرب إلى تاريخ الأدب منه إلى مفهوم الأدب بالمعنى الحديث.

والملاحظ أن هذا الإنتاج يتمثل معظمه إما في تراجم رجالات أدبية، وإما في دراسات أدبية عن بعض عصور الأدب التونسي، ولعله من الأفيد أن نلاحظ أنه من الدواعي التي جعلته يولي هذا الميدان بعنايته ما أشار إليه في (كلمة المؤلف) من كتابه"مجمل تاريخ الأدب التونسي"[2]حين قال: «منذ عهد بعيد شعرت بالفراغ الكبير الذي ألم بالأدب التونسي ولم يزل به حتى تُنسي عهده، وانقطع رفده، وذبل رنده وخَبا زنده، وأغمد فرنده وقد كان رياضًا ناضرة وزهورا عاطرة، وظلالا وارفة، وأمثالا سائرة، وآيات ساحرة، ونجوما زاهرة، إلا أن هذا الفراغ في الحقيقة ونفس الأمر علة عارضة ناشئة عن ضمور العلم، وانعكاس الفهم، وكرور الفتن وتوالي المحن، وتعاقب الحكومات، وتزلزل النظامات، واطراد البوائق وتوارد العوائق إلى غير ذلك من الموبقات المهلكات، المفضيات إلى انطماس المعالم، وانتشار المظالم، وكم الأفواه وأخراس الألسن، فانقطع السبب، وضاع الأرب وذوت أفنان الأدب.. والآن لما استقرت الأحوال، وحسن المثال، وتحقق المآل، تحتم على دعاة النهضة وأدلاء التقدم أن يسارعوا إلى سد ذلك الفراغ وترويض القرائح، بطرق الآداب والنصائح، وإعادة ما فقد من مآثر السلف للخلف، وهم يحسنون بذلك صنعا، ويجزلون نفعا»[3].

يحتوي كتاب مجمل تاريخ الأدب التونسي على ترجمة نحو الستين أديبا ممن نشئوا في أرجاء البلاد التونسية، مقسمين حسب التسلسل الزمني للعصور، من الفتح الإسلامي حتى النهضة الحديثة. وقد تخير عبد الوهاب من نثرهم ونظمهم ما يلائم أصول التربية والتعليم والذوق السليم، والقصد من ذلك هو طرح أمام الناشئة نموذجا

1 – حسن حسني عبد الوهاب، **مجمل تاريخ الأدب التونسي**، مكتبة المنار، تونس، 1968، ص 13.

2 – ظهر هذا الكتاب لأول مرة بتونس في خلال سنة 1917م، بعنوان: **"المنتخب المدرسي من الأدب التونسي"**، وعندما أعادت "مكتبة المنار" نشره استبدلت اسمه ربما كان أدلّ على موضوعه وغايته وهو **"مجمل تاريخ الأدب التونسي"**. للمزيد ينظر. حسن حسني عبد الوهاب، **مجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لافريقية إلى العصر الحاضر**، مكتبة المنار، تونس، 1968، (تصدير).

3 – حسن حسني عبد الوهاب، **مجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لافريقية إلى العصر الحاضر**، المصدر السابق، ص ص09-10.

صالحا لما كان لسلفهم من المنازل السامية في العلم والأدب والتهذيب. يقول عن ذلك: «أتقدم بها إلى ناشئتنا المباركة واجعلها مثابة بين أيديهم يرجعون إليها في النهوض بالآداب، وإيقاظ الألباب، وإحكام النقول، وترويض العقول، وإصلاح اللسان، وإجزال البيان، وإشعارا وتنبيها لما كان لسلفنا الصالح من الكد والعناء وإنضاج الفكرة وتدوين الآيات والعبرة، ونسق الكلم، ونثر الحكم، وإذاعة المعارف، وإسداء العوارف وإنماء العواطف وارساخ المبادئ، وبذل الأيادي، وفوق ذلك إقامة الدليل على ما للغتنا الشريفة من غزاره المادة ووفور المعاني.. »[1].

كما أن الكتاب يعد محاولة منهجية رائدة تجمع بين التوثيق التاريخي وإحياء التراث العربي الإسلامي، حيث يعد عملا تأسيسيا في الكتابة التاريخية الأدبية التونسية. وقد سعى عبد الوهاب من خلاله إلى توثيق الذاكرة الأدبية المحلية كامتداد طبيعي للتراث الحضاري العربي الأوسع. وجاء هذا العمل في سياق تاريخي تمثل في فترة الاستعمار، مما أضفى عليه بعدا يعمق الهوية إلى جانب القيمة العلمية.

وفي الحديث عن جدارة مثل هذه المواضيع بالعناية والتنقيب، يرجع عبد الوهاب ذلك لأمرين مهمين: (الأول) اشتراك هؤلاء الفطاحل–المترجم لهم– في إنشاء النهضة الإسلامية التي مازالت مدار افتخارنا وتباهينا بين الأمم. فالبحث عنهم بحث في أصل تلك النهضة وعوارضها ومكملاتها. والبحث عنها مدعاة لرجوعنا إليها واستئناف خطة السير.

(الثاني) بُعد عهدهم منا وتشتت أنبائهم وآثارهم في مختلف الجهات، والعثور عليها في كل آونة يعسر كثيرا على الموسر من الباحثين فكيف بالمعسر منهم؟. وما كان أشد سروره حينما يقع على نبذة من تراجم أولئك النبغاء، أو يعثر على طرفة من آدابهم فيعمد إلى انتقائها وتدوينها حتى اجتمع لديه من ذلك طائفة صالحة يحصل بها النفع.

ولم يقف دور حسن حسني في التأليف في مجال التربية والتعليم هنا فقط، بل نجده يسجل عدة مقالات في منتصف الأربعينات لمجلة الثريا، تحت عنوان"صدور الأفارقة"[2]، وهذا العنوان هو على ما يبدو العنوان الأصلي لكتاب "العمر"، كما كتب في نفس المجلة عن آل الشقراطسي[3]، تلك العائلة التي عرفت بالتمكن في علم الأب والشعر، هذا إلى جانب نشر الكثير من المقالات في مجلات عديدة. كالندوة[4] التي زودها بسلسلة مقالات بعنوان "معاهد التعليم الكبرى بإفريقية" ضمنها دراسة لدور المسجد الجامع بالقيروان، والمسجد الجامع بتونس(جامع الزيتونة).

---

1 – المصدر السابق، ص10.

2 – مجلة الثريا، ماي 1944، ص65.

3 – للمزيد عن تلك العائلة، وعبد الله الشقراطسي(أبو محمد) بالخصوص، ينظر، محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط02، ج03، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص204.

4 – للمزيد ينظر، مجلة الندوة، العدد 01 و05، عام 1953م.

ونشر بعض الدراسات والتحقيقات اللغوية كـ"الجمانة في إزالة الرطانة"، وهو بحث في لغة التخاطب في حاضرة تونس والأندلس في القرون الثامن والتاسع والعاشر للهجرة، جاء في توطئة هذا المؤلف: «من بين كتب آداب اللغة العربية يوجد صنف من التآليف غزير المادة كبير الفائدة للباحثين عن أصول اللغة وتطورها في خلال العصور التي انتشرت فيها لغة الضاد من سيف آخر المغرب الأقصى إلى أطراف المشرق، ونقصد بذلك التصانيف الموضوعة فيما يسميه النحاة(لحن العامة أو خطأ العوام)»[1].

لم تذكر لنا كتب طبقات الرجال والتراجم مؤلف هذه الرسالة، وغاية ما نعلمه من أمره أنه يلقب "بابن الإمام" وأنه كان يعيش بحاضرة تونس أواخر القرن التاسع أو أوائل العاشر للهجرة. ويصف ابن الإمام مؤله هذا بالقول: «أمّا بعد فهذه أوراق ذكرت فيها ما حضرني مما غُير من كلام العرب مما يكثر في الأشعار والأخبار دوره ويقبح جهله، وأردفته أيضا بذكر ما أهملوه من الأسماء الفصيحة في المعاني المتداولة والألفاظ العربية، وسميته لذلك(الجمانة، في إزالة الرطانة)»[2].

وجدير بالذكر أن أول أقصوصة تونسية نشرت في سنة 1905م بعنوان "السهرة الأخيرة بغرناطة"، كان مؤلفها حسن حسني عبد الوهاب، هذا النمط الأدبي الجديد آنذاك على الوسط التونسي الذي لم يعرف القصة بعد في مفهومها الحديث[3].

لقد أتقن حسن حسني عبد الوهاب فن كتابة القصة من وصف وتكثيف عقدة وخاتمة، كما أثراها بالمشاهد الحية والوصف الدقيق، ورسم شخوصها ببراعة، وبغض النظر عن اللغة–الفرنسية– التي كتبت بها هذه الأقصوصة ودوافع ذلك، فإن موضوعها كان مستوحى من اهتمامات المؤلف بالتاريخ، ومستمدا من صميم الحياة العربية الإسلامية في الأندلس، تلك التي كان الكاتب نفسه جزءا من تراثها، باعتباره نسبة أسرتهم إلى العائلات المهاجرة من الأندلس، حتى ليخيل للمتمعن في أبعاد هذه القصة أنها كانت صورة من خيال الكاتب عن مأساة أجداده، وما تعرضوا له من نكبات ومصائب في ذلك الفردوس المفقود.

وفي الأخير ينبغي أن نشير إلى أن معظم هذه المقالات والأعمال أعاد حسن حسني عبد الوهاب نشرها بعد الاستقلال خاصة في كتابه الورقات.

---

1 – ابن الإمام التونسي، **الجمانة في إزالة الرطانة**، تح، تع، حسن حسني عبد الوهاب، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة– مصر، 1953م، (توطئة).

2 – المصدر نفسه، ص01.

3 – مجموعة من الباحثين، **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، بيت الحكمة، تونس، 1993، ص32.

ثالثا :التأليف في مجال التربية والتعليم.

حين وقعت تونس تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي، وضع المحتلون مناهج للتعليم لا تستمد عناصرها من مكونات الأمة الثقافية، بل جعلوا من الفرنسية لغة التعليم وأداة المعرف العامة، وأبقوا على العربية بعيدة عن ربط المتعلم بماضيه الحافل وتوثق علاقته بثقافته العريقة[1].

سعت الإدارة الاستعمارية إلى تكبيل التعليم في تونس بكل الأشكال والطرق، ومحاصرة مؤسساته ومحاولة الحد من نفوذها، وتحويل مهمتها إلى تخريج موظفين صغار يقومون بالترجمة الضرورية في المؤسسات الحكومية لتسيير شؤونها وتمرير ترسانة قوانينها.

لقد كان التعليم والتعلم في الإيالة التونسية مطلبا شعبيا منذ فترة ما قبل الاحتلال للبلاد، ويتجسد ذلك من خلال الدور الذي كانت تقوم به الجامعة الزيتونة بمختلف فروعها في مختلف أنحاء تونس كتعليم تقليدي أصلي، ثم بمدرسة باردو الحربية وخاصة المدرسة الصادقية منذ تأسيسها من طرف خير الدين باشا الوزير الأكبر على أيام محمد الصادق باي عام 1874م، والتي اهتمت في المقام الأول بتدريس العلوم العصرية وساندتها في ذلك الجمعية الخلدونية التي تأسست عام 1896م، إلى جانب العديد من المدارس والمعاهد والجمعيات التي تأسست بغرض علمي وتعليمي.

استهدفت الإدارة الاستعمارية بالأساس المؤسسات التعليمية التقليدية وفي مقدمتها جامع الزيتونة، وسعت طوال فترة سيطرتها على البلاد التونسية إلى فرض سياستها التربوية على الزيتونة وإفراغها من محتواها الثقافي لتهميشها وإخماد صوتها، باعتبارها معقلا من معاقل الثقافة وحصن للهوية ضد تسرب الفكر الاستعماري والتأثير الفرنسي في البلاد التونسية، فتعمدت القوات المحتلة إلى تضييق الخناق على التعليم الزيتوني والتقليل من موارده المالية، ومحاولة إدماج مناهجه ضمن الإطار التعليمي الفرنسي.

غير أن هذه المؤسسة العريقة بما لها من جذور عميقة ورصيد علمي متجذر، أبدت قدرا كبيرا من المقاومة والصمود، وتمكنت من الحفاظ على مكانتها العلمية والدينية. حيث واصل شيوخها وأساتذتها أداء رسالتهم التعليمية والتربوية، مع الحرص على توجيه الناشئة نحو التمسك بالتراث العربي الإسلامي. في ذلك السياق من الضغوط على التعليم التقليدي وخاصة على جامع الزيتونة، برزت شخصية حسن حسني عبد الوهاب باعتباره أحد أبرز المدافعين عن التراث العربي الإسلامي وأهميته في تكوين الأجيال وكشخصية كان لها مساهمة في لجنة إصلاح التعليم الزيتوني[2].

---

1 – اهتم الاحتلال الفرنسي بالتعليم فأحدث له إدارة مركزية خاصة به منذ 1883م، وهي الإدارة العامة للتعليم العمومي، ووضع على رأسها معلما عارفا باللغة العربية والقضايا الإفريقية، المستشرق لويس ماشويل(Louis Machuel) ولقد توجهت هذه الإدارة إلى تكبيل التعليم في تونس ومحاصرة مؤسساته، ينظر، شارل أندري جوليان، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، مرجع سابق، ص08.

2 – ينظر، جلول ريدان، **حسن حسني عبد الوهاب**، المرجع السابق، ص341.

عمل عبد الوهاب على الدفاع عن حرمة الزيتونة وخصوصياته، وكان يؤكد على أن مشروع الإصلاح في جامع الزيتونة سابق للفترة الاستعمارية، إلا أن الإصلاح كان من خارج الجامع فتأسست المدرسة الحربية ثم المدرسة الصادقية فالجمعية الخلدونية. ويعكس هذا الموقف أن عبد الوهاب لم يكن متحمسا للإصلاح من داخل الجامع الأعظم، فمهمته وغايته هي المحافظة على الدين واللغة، والتقاليد الإسلامية العربية، وأن له وحده الفضل في بقاء ذلك كله ثابتا حيا على كر العصور والدهور. فجامع الزيتونة بالنسبة لعبد الوهاب هو مصدر الوجود والحياة والثبات للأمة التونسية في مواجهة تيار العصرنة والتجديد، المهدد لمكونات هذه الأمة وتراثها تحت الهيمنة الاستعمارية[1].

إن المتتبع لسيرة حسن حسني عبد الوهاب، يلاحظ وعلى الرغم من توليه الوظائف الإدارية، إلا أنه زاول نشاطا علميا وتربويا متميزا، حيث انتدب لتدريس مادة التاريخ بين عام 1905م وعام 1924م في الجمعية الخلدونية، وكان ذلك على يد رئيسها محمد الأصرم، كما انتدب لنفس الغرض أيضا في المدرسة العليا للغة والآداب العربية من سنة 1913م إلى سنة 1924م. هذا ما مكنه من بث روح البحث لدى الطلبة، وتوجيههم إلى دراسة تراث الأمة باعتباره أحد المصادر المهمة في التاريخ وربط حاضر البلاد التونسية بماضيها.

سعى حسن حسني عبد الوهاب من خلال منابر التدريس تلك، إلى الحفاظ على الموروث الثقافي، وكذا المساهمة في نشر جهود السابقين في مجال التربية والتعليم، وذلك لمواجهة السياسات التي تسعى إلى طمس الهوية، إذ أنه يعتبر التفوق المادي للغرب ليس إلا مسألة وقت، شرط أن ينكب النشء على دراسة تاريخ أمجاد أجداده المسلمين، ومواطن تفوقهم التربوي والعلمي عبر التاريخ.

ومن أبرز المؤلفات التي تركها لنا في مجال التربية والتعليم، تحقيقه لـ"كتاب آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون، ذلك الكتاب الذي يعد من إرهاصات الفكر التربوي الإسلامي[2]، صاغ فيه صاحبه مناهج التلقين الواجب على الأستاذ معرفتها، دون إغفال دور التلميذ، ودمجهم في المسار التعليمي.

لقد كان اختيار عبد الوهاب لهذا العمل قائم على تلك الفوائد التي يمكن الرجوع إليها في تنظيم التعليم أو تدوين أحكامه في القطر التونسي الذي لم يزل في عصر تكوينه آن ذاك. وفي وقت حرمت فيه الناشئة التونسية من تاريخ بلادها بوجه خاص، والتاريخ الإسلامي بوجه عام، إذ كانت السلطات الاستعمارية تسعى إلى فصل التونسيين عن أمتهم، من خلال طمس هويتهم العربية الإسلامية، وإدماجهم في البوتقة الفرنسية، فلم يكن يدرس سوى تاريخ فرنسا وجغرافيتها في المدارس الحكومية.

---

1 – المرجع السابق، ص341.

2 – يعتبر "كتاب آداب المعلمين" الذي دونه محمد بن سحنون(817هـ/870هـ) عن أبيه الإمام عبد السلام سحنون من أقدم وأمتع الكتب في التربية والتعليم في الإسلام، وله فضل السبق على كل ما ألف بعده من رسائل وكتب تربوية عديدة، وقد حقق حسن حسني هذا الكتاب، وراجعه وعلق عليه محمد العروسي المطوي. ينظر، محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، مر/ تع، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.

في تلك الظروف ألف عبد الوهاب كتابه "خلاصة تاريخ تونس"، ذلك الكتاب الذي هو مختصر مدرسي يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر مع تراجم للنابغين من رجاله، لسد جزء من ذلك الفراغ الذي تحتاجه الناشئة التونسية التي جبلت على حب تاريخ بلادها، والشغف بأخبارها[1].

المبحث الثاني: إحياء التراث من خلال الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية.

المطلب الأول :حركة الترجمة في العهد الاستعمار.

شكلت حركة الترجمة خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وتونس ركيزة أساسية في مشروع الهيمنة الاستعمارية، حيث تحولت من مجرد وسيلة اتصال وتواصل إلى أداة سياسية وثقافية لضبط وتأطير المجتمع والسيطرة على مقدراته.

لقد واجه المستعمرون الفرنسيون عند مباشرتهم الحملة على المنطقة عقبة كبيرة تتمثل في الحاجز اللغوي والثقافي، والذي حال دون تفاعلهم مع المجتمعات المحلية، ومعرفة طريقة تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وكذا الوصول إلى أملاك الدولة وكنوزها التراثية، مما دفعهم إلى تطوير آليات منهجية لاستيعاب المنظومة الثقافية والاجتماعية من خلال الاعتماد على المترجمين والوسطاء المحليين[2].

واعتبرت الترجمة[3] إحدى الآليات الأساسية للجيش الفرنسي من أجل السيطرة على المنطقة، ولتفعيل تلك الآلية سارعت إدارة الاحتلال إلى تجنيد فرقة من المترجمين أطلق عليها " فرقة المترجمين العسكريين"، ضمت عناصر متنوعة من أصول عربية مشرقية ويهود محليين وأوربيين مقيمين، ممن أتقنوا العربية واللهجات المحلية، هدفهم من ذلك في أول الأمر التواصل مع أهل المنطقة[4].

---

1 – بادر رجال الإصلاح في تونس منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى تلافي النقص لدى الناشئة، بإدراج تاريخ تونس في برامج الجمعية الخلدونية التي أسسوها سنة 1896م، وتدريسه باللغة العربية، ومن هؤلاء الرواد البشير صفر، محمد بن الخوجة، الصادق الزمرلي، عثمان الكعاك، حسن حسني عبد الوهاب. ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، تق، تح، حمادي الساحلي، ص 05.

2 – استفاد الفرنسيون في الجزائر من تجربتهم في مصر خلال حملة نابليون الفاشلة، وكان بقايا المترجمين في تلك الحملة هم الذين تولوا الترجمة لجيش دي برمون قائد الحملة. ينظر، أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**، ج04، ص ص22-23.

3 – نعني بذلك الترجمة من العربية إلى الفرنسية، وهذا يتضمن نقل الوثائق المكتوبة، من رسائل وعقود ملكية وكراء وأوقاف وعرائض، ثم الكتب والمصادر عموما، كما يتضمن الترجمة الشفوية في الاتصال اليومي في المكاتب العربية والأسواق والمحاكم والمعسكرات. فالترجمة هنا تعني النقل الكتابي والشفوي من العربية المكتوبة (الفصحى أو غيرها) والدارجة الشفوية فقط. حول هذا الموضوع، ينظر ، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجائر الثقافي**، ج06، المرجع السابق، ص144.

4 – أورد شارل فيرو قائمة بأسماء بعض المترجمين الذين شاركوا في الحملة العسكرية، منهم:

– جورج غروي: من مواليد دمشق، كان يتكلم العربية بطلاقة، عرض خدماته على دي بورمون قائد الحملة ورافقه إلى الجزائر. وعندما وصلت السفن إلى سيدي فرج نزل إلى البر وأخذ يوزع البيان الذي أعده الفرنسيون بالعربية ووجهوه للجزائريين، وكان غروي يطلب من الجزائريين التفاوض مع فرنسا. =

ويعد قادة الحملة الفرنسية أول من فتح عهد الترجمة، وقد استعانوا بتلك الفئات المذكورة سابقا، أو اللذين وفرتهم مدرسة اللغات الشرقية بفرنسا، تلك التي كانت جزءا من آلة الاستعمار الثقافي، وأداة لتخريج مترجمين وإداريين لخدمة ذلك المشروع، من خلال تكوين مدرسين للغة العربية(الفصحى والدارجة)، وتأهيل مترجمين يعملون على ترجمة القوانين والمراسيم، والتواصل المباشر مع السكان المحليين وجمع المعلومات[1].

وما إن تمكن المحتلون من إخماد الثورات الشعبية في الجزائر، والسيطرة على أهم المدن الكبرى، حتى سارعوا إلى جمع كنوز التراث من وثائق ومخطوطات كانت تعج بها ربوع البلاد، وإنشاء مكتبة عمومية من المخطوطات العربية، ثم اشتغلوا بدراستها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية والتأليف استنادا عليها[2].

ركزت الإدارة الاستعمارية خلال المرحلة الأولى من الاحتلال على معرفة السكان والاتصال بهم عن طريق معرفة العامية، فظهرت من أجل ذلك عدة قواميس وكتب منها: كتاب جوني فرعون المسمى النحو الابتدائي للعربية الدارجة، و"الموجز" لبرينييه الذي حدد فيه خصائص اللهجة الجزائرية العربية وأعطى فيه تفصيلا عن حياة السكان. كما كرس المترجمون في هذه الفترة جهودهم على التاريخ المحلي والجهوي، والدراسات الاجتماعية والاثنية (السلالية) والطبوغرافية للمدن والمناطق، كما اهتم آخرون بالمرأة ومسألة تعدد الزوجات، وقضية الرق في الإسلام، والتعصب الديني[3].

والملاحظ في هذه المرحلة أن دور هؤلاء المترجمين لم يقتصر على التواصل والوساطة بين سكان المنطقة والمحتل والنقل اللغوي، بل تجاوزوه إلى التجسس وجمع المعلومات وفك رموز الخطابات السياسية والدينية، وترصد نبض الشعب، ورصد المعالم الحضارية والفكرية والثقافية، مما أسس لما عُرف بـ"المعرفة الاستعمارية" التي مكنت فرنسا من اختراق المجتمع.

= – **جان شارل زكار**: ولد في سوريا سنة 1789م، وانتقل إلى فرنسا وأصبح قساً في كنيسة القديس نقولا في مرسيليا. وقد قام بترجمة البيان الفرنسي الموجه للجزائريين إلى العربية بالتعاون مع المستشرق سيلفستر دي ساسي وبيانشي. ويقال أن زكار كان المحرر الرئيسي للبيان، لذلك سمي مترجماً للحملة، توفي سنة 1852م.

– **أبراهام دنينوس**: من مواليد الجزائر سنة 1797م، وقد تجنس بالجنسية الفرنسية قبل الحملة، كان يشغل وظيفة مترجم في محكمة التجارة في باريس، وسبق أن كتب معجما بالعربية والفرنسية، وزعه المسؤولون على ضباط الجيش في الجزائر. ولمعرفته بالبلاد سمي "المترجم الدليل" للحملة سنة 1830م، توفي سنة 1872م.

– **جوني فرعون**: ولد بالقاهرة في سنة 1803م، كان مترجما لقادة الاحتلال ومنهم دو روفيقو، وهو الذي افتتح دروس اللغة العربية (العامية) للفرنسيين، ألف عدة كتب في اللسانيات، التاريخ والتشريع في الجزائر، توفي سنة 1846م. للمزيد حول هذه القائمة ينظر، سعد الله، ص145 وما يليها.

1 – بليل وداد، **الترجمة في الجزائر إبان الإبان الاحتلال الفرنسي 1830–1962**، أطروحة دكتوراه علوم، إ.ش، لخضر عيكوس، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2017/2016، ص123.

2 – ينظر، محمد الصالح بكوش، " دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر"، مجلة أول نوفمبر، ع170، الجزائر، 2007، ص ص18–27.

3 – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج06، ص42

لقد أدركت إدارة الاحتلال قيمة الترجمة، لذلك سخرت كل ما تستطيع من وسائل مادية وطاقات بشرية من أجل فهم المصطلحات القضائية ونقل القوانين المحلية ودراستها مقارنة بالنظام الفرنسي، كما عملت على تشكيل أول تنظيم للمترجمين العسكريين سنة 1842م، في عهد الجنرال بيجو[1].

أما خلال المرحلة الثانية، وابتداء من سنة 1880م، عرفت الترجمة شكلا أكثر تنظيما وتخطيطا بعد انضوائها تحت مدرسة الاستشراق، وظهور مترجمين فرنسيين محترفين تخرجوا في العادة من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، أو تكونوا في مدرسة اللغات بالجزائر. كما ظهر إل جانب هؤلاء مجموعة من الجزائريين تكونوا في المدرسة الأولى التي أنشأها الفرنسيون، وكان بعض هؤلاء قد ساهموا في الحياة الثقافية مثل بلقاسم بن سديرة والهاشمي بن الونيس، عمر(سعيد)بوليفة، محمد بن أبي شنب.

وفي عهد الحاكم العام جول كامبون، تأسست "لجنة ترجمة الكتب العربية" سنة 1894م، الغرض منها هو إعداد وترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية وخاصة الكتب المدرسية، تتألف هذه اللجنة من أساتذة فرنسيين في اللغة العربية من مدرسة الآداب ومدراء المدارس الثلاث، ومن مترجمين عسكريين تابعين للحكومة العامة، مهمتها ترجمة مجموعة من الكلاسيكيات العربية في الفلسفة والنحو والتاريخ والفقه، وكان ترجمة ونشر محمد بن أبي شنب لبعض المؤلفات داخل ضمن هذا المشروع[2].

أما في تونس فقد تميز المشهد بتجنيد واسع للمترجمين من الجالية اليهودية بتونس، الذين شكلوا حلقة تواصل بين الإدارة الاستعمارية والسكان المحليين، نظرا لإتقانهم اللغتين العربية والفرنسية ومعرفتهم بالخصوصيات الثقافية للسكان، كما لعبت الجاليات الأوروبية مثل المالطية والإيطالية دورا بارزا في حركة الترجمة، حيث عمل العديد منهم كوسطاء ثقافيين وسماسرة لغويين.

اتخذت حركة الترجمة في تونس طابعا مؤسسيا أكثر منهجية مقارنة بالجزائر، حيث ارتبطت ارتباطا وثيقا بمشروع الإصلاحات والإدارة الاستعمارية، فقد أسست سلطة الحماية الفرنسية "مكتب الترجمة الرسمي" التابع للإقامة العامة، الذي تولى مهمة ترجمة الوثائق الرسمية والقوانين بين العربية والفرنسية، مع إعطاء الأولوية للنص الفرنسي كمرجعية قانونية ملزمة[3].

كما لعبت الجمعية الخلدونية كمؤسسة ثقافية تعليمية، دورا كبيرا في حركة الترجمة، وقد أيدها في ذلك النخب الإصلاحية، ووقف ضدها المحافظون الرافضون للإصلاح يتقدمهم شيخ الإسلام الحنفي أحمد بيرم. ولقد

1 - المرجع نفسه، ص157.

2 - المرجع نفسه، ص98-99.

3 - محمد مواعدة، **حركة الترجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب(1840-1955)**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986، ص82.

عملت الجمعية زيادة على مهامها التدريسية على ترجمة مختارات من الكتب الغربية، وقد قام بهذه المهمة أطراف من هيئتها التدريسية أمثال محمد الأصرم، والبشير صفر، وعلي بوشوشة..وغيرهم[1].

سعت السلطة الاستعمارية من خلال الترجمة والتدريس العصري إلى وضع أسس هياكل ثقافية-غربية- تحل بالبلاد كنسيج ثقافي جديد يهدف إلى اختراق النسيج الثقافي التقليدي للمجتمع التونسي المبني على العلوم الدينية والتمسك بالتراث العربي الإسلامي، وإلى تهيئة نخبة تكون في نفس الوقت قطب وصل بين المؤسسات التعليم التقليدية والهياكل الجديدة خاضعة لرقابة الدولة، وتسهيل انسياق الثقافة الاستعمارية باعتبارها جزءا من المشروع الاستعماري الأكبر[2].

فهل أدرك محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب منذ وقت مبكر الدور الاستثنائي للترجمة والذي يتجاوز مجرد النقل اللغوي البسيط إلى فهمها كأداة حيوية لإحياء التراث وتجديده؟ وأن جهدهما في الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية كان ضمن ذلك السياق التاريخي للنخب التي ساهمت في تسهيل انساق الثقافة الاستعمارية بالمنطقة؟

المطلب الثاني : إسهامات محمد بن أبي شنب في الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية.

رسم محمد بن أبي شنب عدة مسارات من أجل إحياء التراث العربي الإسلامي وبعثه من جديد، ومن تلك المسارات الترجمة والتأليف باللغة الأجنبية، فلم يكتف بالتنقيب والبحث في ذلك التراث، بل راح يروج له عن طريق الترجمة، ولسان حاله: أن الثقافة العربية والإسلامية وتراثها يرقيان إلى الثقافة الفرنسية بصفة خاصة والغربية بصفة عامة، وحرصا منه على أن يظهر ذلك التراث كما يليق بمقامه مستغلا كل فرصة مواتية.

لم يمتلك بن أبي شنب ثروة لغوية كبيرة في الآداب العربية فحسب، بل كان مُلما بالعديد من اللغات الأجنبية الحية والميتة، وقد ساعده ذلك في ولوج ميدان الترجمة الذي يعتبر خير مفتاح لمعرفة خبايا الثقافات وتحديثها، وهذا الأمر لا يتأتى إلا لخبير متمكن من اللغتين المترجم منها والمترجم إليها.

كتب بالفرنسية وترجم نصوصا من التراث الإسلامي إلى هذه اللغة، وأجرى مقارنات علمية بين الثقافتين. إن هذه الإسهامات تكشف عن مشروع فكري هدف إلى إبراز أصالة الثقافة العربية الإسلامية أمام الآخر، وفي الوقت نفسه إلى تثبيت قيمتها في ساحة البحث الأكاديمي الحديث.

1- التأليف بالفرنسية وإبراز التراث الشعبي واللغوي: أولى محمد بن أبي شنب عناية كبيرة بالكتابة بالفرنسية، إدراكا منه أن الخطاب الموجه إلى النخبة الأكاديمية الاستعمارية لابد أن يصاغ بلغتها، ومن أبرز ما ألفه كتابه حول الأمثال العربية الشائعة في الجزائر والمغرب المعنون: بـ"أمثال الجزائر والمغرب- Proverbes de

1 - المرجع نفسه، ص 84.

2 - جلول ريدان، **السياسات الثقافية للدولة الاستعمارية بتونس**، المرجع السابق، ص62.

l'Algérie et de Maghreb"[1]، يتكون هذا العمل من جزأين، طبع الجزء الأول سنة 1905م باللغة الفرنسية مترجما فيه 926 مثلاً في 302 صفحة، مرتبا مادته على الحروف المعجمية، والجزء الثاني طبع سنة 1906م بباريس في 308 صفحة، في هذا العمل جمع الأمثال الجزائرية والمغاربية وشرحها بالفرنسية، مبينا أبعادها القيمية والاجتماعية، كما عمل على مقابلة الأمثال العامية بأمثال الأدباء، وذكر رواياتها المختلفة وما يقابلها من الأدب الفصيح (نثره وشعره).

سعى بن أبي شنب من خلال هذه الترجمة للأمثال الشعبية إلى الإشارة لذلك الموروث الثقافي المشترك بين أقطار المغرب العربي، والوحدة الثقافية التي تميز حضارة الأمة العربية الإسلامية عن باقي الأمم، وردٌ صريح على السياسات الفرنسية التي تركت بصماتها بوضوح على اتجاهات البحث العلمي الذي تناول الثقافة الشعبية من خلال تغليب النظرة الاستعمارية الاستعلائية المستمدة من المركزية الأوروبية التي لا ترى في سكان المنطقة إلا أولائك المتخلفين.

إلى جانب ذلك، نشر سنة 1922م كتابه "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية– Mots Turks et persans conservés dans le parler algérien" وهي الرسالة الثانية لنيل شهادة الدكتوراه[2]، التي تدور حول اللهجة العامية الجزائرية وما علق بها من ألفاظ كالتركية والفارسية. مبينا كيف دخلت هذه المفردات إلى الاستعمال اليومي خلال العهد العثماني. وبذلك أبرز أن اللغة الشعبية ليست مجرد عامية مهملة، بل وعاء تاريخي يكشف عن طبقات التراكم الحضاري.

كما له مؤلف آخر عن الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر(مخطوط)، وهي دراسة ليست بعيدة عن الدراسة الأولى، فهي تبحث في الألفاظ الإيطالية الباقية في اللهجة الجزائرية العامية.

2– الترجمة وتقريب التراث من الآخر: لقد نهج ابن أبي شنب في الترجمة منهجا يعتمد على ترجمة كل كلمة إلى اللغة الفرنسية(الترجمة الحرفية)، مع زيادة وشرح وتفصيل في بعض الكلمات، ونبذة عن المؤلفين الذين تناولهم، والاختصار في بعض الكلمات الأخرى وجعلها كرموز مثل:

- Aucunement أصلا (أص).
- Fin انتهى (أه)

1 - M.Ben Cheneb, **Proverbes de l'Algérie et de Maghreb**, Maisonneuve et Larose, Paris, 1906.

2 - Mohammed Ben Cheneb, **Mots Turks et persans conservés dans le parler algérien**, thèse complémentaire présentée et soutenue devant la faculté des lettres d'Alger en vue du Doctorat ès Lettres, ancienne maison bastide-Jourdan, jules carbonel, Alger 1922, p11.

- Que Dieu lui soit miséricordieux رحمة الله (ر ح) [1].

وقد اعتمد في ترجمته مختارات من هذا التراث إلى اللسان الفرنسي عبر منهج علمي دقيق لتيسير نقله وتعريفه للعالم انطلاقا من بعثه من جديد ثم نقله إلى القارئ عبر الترجمة، تلك المختارات كانت تحمل دلالات كثيرة منها: الإشارة إلى القيم التي يكتنزها التراث العربي الإسلامي، وتغيير نظرة العالم الغربي عن العالم الشرقي وتراثهم الذي حاول بعض المستشرقين تشويهه.

وفيما يلي نذكر بعض النماذج من أعمال الترجمة التي قام بها محمد ابن أبي شنب خلال مسيرة حياته، من أبرزها: ترجمته لـ"رسالة حول تربية الطفل- Lettre sur l'éducation des enfants" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م)، والتي ترجمها محمد بن أبي شنب للفرنسية، ونشرها بالمجلة الإفريقية سنة 1901م.

استهل بن شنب ترجمة الرسالة بمقدمة عرف من خلالها بأبي حامد الغزالي الذي اعتبره أشهر المسلمين القلائل الذين كتبوا في مجال تربية الأطفال، ولتأكيد مكانته العلمية أشار إلى الاهتمام الذي أولاه العلماء القدماء والمحدثون لهذه الشخصية أمثال: ابن خلكان، وابن الأثير، والمستشرقين كـ"هامر-Hammer"، و"شمولدرس-Schmolders"[2] وغيرهم. ثم قدم دراسة تحليلية قارن فيها بين تصورات الغزالي التربوية والنظريات الغربية الحديث في التربية.

وفي نفس السياق التربوي حقق وترجم كتاب "خاتمة في رياض الصبيان وتأديبهم وتعليمهم وما يليق بذلك"، لمؤلف مجهول، وجاء النص المترجم إلى الفرنسية تحت عنوان " Résumé d'éducation et d'instruction musulmane" نشر بالمجلة الإفريقية سنة 1897م [3].

أما عن الدراسات الأدبية المترجمة نجد التنقيب على "الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية- Sources musulmanes dans divine comédie" للكاتب والشاعر الإيطالي "دانتي إليغيري- Dante Alighiere"، وهي دراسة هامة باللغة الفرنسية نشرها محمد بن أبي شنب في المجلة الإفريقية[4]. ويعد هذا الكتاب من أوائل المؤلفات التي التفتت إلى التأثير الإسلامي في هذا العمل من خلال المقارنة بين "رسالة الغفران"للمعري، و"الكوميديا الألهية" لدانتي.

فضلا عن تلك الدراسات، كانت لمحمد بن أبي شنب إسهامات أخرى في الترجمة نوردها فيما يلي:

---

1 - يذكر أمام كل كلمة طريقة اختصارها، أي الحروف التي تؤخذ منها لتدل عليها، وكان يترجم كل كلمة إلى الفرنسية مع إضافات للشرح والتفصيل في بعض الكلمات. للمزيد ينظر، Mohammed Ben Cheneb, **Florilége**, op-cit, 2007, pp205-209.

2- Op-cit, p29.

3 - سبق وأن ذكرنا هذا المؤلف في عنوان: محمد بن أبي شنب ودوره في التأليف في مجال التربية والتعليم.

4 - Mohammed Ben Cheneb, "sources musulmanes dans la«divine comédie»", **R.afr**, vol 60, année 1919, p483.

ترجمة كتاب "التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله الشيخ خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصيير"، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي، المعروف بالفاسي المالكي (ت1096هـ/1684م)[1]، حملت الترجمة عنوان "أحكام المغارسة في الفقه المالكي/ La Plantation à frais communes en droit malékite"، نشرت الرسالة في المجلة الجزائرية التونسية المغربية في الفقه والتشريع بالجزائر سنة 1895م[2].

اشتمل الكتاب على مبحث أساسي وهو مبحث المغارسة، ومبحثين فرعيين هما: التصيير والتوليج. فأما مبحث المغارسة فقد اشتمل على بيان حقيقة المغارسة، وشروطها وصورها وأحكامها ومحظوراتها، وأما مبحث التصيير، فهو أن يعطي المدين مُلكا من أملاكه لدائنه في دين له عليه، مع تناول بيان حقيقة التصيير وبعض الفروع المتعلقة بأهم مسائله. وأما مبحث التوليج، فهو أن يجعل الوالد ماله لبعض أولاده، فيتسامع الناس به، فينتهون عن سؤاله، وتناول التوليج ببيان حقيقته وبعض الفروع المتعلقة بأهم مسائله.

وذكر محمد بن أبي شنب أن من الفوائد التي يمكن أن يجنيها المهتمون بالفقه الإسلامي من ترجمته لهذا الكتاب، هو الإطلاع على الأحكام الفقهية الواردة فيه، وهي أحكام لا توجد في مختصر خليل، والذي لا يرجعوا دارسوا الفقه المالكي في المنطقة إلا إليه.

كما نلاحظ أن انتقاء محمد بن أبي شنب لهذا الكتيب للترجمة، وعنايته به لا يتوقف عند الهدف المذكور سابقا، بل يتعداه إلى إفهام قارئه وخاصة أساتذة الحقوق وكبار المسئولين في الإدارة الاستعمارية بأن الحضارة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها، أنجبت علماء متبحرين في فنون كثيرة أمثال عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي.

ومن التراجم "منظومة الحاج محمد بن مسايب التلمساني" التي وضعها بالملحون بمناسبة حجه سنة 1182هـ/ 1768م، نشرت الترجمة مع الأصل بالمجلة الإفريقية سنة 1900م، تحت عنوان: "رحلة من تلمسان إلى مكة-Itinéraire de Tlemcen à la Mekke par Ben Messib "[3]، والذي جاء في مطلعها باللغة العربية.

يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها
يا الورشان اقصد طيبة وزر وافقد مرسم شيبة[4]

1 – يرجح الأستاذ خالد بوشمة أن مؤلف الكتاب هو الإمام عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري، وقد ذكر ذلك كل من ترجم له، من أمثال الشيخ الحفناوي، وأبو راس الناصري، والشيخ مصطفى بن فتح الله، واللبس نتج عن تشابه في الاسم. ينظر، خالد بوشمة، "عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري وكتابه التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليخ"، **مجلة التراث**، جامعة الجلفة، ع16، ديسمبر 2014، ص ص46-47.

2 - M.Ben Cheneb, La Plantation à frais communes en droit malékite, **Revue Algérienne et Tunisienne de Législation et de jurisprudence**, T11, Alger, 1895, pp162-172.

3- M.Ben Cheneb, "Itinéraire de Tlemcen à la Mekke", **Revue Africaine**, Alger, 1900, pp261-282.

4 – محمد بن شنب، **منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق**، المصدر السابق، ص11.

تتكون القصيدة من 120 بيت شعري يصف فيها ابن مسايب مشاعره وانطباعاته إزاء ما سمع ورأى في المدن والقرى ومختلف الأماكن التي مر بها في طريق رحلته من تلمسان إلى مكة.

بين محمد بن أبي شنب في المقدمة أن الشعر الشعبي الجزائري غزير، وأن مواضيعه متعددة تشمل الغزل والرثاء والوصف وقصص الأحداث الراهنة أو القديمة، والمدح والهجاء، متأسف لواقعه في بلادنا؛ حيث وصلنا المتأخر منه فقط، والذي يرجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، وأرجع اللوم على النُّساخ الذين أهملوا حفظ القصائد الاجتماعية، ثم يترجم لابن مسايب الذي عده من فحول الشعراء الجزائريين.

لم يبين محمد بن أبي شنب السبب الحقيقي الذي دفعه لترجمة هذه القصيدة، إلا أن نيته واضحة في التعريف بأدب الرحلة الحجازية والجوانب التراثية والروحية للأماكن المقدسة والمناطق التي شملها مسار الرحلة، وكذا حفظ التراث الأدبي الجزائري من الضياع والتحريف.

كما ترجم ما نظمه الشيخ محمد بن إسماعيل الجزائري من قصيدة شعبية في "حرب القرم والجزائريين– La guerre de Crimée et les Algériens" والتي وقعت بين انجلترا وفرنسا من جهة، وروسيا من جهة أخرى، بين 1853م و1856م. نشرت هذه الترجمة في المجلة الإفريقية سنة 1907م، بعد أن حقق القصيدة من أربع مخطوطات[1].

من خلال استعراضنا للأعمال التي قام بها محمد بن أبي شنب فيما يتعلق بإحياء التراث من خلال الترجمة والتأليف باللغة الأجنبية، يتبين لنا أن الرجل كان يدرك تمام الإدراك الأهمية التي تحملها الترجمة والمقاومة بلغة العدو[2] في رسم صورة صحيحة عن المجتمع العربي المسلم، ونقلها إلى العالم الغربي، ورغم أنها خدمت الحركة الاستشراقية بشكل كبير، فإنه مما لا شك فيه أنها قد ساهمت بشكل أو آخر في التعريف بالتراث العربي الإسلامي للعالم أجمع من خلال بعثه من جديد.

المطلب الثالث: إسهامات حسن حسني عبد الوهاب في مجال التأليف باللغة الفرنسية.

مثل حسن حسني عبد الوهاب نموذج المثقف المنتمي إلى مدرسة النهضة ونخبة الإصلاح في تونس، الذي وظف ثنائية اللغة (العربية–الفرنسية) لخدمة الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية لتونس والحفاظ على تراثها. فقد انشغل بجمع التراث العربي الإسلامي وتحقيقه، إلى جانب حرصه على التعريف بتاريخ تونس وأدبها ورجالها ونسائها.

ولم يقتصر تأثيره على الدائرة العربية، بل امتد إلى الوسط الفرنكوفوني بفضل أعماله التي ترجمها إلى الفرنسية أو التي كتبها مباشرة بها. ونعتقد أن تلك التراجم والتآليف لم تمن مجرد استجابة للهيمنة الثقافية الفرنسية، بل

1- Mohammed Ben Cheneb, op-cit, pp255-256.

2 – "**محمد بن شنب... يقاوم بلغة المحتل**"، عنوان مقال نشره تلميذه محمد السعيد الزاهري بمجلة المقتطف، نوفمبر 1929م. للمزيد ينظر، محمد بن شنب، **منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق**، المصدر السابق، ص ص5-10.

كانت أداة للتوثيق العلمي والانفتاح الثقافي على الآخر. فقد انطلق عبد الوهاب من خلفية ثقافية عميقة الجذور، ولكنه انفتح لاحقا على الآداب والعلوم الغربية. هذا المزيج أهله ليكون حلقة وصل ثقافية وقناة لإيصال صوت التراث التونسي والعربي إلى النخبة التونسية المفرنسة والمجتمع الأكاديمي الفرنسي والأوروبي.

كانت أغلب مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب ومقالاته بالفرنسية، تعالج قلقا رئيسيا يتمثل في الخوف من اندثار المعالم المادية والمعنوية للتراث العربي الإسلامي بتونس تحت وطأة الحداثة والاستعمار، لذا انصب عمله على التوثيق المنهجي من خلال عدة أبحاث كان في مقدمتها كتابه "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية"[1].

هذا الأخير تضمن عدة فصول باللغة الفرنسية، وخاصة في القسم الثالث منه، الذي تناول مظاهر من الحركة العلمية ونظم الحياة الاجتماعية والخصائص اللغوية والعناصر البشرية بتونس، وبعض علاقاتها المثمرة سلمية كانت أو حربية مع جيرانها من شعوب الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، كما ضم دراسات عن تربة البلاد التونسية في ماضيها البعيد وما اضمحل من مدائنها وقراها، وما انطوت عليه من أسرار العمران في العصور الغابرة من تاريخ تونس العربية.

يبرز من تلك الفصول بحثه حول "عناصر الشعب التونسي وامتزاجها- Coup D'œil général sur les apports ethniques étrangers en Tunisie"، الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين الدولي بكوبنهاقن العاصمة الدنماركية سنة 1908، ونشره بمجلة La Revue Tunisienne سنة 1917[2]، وقد أبان فيه بالمصادر التاريخية المختلفة، صور دخول العناصر المتنوعة إلى وطنه تونس في جميع أدوار التاريخ (العهد القديم، العهد العربي، الهجرة الأندلسية، العهد التركي)، وأثر هؤلاء في سياسة البلاد واقتصادها وعاداتها واعتقاداتها، كانتشار المذهب المالكي مع استيطان العنصر العربي للمنطقة بعد الفتح، بينما انتشر مذهب أبي حنيفة بفضل العنصر التركي خلال الحقبة العثمانية، وكذا هجرة المسلمين من صقلية والأندلس إلى البلاد التونسية، وزحف قبائل بني هلال عليها.

---

1 – يعد كتاب "**ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**" بأقسامه الثلاث، ذروة النضج الذي وصل إليه حسن حسني عبد الوهاب في التعاطي مع المعرفة والكتابة في التاريخ والأدب والحضارة واللغة ومختلف الفنون التي جرى فيها قلمه. ويعتبر الكتاب مقدمة لمؤلفه الموسوعة"كتاب العمر"، يقول عن ذلك: «هذه ورقات اقتبستها من كتاب أفنيت فيه عمري، واستنفذت صبري، قضيت في جمعه وتدوينه زهاء خمسين عام على الولاء، ولم أتوان في تحقيق مصادره وتتبع مراجعه، واستقصاء موضوعاته»، وهو على هذا الأساس يقتبس ابن خلدون في المقدمة لكتابه. صدر الجزء الأول منه عن مكتبة المنار التونسية سنة 1965م، والجزء الثاني سنة 1966م (مكتبة المنار)، أما الجزء الثالث فقد صدر سنة 1972م(مكتبة المنار)، وذلك بعد وفاة عبد الوهاب بأربعة سنوات، وقد أشرف على جمعه محمد العروسي المطوي، وشاركه فيه جماعة من تلاميذ المؤلف في تعريب الفصول التي كان حررها باللغة الفرنسية.

2 – حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، جم/ إش، محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1972م، مج03، ص241-278.

أما بحثه الآخر "ثورة الطنبذي منعرج في تاريخ الاغالبة- Un tournant de l'histoire aghlabite (Insurrection de Tombodhi)" فهو تأليف في ما يمكن أن يسمى بفلسفة التاريخ، من خلال تأملات في حياة الدول وبقائها وزوالها وتقلبات أحوالها، وما يحدث فيها من ثورات واضطرابات[1].

يحلل عبد الوهاب أسباب الثورة، وسياقها التاريخي، وتداعياتها على الدولة الأغلبية، كما يظهر البحث كيف أن هذه الثورة كانت نقطة تحول في تاريخ الأغالبة، والتغييرات في هيكل السلطة والعلاقة بين الحاكم والجند. وفي سياق البحث تبرز منهجية علم التاريخ في طريقة استثمار المؤرخ لشهادة النقود-المسكوكات القديمة- واستثمارها في ضبط بعض الأحداث في التاريخ التونسي[2].

يعتبر هذا العمل مرجعا هاما في دراسة تاريخ تونسي الإسلامي، ويظهر قدرة عبد الوهاب على تحليل الأحداث بعمق، وقد ساهم هذا الكتاب في تسليط الضوء على فترة الأغالبية وتاريخهم، مما يعكس اهتمامه بإحياء التراث العربي الإسلامي.

وفي كتاب يحمل عنوان "الاستيلاء الإسلامي على صقلية- La Domination Musulmane en Sicile"، جمع عبد الوهاب بين التوثيق الدقيق للأحداث التاريخية الكبرى والحفاظ على الموروث الثقافي للأمة الإسلامية. فاعتمد على مصادر عربية أساسية مثل: ابن خلدون، وابن الأثير، وابن حوقل، وابن جبير، مفضلا إياها على المصادر الثانوية، وقد أشار إلى ذلك في هوامش الكتاب[3].

وقد قسم الكتاب إلى محاور واضحة شملت التاريخ السياسي والعسكري لمراحل الفتح، والنظام الإداري (تقسيم صقلية إلى ثلاث ولايات ونظام الجباية)، والانجازات الحضارية في الزراعة والصناعة والعمران، بالإضافة إلى الحركة العلمية والأدبية. هذا التقسيم يبرز رؤية شاملة للحضارة الإسلامية في صقلية لا تقتصر على الجانب السياسي فقط[4].

---

1 - في سنة 208هـ/824م، خرج مجموعة من الجند برئاسة منصور الطنبذي على حكم زيادة الله الأول بتونس، واستولوا شيئا فشيئا على معظم الإمارة وامتلكوا القيروان، ولبث زيادة الله في العباسية يترصد إلى أن أمكنه الظهور على الثائرين وقتل قائدهم منصور. ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، المصدر السابق، ص59.

2 - حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مج03، المصدر السابق، ص297

3 - HASSEN HUSNY ABDUL-WAHAB, **LA Domination Musulmane En SICILE**, **travail communique au XIY congrès des orientalistes**(**ALGER 1905**), imprimerie génerale, Tunis, 1905, pp2-3.

4 - Op-Cit, pp11-20.

ختم الكتاب بربط التراث الصقلي بالواقع المعاصر، مشيرا إلى بقاء المفردات العربية في اللهجة الصقلية، وإلى السمات العربية للسكان التي تظهر جذورهم، هذا الربط يؤكد أن التراث ليس منفصلا عن الهوية الثقافية الحية، وبهذا تحول الكتاب التاريخي إلى أداة لإحياء التراث وتأكيد الهوية.

لم يكن حسن حسني عبد الوهاب مؤرخا للأحداث السياسية أو الحضارية العامة وفقط، بل أضاف بعدا آخر لمساره العلمي كمؤرخ متخصص في الجغرافيا التاريخية من خلال مؤلفه حول "الاسم العربي للبيزاسين(ميزاق)- Du nom arabe de la Byzacéne"، الصادر عن المجلة التونسية سنة 1939م. والذي يعد نموذجا في توظيف علم التوبونيميا (علم أسماء الأماكن) كمدخل لقراءة التحولات في منطقة بلاد المغرب الإسلامي[1].

تتبع عبد الوهاب من خلال هذا البحث التحول الدلالي والجغرافي لمقاطعة البيزاسين الرومانية والتي تشمل الساحل الشرقي لتونس وعاصمتها التاريخية "هدروميتوم" (سوسة لاحقا)، إلى التسمية العربية "الساحل" بعد الفتح الإسلامي[2]. معتمدا في تحليله على منهجية تاريخية جغرافية تجمع بين المصادر العربية كابن خلدون والبكري، ومراجع غربية استشراقية، مبرزا كيف أن التعريب لم يكن مجرد تغيير لغوي، بل تجسيدا لتحول حضاري عميق تمثل في تبني نمط العمران العربي الإسلامي.

بقي أن نشير إلى أن هذا البحث جاء في فترة كان فيها الاستعمار الفرنسي يسعى إلى ترويج رواية تاريخية قائمة على "اللاتينية المتوسطية" لتونس، ليكون بمثابة رد علمي يؤكد من خلال التسميات الجغرافية على الاستمرارية التاريخية للتراث العربي الإسلامي في تونس.

يتبين من خلال هذا المسار أن حسن حسني عبد الوهاب، وظف الكتابة باللغة الفرنسية كجزء من خطة ممنهجة لإحياء التراث العربي الإسلامي وإبراز قيمته أمام الآخر. فالمؤلفات التاريخية والفقهية أبرزت الجذور الحضارية للإسلام في تونس، والأعمال الأدبية ربطت الذاكرة الفردية بالجماعية، بينما مكنت النصوص المكتوبة بالفرنسية من إيصال هذه الرسالة إلى القارئ الفرنسي والغربي عموما.

1 - HASSEN HUSNY ABDUL-WAHAB, "Du nom arabe de la Byzacéne", **Revue Tunisienne**, Nouvelle série-N° 38, 39 et 40- 2°, 3°, et 4° trimestres, 1939, pp199-201.

2 - Marcel Bénabou, **La résistance africaine à la romanisation**, Maspero, Paris, 1976, p45.

خلاصة الفصل.

شكل الاستعمار الفرنسي وسياسته في الجزائر وتونس تحديا وجوديا للهوية العربية الإسلامية، حيث استهدف طمس، حيث استهدف طمس المعالم الثقافة والحضارية للمنطقة، في مواجهة هذا التحدي برز جهد محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، الذين اتخذا من المعرفة سلاحا للمقاومة الثقافية من خلال توثيق التراث المادي والمعنوي عبر جمع المخطوطات وتحقيقها، وإعادة كتابة التاريخ المحلي بعيدا عن الرواية الاستعمارية، والمحافظة على اللغة العربية وتطوير مناهج تعليمها.

تميز محمد ابن أبي شنب بمنهجية علمية دقيقة، جمعت بين الأصالة والمعاصرة، فجعل من التخصص أداة فاعلة في خدمة التراث. اتسمت جهوده بالعمق والدقة، حيث اهتم بالدراسات اللغوية والأدبية بشكل منهجي، معتمدا على الأساليب النقدية الحديثة في التحقيق والتدقيق.

لم يكن همه جمع التراث وحسب، بل كان همه الأكبر تفعيله في الحياة اليومية، فجعل التراث حياً ينبض في واقع الناس. ففي مجال التاريخ والتراجم، برع في تحقيق كتب الطبقات والتراجم العلمية، محاولا إعادة بناء الذاكرة الجماعية. وفي حقل اللغة والأدب، تخصص في دراسة اللهجات والأمثال والشعر الشعبي، مؤكدا على أصالة الثقافة الشعبية وارتباطها بالتراث العربي الأصيل. ولم يغفل عن أهمية التواصل مع الآخر، فاستخدم الترجمة إلى الفرنسية والكتابة بها وسيلة للتعريف بالتراث ونقله إلى اللغات الأوربية، محولا الترجمة من أداة استعمارية إلى جسر للتواصل.

وإذا كان ابن أبي شنب قد اتخذ من التخصص منهجا، فإن حسن حسني عبد الوهاب قد اختار الموسوعية سبيلا، جمع في مشروعه الثقافي بين التاريخ والأدب والفن، معتبرا التراث نسيجا واحدا لا يتجزأ. لم يكتف بالجمع والتحقيق، بل اهتم بالربط بين مختلف جوانب التراث والحضارة، محاولا تقديم رؤية شاملة للحضارة العربية الإسلامية في تونس.

اعتمد في دراساته على منهج المقارنة بين المصادر العربية والغربية، معطيا أهمية خاصة للجوانب الاجتماعية والثقافية في دراسة التراث، في التاريخ تجاوز السرد السياسي للأحداث إلى التاريخ الاجتماعي والحضاري الشامل- دولة الأغالبة بالخصوص-. وفي الأدب، اهتم بالأدب الرسمي والتاريخ الأدبي المؤسسي، محاولا رسم صورة متكاملة للحركة الأدبية في تونس. وكان للمخطوطات والأرشيف مكانة خاصة في مشروعه، فجعل منها أساسا متينا لجهوده في حفظ التراث المحلي التونسي.

يشكل عطاء الرجلين نموذجا للتكامل في خدمة التراث. فبينما أسس ابن أبي شنب -من خلال منهجه التخصصي- لمدرسة في تحقيق النصوص والدراسات اللغوية، وتطوير منهجية علمية في جمع التراث الشعبي، وارساء تقاليد الترجمة العلمية. كان عبد الوهاب -عبر منهجه الموسوعي- يبني رؤية شاملة للتاريخ الحضاري التونسي،

ويؤسس مدرسة في التوثيق التاريخي والأدبي، ويطور منهجية متكاملة في دراسة التراث. هذا التكامل في المنهج والإنجاز يعكس حقيقة مهمة، وهي أن إحياء التراث يحتاج إلى التخصص الدقيق كما يحتاج إلى الرؤية الشاملة.

ترك الرجلان إرثا ثقافيا معتبرا، ساهم في الحفاظ على الاستمرارية التاريخية للهوية العربية الإسلامية، وإثبات أصالة الثقافة المحلية وتجذرها في مواجهة محاولات الفرنسة، وتأسيس منهجية علمية في دراسة التراث المغاربي، وتكوين قاعدة مصادر لأبحاث التاريخ والتراث. لقد قدما درسا عمليا في كيفية تحويل التراث من مجرد ذاكرة تاريخية إلى مشروع نهضوي، يحافظ على هوية الأمة وثقافتها في واحدة من أحلك فترات بلاد المغرب الحديث.

➢ الفصل الرابع: دور محمد ابن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال المحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية.

- المبحث الأول: التعريف بالاستشراق.
- المبحث الثاني: محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية.
- المبحث الثالث: إحياء التراث من خلال المساهمة في البعثات العلمية والمجامع اللغوية.

الفصل الرابع: دور محمد ابن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال المحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية.

شكل الاستشراق ظاهرة فكرية مثلت اتجاها غربيا لدراسة التراث العربي الإسلامي، اتسمت تلك الظاهرة بثنائية واضحة بين الانحياز الأكاديمي والتحيز الإيديولوجي، فمن ناحية قدم المستشرقون إسهامات علمية في تحقيق المخطوطات ودراسة التاريخ الإسلامي، ومن ناحية أخرى، اتسمت قراءاتهم بنزعة استعمارية استعلائية.

في مواجهة هذه القراءات برزت تجربة العلامتين محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في التعامل مع التراث العربي الإسلامي من خلال المنظومة الاستشراقية والمجامع اللغوية. فقد تفاعلا مع هذه المؤسسات بوصفها فضاءات معرفية ثلاثية الأبعاد: كمنبر للتواصل العلمي، وأدوات لتنظيم البحث اللغوي، وساحات للصراع الثقافي.

في هذا السياق المتشابك، نجح العلمان-بن أبي شنب وعبد الوهاب- في توظيف عضويتهما في المجامع اللغوية والمؤتمرات الاستشراقية لخدمة التراث عبر تحقيق النصوص بمقاييس علمية، وتصحيح الأخطاء المنهجية في الدراسات الشرقية، وإعادة بناء الرواية التاريخية من منظور محلي عربي إسلامي .

لكن هذا التفاعل يطرح تساؤلا جوهريا: كيف تمكن محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من تحويل الأدوات الاستشراقية إلى وسيلة لإحياء التراث، بدلا من أن تكون أداة للهيمنة الاستعمارية؟. هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا الفصل، وقبل ذلك سنعطي لمحة عن الاستشراق وعلاقته بالتراث.

المبحث الأول : التعريف بالاستشراق.

شكل الاستشراق بوصفه ظاهرة فكرية، مجالا واسعا لاهتمام العلماء والمفكرين عبر العصور، إذ يحمل هذا اللفظ دلالات ومعاني متعددة تختلف باختلاف الزاوية التي ينظر منها للمصطلح؛ فهناك الاستشراق الديني، والسياسي، والاستعمار، والعلمي، والثقافي. ونظرا لهذه التعددية، يتوجب على كل باحث في هذا الحقل أن يضبط مفهوم الاستشراق بدقة، ويتتبع نشأته وتطوره، فضلا عن تحليل دوافعه وأهم وسائله.

المطلب الأول :الاستشراق في اللغة والاصطلاح.

1- الاستشراق لغة: مصدر من الفعل "اِسْتَشْرَقَ"، على وزن "استفعل" الذي في أصله فعل ثلاثي مزيد بثلاث أحرف وهي: الألف والسين والتاء في أوله، وهو من الأوزان الدال على الطلب[1] مثل قولنا "استغفر الله" أي أطلب المغفرة من الله، واسم الفاعل من "اسْتَشْرَقَ" "مُسْتشرِق"؛ أي الذي طلب دراسة ما يتصل بـ"الشرق".

غير أن البعض يشير إلى أن هذا المصطلح الجغرافي والفلكي قاصر عن إعطاء معنى حقيقي لمفهوم الاستشراق، إذ أن لكلمة (الشرق) مدلولا معنويا في البحث اللغوي لأصل كلمة (Orient) في اللغات

1 - الزمخشري، **كتاب المفصل في صنعة الإعراب**، تح، علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت- لبنان، 1993م ص374.

الأوروبية الثلاث المستمدة من الأصل اللاتيني، والتي تتمركز حول طلب العلم والمعرفة والإرشاد والتوجيه. واستخدام كلمة بهذه الدلالة اسماً لعلوم تبحث في منطقة معينة تعني اعترافا بأن العلم والمعارف والإرشاد كان يطلب من هذه المنطقة، وأن وصفها بالشرق يعني بالمقام الأول أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة، وليست الشمس بمعناها الحسي المعروف[1].

2- الاستشراق اصطلاحا: تعددت تعاريف الاستشراق واختلفت بين المستشرقين وعلماء المسلمين، حيث اختلفت تصوراتهم للمفهوم تبعا لاختلاف بيئاتهم وخبراتهم الذاتية، كما لعبت العوامل السياسية والأهداف المرجوة من الاستشراق والمنهجيات المتبعة فيه دورا بارزا في صياغة التعاريف المتباينة.

ذهب إبراهيم علي النملة إلى ربط مفهوم الاستشراق بهوية الباحث الذي يتخصص في دراسة شؤون المسلمين وأحوالهم وعلومهم ومعارفهم، وليس فقط بالتعريف الضيق الذي قدمه عمر فروخ[2] الذي يقصر صفة المستشرق على «شخص غربي غير مسلم (من أوروبة وأمريكا)، يدرس اللغة العربية وبعض وجوه الثقافة الإسلامية»[3]، ذلك أن هذا المفهوم المحدود يثير إشكالية عند تصنيف الباحثين غير الغربيين الذين يدرسون الإسلام دون أن يكونوا جزءا منه، إذ لا ينطبق عليهم التعريف رغم اشتراكهم في المنهج الاستشراقي وبالتالي، فإن النملة يوسع مفهوم الاستشراق ليشمل كل من يدرس علوم المسلمين من غير المنتمين إلى الإسلام، بغض النظر عن انتماءاتهم الجغرافية أو الدينية أو الفكرية[4]. فالمعيار الأساسي هنا هو الاشتغال البحثي وفق المنظور الاستشراقي، وليس أصل الباحث أو مكانه.

وقد أسهب إدوارد سعيد في تحري مفهوم الاستشراق الذي عده «أسلوبا "للخطاب"، أي للتفكير والكلام، تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصور، ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطيات استعمارية وأساليب استعمارية». ويخلص إلى أن : «الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما

---

1 - ينظر، عبد الله محمد الأمين النعيم، **الاستشراق في السيرة النبوية**، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، القاهرة- مصر، 1997م، ص15-16.

2 - **عمر فروخ(1906-1987م)**: ولد الناقد الفيلسوف عمر عبد الله عبد الرحمن فروخ في بيروت سنة 1906م، تلقى علمه الأول في الكتاب وفي المدارس الرسمية العثمانية، ثم تلقى تعليمه الثانوي والعالي في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرج منها سنة 1928م (اختصاص اللغة العربية والتاريخ)، بدأ حياته العملية مدرسا بمدرسة النجاح في نابلس بفلسطين. سافر بعدها إلى ألمانيا حيث تخرج في عام 1937م حاصلا على دكتوراه الفلسفة. للدكتور عمر نشاط في عدد من الهيئات العلمية والأدبية والكتابة الصحفية، فهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، وجمعية البحوث الإسلامية في بمباي...توفي سنة 1987م تاركا ورائه أكثر من مائة كتاب مطبوع، تنوعت بين الطابع الثقافي والفكري والفلسفي والتاريخي والأدبي والمدرسي منها: تاريخ الأدب العربي(6مجلدات)، التبشير والاستعمار، الأسرة في الشرع الإسلامي، المناهج الجديدة في الفلسفة. ينظر، أحمد العلاونة، "عمر فروخ في خدمة الإسلام"، **كتاب الأمة**، ع102، السنة الرابعة والعشرون، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر ، 2004م، ص ص22-39.

3 - نخبة من علماء المسلمين، **الإسلام والمستشرقون**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، 1985م،

4 - علي بن إبراهيم الحمد النملة، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، ط1، مكتبة التوبة، الرياض- السعودية، 1998م، ص124.

يسمى "الشرق"، وبين ما يسمى-في معظم الأحيان-"الغرب". وبعبارة أكثر وضوحا «الاستشراق أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه»[1].

ويرى الطيب بن إبراهيم أن الاستشراق لا يعتبر تاريخا أو جغرافيا فقط، ولا إنسان أو ثقافة فحسب، وإنما هو مجموع ذلك كله؛ فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة. والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطا عضويا وتكامليا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لابد له من مسافة زمنية ومساحة مكانية ونوع إنساني وإنتاج ثقافي وفكري. أما الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصص في ثقافته وتراثه، فليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنما هو "الشرق الهوية" وهو محور ما استهدفه علم الاستشراق ومصدر العناية والاهتمام، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين تحديدا[2].

ورغم التفاوت البسيط في تعريف الاستشراق بين المعاجم الأوربية إلا أن كلها تدور حول مفهوم البحث في لغات الشرق وآدابه، جاء في قاموس أكسفورد الجديد أن المستشرق هو: «من تبحر في لغات الشرق وآدابه»[3]، ولا سيما من تخصص في اللغات الشرقية.

وبعد هذا العرض يمكننا أن نخلص إلى أن **الاستشراق**: هو ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته[4]. وهو أيضا، ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب[5].

المطلب الثاني: نشاة الاستشراق، وسائله ودوافعه.

1- نشأة الاستشراق وتطوره: لا يمكن حصر نشأة الاستشراق في زمن محدد بعينه، إذ لا يزال الباحثون في هذا المجال مختلفين حول جذوره التاريخية وبداياته الحقيقية، فبينما يرى بعضهم بأن الاستشراق وليد الصراع التاريخي بين العالم الإسلامي والغرب، منذ أول لقاء في غزوة مؤته (08هـ/626م)، وصولا إلى الحروب الصليبية التي بدأت التعبئة لها في مجمع كليرمونت سنة 1095م، وبداية الاحتكاك السياسي والديني بين المسلمين والغرب المسيحي في فلسطين، واستحكام العداء أيام نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، على اثر الهزائم المتتالية التي ألحقها هؤلاء القادة بالصليبيين[6].

يذهب آخرون إلى أن الاستشراق نشأ في القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي، عندما تحولت حواضر العالم الإسلامي -وخاصة الأندلس- إلى مراكز إشعاع علمي وحضاري، فانجذب إليها الطلاب من أوروبا لدراسة

1 - إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، تر، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1995م، ص ص45-46.

2 - الطيب بن إبراهيم، **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص ص22-23.

3 - أ.ج. أربري، **المستشرقون البريطانيون**، تع. محمد الدسوقي النويهي، لندن، 1946م، ص 08.

4 - عبد الله محمد الأمين، **الاستشراق في السيرة النبوية**، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، القاهرة- مصر، 1997م، ص16.

5 - ساسي سالم الحاج، **نقد الخطاب الاستشراقي**، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، 2002، ص20.

6 - محمد عبد الله الشرقاوي، **الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.س.ط، ص26.

علوم المسلمين وفلسفتهم وثقافتهم. والمؤكد أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغتهم، ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي "جرب ردي أرالياك- Gerber De Araliac" الذي صار من أكبر علماء عصره اطلاعا على الثقافة العربية الإسلامية[1].

وثمة من يرجح أن بداية تاريخ انطلاقة الاستشراق الرسمي يرجع إلى مطلع القرن الرابع عشر، بعد صدور قرار المجمع الكنسي في فيينا، والموافقة على تدريس اللغات الشرقية في خمس جامعات كبرى هي: باريس، وأكسفورد، والجامعة البابوية، وبولونيا، وسلمنكا سنة 1312م[2].

ورأى قسم آخر، نشوء الاستشراق كان لحاجة الدول الغربية لمواجهة الإسلام والرد عليه أولا، ثم لمعرفة أسباب هذه القوة الدافعة لأبنائه ثانيا، وخاصة بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453م، ومن ثمة وصول العثمانيين إلى أسوار فيينا، إذ وقف الإسلام سدا مانعا من انتشار النصرانية[3].

وأما ما ذهب إليه بعض المؤرخين، بأن القرن التاسع عشر هو الذي شهد ميلاد الدراسات الإسلامية في الغرب، فإنه يحمل على أن هذا القرن قد شهد نهضة كبيرة في الدراسات الاستشراقية، وقد ساعدت الحكومات الأوروبية الاستشراق طمعا في الحصول على خدمة الأخير لأغراضها الاستعمارية، وبحثا عن المزيد من الثروات والمواد الأولية التي تحتاجها الثورة الصناعية[4].

وفي نفس ذلك القرن تأسست الجمعيات الاستشراقية الكبرى مثل: - جمعية البنغال الآسيوية 1786م - الجمعية الآسيوية (باريس) 1822م - الجمعية الملكية الآسيوية (لندن) 1823م - الجمعية الشرقية الألمانية 1845م. وكل جمعية من هذه الجمعيات أصدرت لها مجلة استشراقية لنشر بحوث المستشرقين ودراساتهم، كما أن سلسلة المؤتمرات الاستشراقية قد بدأت سنة 1873م، وقد تتالت بعد ذلك[5].

وهكذا فإن الاستشراق قد نشأ في أحضان الكنيسة، إلا أنه عايش التطورات والتحولات التي شهدتها الساحة السياسية، والتحولات الاجتماعية والاقتصادية، التي سادت العصور التي عاش فيها أولئك المستشرقون، فلا يمكن الفصل بين تلك الظروف وبين ما أنتجه أولئك المستشرقون من دراسات.

---

1 - تولى "جرب ردي أرالياك-Gerber De Araliac" (938-1003م) منصب البابوية في الفترة من 999 -1003م باسم سلفستر الثاني. ينظر، عبد الله محمد الأمين، المرجع السابق، ص19.

2 - محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص30.

3 - محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص32.

4 - الطيب بن إبراهيم، المرجع السابق، ص ص52-54.

5 - محمد عبد الله الشرقاوي، المرجع السابق، ص23.

2- وسائل الاستشراق ودوافعه:

العلاقة بين الشرق والغرب ضاربة في أعماق التاريخ، تناولها العديد من الباحثين بالدراسة والتنقيب، لكن السؤال المتجدد، عن جملة الدوافع التي يسعى الاستشراق من أجل تحقيقها وما ترمي إليه من أهداف؟ وما هي وسائله في ذلك؟

من الأجوبة التي لا تحتاج إلى كثير جهد وبحث لنتعرف إلى الدافع الرئيسي للاستشراق عند الغربيين واهتمامهم المتزايد بالشرق، هو الدافع الديني، حيث سبق الإشارة إلى القرار الكنسي الذي سعى إلى دراسة ومعرفة لغات وحضارة كل ما يتعلق بالشرق العربي الإسلامي بالخصوص. أمّا الرهبان والقساوسة فقد كان همهم أن يطعنوا في الإسلام، والرغبة بتنصير المسلمين، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتصل بالإسلام من علم وأدب وتراث. ولا أدل على ذلك إقبال هؤلاء على تعلم العربية، ومختلف العلوم المتعلقة بها. ولم يكن إقبالهم على تلك العلوم لهدف علمي، أو لرفع الجهل عن أنفسهم، بل كان اهتماما نابعا من عقيدتهم وقناعتهم بضرورة محاربة الإسلام والمسلمين من الداخل[1]، بعدما فشلت الحملات الصليبية في تحقيق هذا الغرض.

لم ييأس الغربيون بعد هزيمتهم في الحروب الصليبية من العودة إلى احتلال بلاد المسلمين ونشر النصرانية، فاتجهوا لدراسة هذه البلاد في كل شؤونها العقدية والتاريخية والتراثية وغير ذلك مما يتعلق بالجغرافيا والسكان، بغية أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها. ثم لمَّ تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على العالم الإسلامي بداية من القرن الثامن عشر، كان من دوافع الدراسات الاستشراقية الرغبة في إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في تفكيرهم.

ومن أبرز المستشرقين الذين وظفوا معرفتهم باللغة العربية والشرق عموما لخدمة المشروع الاستعماري لبلادهم، نجد المستشرق "سيلفستر دي ساسي-Silvestre De Sacy" (1758-1838م)، أول أستاذ في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وأحد أبرز ممثلي المدرسة الاستشراقية الفرنسية الكلاسيكية التي ارتبطت عضويا بالمشروع الاستعماري[2]. ساهم دي ساسي في تدريب المترجمين وإعداد المناشير الدعائية خلال الحملة الفرنسية على

---

1 - قام بطرس المحترم(1094-1156م) بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام كما أنه أوعز بترجمة القرآن إلى اللاتينية1، فقد كان لا بد من معرفة الإسلام معرفة جيدة لمحاربته محاربة جيدة على مستوى العقيدة حسب زعمهم. ينظر، عبد الله محمد الأمين، المرجع السابق، ص19.

2 - يقول أبو القاسم سعد الله: «لعب مدرسة اللغات الشرقية عندئذ دورا مهما..كان زعيم هذه المدرسة بل زعيم الاستشراق الفرنسي في ذلك الوقت هو سيلفستر دي ساسي، الذي يعتبره البعض هو أبو الاستشراق ومنشئ علم الاستشراق في أوروبا»، ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، مرجع سابق ص9.

مصر، كما قدم دراسات ساعدت في التخطيط لاحتلال الجزائر عام 1830م، ومن ذلك البيان الذي وزعه الفرنسيون بالعربية عشية الحملة على الجزائر[1].

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم وتحقيق أهدافهم إلا سلكوها، وقد تنوعت وسائلهم بحسب انتماءاتهم، إلا أن أهم استشراق عرفه التاريخ من حيث النشاط والأكثر عددا وعدة هو الاستشراق الفرنسي، والذي ركزنا عليه في دراستنا لهذا العنصر. ويمكن حصر أهم وسائله وأساليبه فيما يلي:

أ- تأليف الكتب وإصدار الموسوعات العلمية: كان للمستشرقين الفرنسيين نشاط كبير في تأليف الكتب، والبحوث في شتى المواضيع، سواء عن الإسلام والسيرة النبوية، أو عن التاريخ والأدب العربي، وقد تباينت تلك الدراسات بين منهج علمي محايد يسعى إلى الفهم الموضوعي للإسلام، ومنهج ذاتي متعصب متأثر بالتصورات اللاهوتية الأوروبية.

فقد قدم "إميل درمنغم-Emil Dermenghem" في كتابه "حياة محمد" قراءة متوازنة تعتمد على المصادر العربية الأصلية، مصورا النبي [صل الله عليه وسلم] مصلحا دينيا واجتماعيا نهض بأمته نحو أفق حضاري جديد، بعيدا عن الأحكام المسبقة[2]. وسار "غوستاف لوبون-Gustave Le Bon" في الاتجاه ذاته في كتابه "حضارة العرب"، مؤكدا أن الإسلام مثّل مرحلة بارزة في بناء الحضارة الإنسانية، وأن النبي [صل الله عليه وسلم] كان من أعظم عباقرة التاريخ[3]. في المقابل، اتسمت أعمال "هنري لامنس-Henri Lammens" ولاسيما كتابه "فاطمة وبنات محمد، آراء نقدية حول السيرة"، بروح جدلية متعصبة حاولت التشكيك في المصادر الإسلامية وتفسير النبوية تفسيرا بشريا خالصا[4]. كما اتخذ "ادوار مونتيه-Edouard Montet " في كتابه "الإسلام"،موقفا عقليا محضا تجاه الرسالة المحمدية، متجاهلا بعدها الروحي والإيماني[5].

وأما بالنسبة للموسوعات، فقد ألف المستشرقون موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية"[6] بعدة لغات، والتي كانت ثمرة جهودهم عبر عدة سنوات من البحث والدراسة، وقد اعتبرت كمصدر للمعرفة يرجع إليها الباحثون

---

1 - المرجع نفسه، ص10.

2 - إميل درمنغم، **حياة محمد**، تر، عادل زعيتر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2014./ إميل درمنغم، **الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة**، تر، عادل زعيتر، ط3، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، 2005.

3 - غوستاف لبون، **حضارة العرب**، تر، عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، مصر، 2012.

4- Henri Lammens, **Fatima et les Filles de Mahomet**, **Notes Critiques pour Letude De Sira**, Sumptibus Pontificii Instituti Biblici, Romae, 1912.

5- Edouard Montet, **L'Islam**, Librairie Fischbacher, Paris- France, 1923.

6 - سيأتي تفصله في المبحث الثالث.

والدارسون فيما يخص أعلام العرب والمسلمين، وتاريخهم وجغرافيتهم وآدابهم وفنونهم ودينهم وتراجم أعمالهم، بينما اعتبرها البعض أخطر ما قام به المستشرقون، لأنها ملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به[1].

ب- إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات: بدأت فرنسا مبكرا بإنشاء مؤسسات تُعنى بتدريس اللغات الشرقية والعلوم الإسلامية، لتهيئة الإداريين والمترجمين والمبعوثين إلى البلاد العربية والإسلامية. من أبرزها مدرسة اللغات الشرقية الحية (Ecole des langue orientes vivantes) التي تأسست سنة 1795م، وهي من أقدم المؤسسات الأوروبية التي اهتمت بتعليم العربية والتركية والفارسية والعبرية[2]. وقد تولى إدارتها سلفستر دي ساسي الذي يعد مؤسس المدرسة الفرنسية في الدراسات العربية والإسلامية، إذ جمع بين الدرس اللغوي والتحليل التاريخي للنصوص. وقد تخرج على يديه عدد من المستشرقين الذين كان لهم أثر في السياسة الفرنسية تجاه العالم الإسلامي.

ومع امتداد النفوذ الفرنسي إلى المشرق والمغرب العربيين، اتجهت فرنسا إلى تأسيس معاهد بحثية في قلب العالم الإسلامي، تجمع بين الدراسة الميدانية والبحث العلمي، ومن أشهر هذه المعاهد: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة الذي تأسس سنة 1880م، وكان مركزا رئيسيا في دراسة تاريخ مصر الإسلامي، ونشر نصوص عربية قديمة. والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق الذي أنشئ سنة 1922م، إبان الإنتداب الفرنسي على سوريا، وكان هدفه المعلن دراسة اللغات العربية وآدابها، بينما هدفه غير المعلن مراقبة الإنتاج الفكري العربي وتوجيهه[3].

منذ مطلع القرن العشرين، صارت الدراسات العربية والإسلامية جزءا من المناهج الجامعية الفرنسية، خاصة في جامعة السوربون وكلية فرنسا. وفيهما أنشئت كراسي علمية للعربية والتصوف، أشرف عليها كبار المستشرقين مثل لويس ماسينيو وهنري كوربان، الذين منحا الفكر الإسلامي بعدا فلسفيا وروحيا يخضع للمنظور الغرب.

وتمثل جامعة الجزائر نموذجا علميا لتطبيق الفكر الاستشراقي في البلاد الإسلامية، فقد أسست رسميا سنة 1909م لتكون أداة لتعميم التعليم الفرنسي في الجزائر، والتي كانت في الأصل مدرسة الآداب العالية(1881م) التي تخصصت في تدريس العربية وعلم الآثار الإسلامية والتاريخ. تولى التدريس فيها مستشرقون كبار مثل: ويليام مارسيه وجورج مارسيه، اللذين جعلا من دراسة اللهجات المغاربية والدارجة وسيلة لتصنيف المجتمع الجزائري، وإبراز الاختلاف بين عرب المشرق والمغرب[4].

1 - ينظر، مصطفى السباعي، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم**، دار الوراق للنشر والتوزيع/ المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص36.

2 - ينظر، دانيال ريغ، "الاستشراق العالم"، تر، محمد يحياتن، **مجلة معالم**، ع4، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011، ص35.

3 - ينظر، نجيب العقيقي، **المستشرقون**، ط3، دار المعارف، مصر، 1964، ج1، ص ص153-154.

4 - المرجع نفسه ص ص154-155.

ج- عقد المؤتمرات الاستشراقية: تولت فرنسا منذ أواخر القرن التاسع عشر الريادة في عقد المؤتمرات الاستشراقية الدولية، التي تحولت إلى وسيلة لتنظيم الجهود العلمية وتوجيه الدراسات حول الإسلام والشرق بما يخدم سياساتها الثقافية والاستعمارية. فقد استضافت باريس عدة دورات متعاقبة للمؤتمر الدولي للمستشرقين (1873، 1897، 1948)، وجمعت خلالها نخبة من أعلامها مثل: دي ساسي، رينيه، ماسينيوس، وغيرهم، مما كرس المنهج الفرنسي في دراسة الشرق.

وقد أتاحت دورية انعقاد هذه المؤتمرات لفرنسا المحافظة على مكانتها كمركز للتنسيق العلمي الغربي، كما امتدت آثارها إلى المستعمرات عبر ندوات محلية وعالمية كمؤتمر الجزائر 1905 للمستشرقين في دورته الرابعة عشر، مما جعل من المؤتمرات أداة فعالة لتدوير المعرفة الاستشراقية وترسيخ النفوذ الفرنسي الثقافي في العالم الإسلامي[1].

د- الاشتراك في المجامع العلمية الرسمية في العالم العربي: امتد نشاط المستشرقين الفرنسيين إلى المجامع العلمية العربية في النصف الأول من القرن العشرين، في خطوة تعكس انتقال الاستشراق من مؤسساته الغربية إلى مؤسسات عربية ذات طابع علمي رسمي. فقد حرصت فرنسا على إيجاد حضور فكري لغوي دائم داخل هذه المجامع، من خلال العضوية أو المراسلات العلمية، تتيح لها التأثير في مسار الدراسات العربية والإسلامية.

فقد ضم المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه سنة 1919م، عددا من المستشرقين الفرنسيين كمراسلين أبرزهم: رينه باسيه، ويليام مارسيه، ولويس ماسينيوس، وهنري لاوست، وغيرهم[2]، الذين شاركوا في اللجان اللغوية والنشرية، وساهموا في مراجعة وتحقيق النصوص التراثية وضبط المصطلحات. كما شارك بعضهم في أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بصفة أعضاء مراسلون أو خبراء لغويين، مثل: ماسينيوس الذي اختير عضوا عاملا في المجمع منذ نشأته بموجب المرسوم الملكي لسنة 1933م[3].

المطلب الثالث: المستشرقون وعلاقتهم بالتراث العربي الإسلامي.

صاحب بروز ظاهرة الاستشراق، اهتمام الغرب المتزايد بالتراث العربي الإسلامي، وقد تعددت دوافعهم في ذلك، ففي الوقت الذي نقرُّ فيه بوجود فئات من المستشرقين جعلت العلم غايتها عندما عكفت على التنقيب في التراث وكنوز المخطوطات الإسلامية، كانت هناك فئات أخرى لم تراع النواحي العلمية والموضوعية، وإنما سعت إلى تشويه التراث سعيا منها إلى تشويه المصادر التي انبثق منها[4].

---

1 - ينظر، المحسن بن علي بن صالح سويسي، "مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها- تكوينها- أهدافها"، **رسالة دكتوراه**، إش، حامد غانم أبو سعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1998، ج1، ص ص2-46.

2 - ينظر. https://arabacademy-sy-org/ar/page17782/الأعضاء-المراسلون-في-البلدان-الأجنبية-كافة -

3 - إبراهيم مدكور، **مع الخالدين**، الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، القاهرة- مصر، 1981، ص ص97-105.

4 - حمو عبد الكريم، **الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر**، رسالة ماجستير في الأدب العربي، اش، بن سعيد محمد، جامعة وهران (السانيا)، 2008/2007، ص ص28-30.

هذا في الوقت الذي تأخر فيه العرب والمسلمون عن خدمة التراث خدمة علمية ومادية، حتى خُشي عليه من الضياع بينهم، عندما أصبح في كثير من الأحيان قطعا متحفية تباع خفية لمن يدفع أكثر[1]، أو يُبسط بها في الأسواق العامة، هذا على أحسن الأحوال. ومن أسوأ الأحوال أن تمزق أوراق المخطوطات وتكون وعاء لنقل المادة المشتراة من الحلوى والبقول"الحب"وغيرها «فقد جاء حين على المخطوطات العربية كانت مجهولة القدر عند أصحابها الذين هم أولى الناس بها، وأحقهم بصيانتها وحفظها» [2].

فلا يمكن نكران ذلك العمل الذي قام به المستشرقون من دراسة للتراث العربي الإسلامي، وحفظه من الضياع وصيانته من التلف، وذلك من خلال فهرسة المخطوطات فهرسة علمية أكاديمية، والعمل على تحقيقها ونشرها، بل وخدمته حتى للباحثين العرب والمسلمين مع التفاتتهم العملية المتأخرة للتراث. وفي هذا يؤكد محمد كرد علي أنه: «لولا عناية المستعربين بإحياء آثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر التي أخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الأدباء ومعجم ما استعجم، وفتوح البلدان، وفهرست ابن النديم..إلى عشرات من كتب الجغرافية والرحلات التي فتحت أمامنا معرفة بلادنا في الماضي، وبها وقفنا على درجة حضارتها» [3].

ويسترسل محمد كرد في تعداد مناقب المستشرقين بالقول: «ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير وابن الأثير وأبي الفداء واليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن أبي شامة وابن الطقطقي وحمزة الأصفهاني وأمثالهم، لجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عماية من أمرنا» [4].

بينما نجد الأستاذ مالك بن نبي في حكم مبدئي على المستشرقين يصنفهم من حيث الاتجاه العام إلى طبقتين: طبقة المداحين للحضارة الإسلامية وتراثها العتيق، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها. كما أنه لا ينفي وجود الحقيقة العلمية لدى بعضهم من أمثال آسين بلاثيوس وغوستاف لبون وغيرهم، ولا شك «أن هؤلاء العلماء كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية والتاريخ، وكل ذلك من أجل مجتمعهم الغربي» [5]. لكنه في آخر المطاف يرى

---

1 – يحدثنا الشيخ سعيد الزاهري عن الطرق الملتوية التي يتبعها المستشرقون في سرقة المخطوطات بالقول: «حدثني ابن شنب عن مسألة وجود جمعيات تتألف من الألمان والأمريكان قد أرسلت في مدائن هذه البلاد –تلمسان–ناشرين يشترون لها الكتب العريقة القديمة، ويقربون لها نفائس آثار أجدادنا، وبلغني أن فلانا وفلانا من أشياخ الطرق الصوفية في مراكش قاما بسياحة واسعة في شمال إفريقيا ظاهرها الطواف على أتباعهم، ولكنهما كانا يقتنيان الكتب المخطوطة، ويبذلان المبالغ الطائلة الباهظة من المال في شرائها ونسخها حتى ظفر منها شيء كثير». ينظر، صالح خرفي، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص140.

2 – علي حسن الخربوطلي، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة– مصر، 1988م، ص125.

3 – محمد كرد علي، "أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية"، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، ع 10، سوريا، 01 أكتوبر 1927م، مج 07، ص 455.

4 – المرجع نفسه.

5 – مالك بن نبي، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 1969م، ص08.

أن علاقتهم بالتراث العربي الإسلامي، وإنتاجهم بشكله المزدوج كان وبالا على المجتمع الإسلامي، فهو يحمل في تركيبته معنى الإقصاء سواء بإبعاد الأمة عن واقعها وإغراقها في نعيم الماضي عن طريق الإطراء والتبجيل، أو التكذيب والانتقاص من شأنها [1].

وهناك من يشكك في جهد المستشرقين في جمع المخطوطات وصيانتها وفهرستها، وربما قيل: إن الاستشراق لم يقم بوضع «الفهارس إلا ليهيئ لنفسه وسائل جمع المادة العلمية التي يتظاهر بها دارسا جادا موضوعيا يستقرئ المسائل في دقة وشمول»[2]. وربما قيل أيضا: إنهم إنما قاموا بتلك الجهود في مجال المخطوطات ليستولوا عليها، ويحجبوها عن العرب والمسلمين، ويجعلوها رهينة عندهم، و«أن تلك الجهود الإيجابية التي بذلها المستشرقون في ميدان توثيق التراث العربي المخطوط على الرغم من أنها قد أدت بالفعل إلى توثيق وضبط كميات هائلة من مخطوطاتنا العربية في أرجاء مختلفة من الأرض، إلا أنها —في نفس الوقت– قد أسهمت بدور هام ورئيسي في تحقيق أهداف الحركة الاستشراقية بصفة خاصة»[3].

لقد تمكن المستشرقون من خلال تلك الأدوات الببليوغرافية من التعرف بدقة على طبيعة حجم التراث العربي الإسلامي المكتوب، وبالتالي تحليل مضامينه الفكرية والمادية عن طريق النقد والدراسة، وانتقاء الأعمال التي يمكن أن تستفيد منها الحركة الاستشراقية في تحقيق أهدافها الدينة أو السياسية أو العسكرية.

إذًا، فقد قام المستشرقون بنشر الكثير من نفائس التراث العربي الإسلامي نشرا علميا، مما يسر الانتفاع به، بل إن من المستشرقين من وقف نفسه على خدمة التراث العربي الإسلامي، ونأى بنفسه عن الولوج في أي مشروع يراد منه الإساءة للإسلام وأهله بأي شكل من أشكال الإساءة، وإن لم تخل خدماته من الإساءة التي يتوقع أن تكون غير مقصودة، وإنما أدى إليها سوء فهم، أو سوء سيطرة على اللغة[4].

لقد كان المستشرقون في الطليعة الأولى التي أحاطت بالتراث الثقافي للأمة العربية والإسلامية، وقامت بنقله عن طريق الترجمة إلى لغات أجنبية مختلفة، وهذا ما ساهم في تقديم العرب والمسلمين للرأي العام العالمي من خلال صورة تراثهم العلمي والأدبي والثقافي. فلولا مثل هذه الجهود لما نقل شيء من تراثنا إلى اللغات الأجنبية ولا سمع الآخر عن حضارتنا العريقة.

وكخلاصة لهذا الموضوع، يمكن حصر إسهامات المستشرقين في خدمة التراث في خمسة مجالات، هي في النهاية المجالات التي يمكن أن يخدم التراث من خلالها، وهي كالآتي:

– البحث عن المخطوطات، والرحلة إليها، ونقلها، وحفظها، وصيانتها.

---

1 – المرجع نفسه، ص25.

2 – علي بن ابراهيم الحمد النملة، **المرجع السابق، ص31**.

3 – المرجع نفسه، ص32.

4 – علي بن ابراهيم الحمد النملة، **المستشرقون ونشر التراث**، موسوعة الدراسات الاستشراقية2، الرياض– السعودية، 2003م، ص 22–23.

- فهرسة المخطوطات، وتوثيقها وضبطها وراقيا(وعائيا أوببليوغرافيا)، وربما تكشيفها وتلخيصها.
- تحقيق كتب التراث تحقيقا علميا منهجيا.
- الدراسات حول التراث، مع العناية بالمعاجم.
- ترجمة التراث إلى اللغات الأوروبية.

ويمكن التنويه بأن الاستشراق ظاهرة فكرية مركبة، تتداخل فيه المناهج العلمية مع الخلفيات الإديولوجية، حيث تجتمع الدوافع المعرفية بالرؤية السياسية والدينية. وقد تباينت تعريفاته تبعا لزاوية النظر، بين من يراه جهدا علميا موضوعيا، ومن يصفه أداه للهيمنة الثقافية. إلا أنه يظل ميدانا حيويا للنشاط والتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب. وقد اتسمت مسيرته بالمفارقة؛ فبينما أسهم في حفظ جزء كبير من التراث العربي الإسلامي ونشره، كان في الوقت نفسه أداة لتبرير المشاريع الاستعمارية ودعمها. وهذا التناقض يجعل من فهم حقيقة الاستشراق مدخلا ضروريا لفهم دور العلماء المسلمين الذين تفاعلوا معه، واستطاعوا توظيف أدواته في الدفاع عن هويتهم وتراثهم.

المبحث الثاني: محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية.

يعتبر مطلع القرن العشرين مرحلة حاسمة في تاريخ الدراسات الشرقية وعلاقاتها بالبيئات العربية الإسلامية، فقد مثل المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905م حدثا بارزا[1]، إذ انعقد لأول مرة في بلد عربي إسلامي تحت الاحتلال الفرنسي. في هذا السياق برزت شخصيات من النخب العربية، شاركت في هذا المؤتمر والمؤتمرات التي ستأتي فيما بعد، ومنهم محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

المطلب الأول: المدرسة الاستشراقية وأثرها على محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

1- رؤية محمد بن أبي شنب للاستشراق والمستشرقين: يمثل محمد بن شنب حالة استثنائية في التعامل مع الظاهرة الاستشراقية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، فلم يكن موقفه منها مجرد رفض أو قبول،

1 - انعقد المؤتمر الدولي للمستشرقين بالجزائر سنة 1905م، في تجربة غير مسبوقة بعقده أول مرة خارج العواصم الأوروبية، حيث أشرفت السلطات الفرنسية بالتعاون مع المدرسة العليا للآداب بالجزائر على تنظيم جلساته العلمية. انطلقت أعماله من 19 حتى 26 أفريل وحضره أكثر من 500 مشارك. وقد توزعت أعماله على سبع لجان علمية وهي: اللغات الإسلامية (عربية، تركية، فارسية)- الهند واللغات الآرية واللغات الهندية- اللغات السامية- الشرق الأقصى- اليونان والشرق- الآثار الإفريقية والفن الإسلامي. كما تخللت المؤتمر معارض للمخطوطات العربية النادرة، ورحلات ميدانية إلى المواقع الأثرية، فضلا عن عروض موسيقية هدفت إلى إبراز التراث الفني المحلي. وقد انتهت أشغاله بالتأكيد على أهمية التراث المغاربي في حقل الدراسات الاستشراقية والدعوة إلى نشر المخطوطات وتحقيقها، غير أن أبعاده الاستعمارية كانت واضحة، لقد صممت هيكلة المؤتمر تحت إشراف الحاكم العام "شارل جونار" والرئاسة الفخرية لملك السويد أوسكار الثاني، أما راعي المؤتمر فهو الأرشيديق ريني حاكم النمسا، لتعكس تسلسلا هرميا غربيا، كما احتكر المستشرقون الأوربيون منصة المتحدثين. وهكذا لم يكن المؤتمر محض مناسبة أكاديمية، بل كان أداة سياسية وظفت الخطاب العلمي لتبرير المشروع الاستعماري، وترسيخ صورت فرنسا كجسر حضاري بين الشرق والغرب. لتفاصيل أكثر حول هذا المؤتمر ينظر،

- Actes Du XIV[e] Congres International Des Orientalistes ALGER 1905, Troisieme Partie, Ernest Leroux, Edituer, PARIS, 1908.

بل كان تفاعليا ونقديا في بعض الأحيان، يجسد صعوبة موقع العالم المثقف الوطني العامل داخل أُطر المنظومة الاستعمارية.

والمعلوم أن محمد بن أبي شنب لم يخلف وراءه مؤلَفا مستقلا يُوضح فيه مواقفه من الاستشراق والمستشرقين، مما يجعل من مهمة الباحث في تحديد موقفه من الظاهرة الاستشراقية صعبة للغاية، وتقتضي تتبع آرائه في ثنايا إنتاجه العلمي ومنهجيته في العمل.

أول الإشارات التي تظهر تأثر محمد بن أبي شنب بالمنهج الاستشراقي بشكل واضح، تبرز من خلال تبنيه لأدواته العلمية، خاصة في تحقيق المخطوطات ونشرها، وذلك بأسلوب يتسم بالدقة والاختصار والاهتمام البالغ بالفهارس، مع الاستفادة من الإمكانيات التي توفرها المؤسسات الأكاديمية الفرنسية من مكتبات ودوريات ساعدته في إنتاج معرفة موسوعية.

ومن النماذج العلمية التي يظهر فيها ذلك التأثر، وخاصة في التحقيق بوضوح كتابه"الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" لعلي بن أبي زرع الفاسي، والذي جاء دون تقديم أو تعليق، ولا أي دراسة عن موضوع الكتاب، وهو أسلوب مشتهر في المدرسة الاستشراقية، اعتمده الأقدمون منهم خاصة. كما عمل على تحقيق كتاب "الرحلة الحجازية" لأبي راس الناصري، يصف فيها رحلة الحج التي قام بها المؤلف من الجزائر إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ويتضمن وصفا جغرافيا وتاريخيا واجتماعيا للبلدان التي مرّ بها، معتمدا في تحقيق النص على نسخة مخطوطة مع توثيق الأماكن والمدن التي ذكرها المؤلف والاستعانة بمصادر جغرافية وتاريخية أخرى، وهو ما يعكس دقة المستشرق في التوثيق. وقد وصف أبو القاسم سعد الله ذلك المنهج، بأنه يعتمد على «مقابلة أكثر من نسخة، ووضع مقدمة قصيرة... وأهم جهد كان ابن أبي شنب يقوم به في التحقيق هو وضع الفهارس»[1].

ومن المواقف التي تظهر تأثر بن شنب بالاستشراق، علاقته بكبار المستشرقين مثل: المستشرق الفرنسي رينيه باسيه-René Basset مدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة[2]، هذه العلاقة تعد نموذجا فريدا ومعقدا للتفاعل بين المثقف العربي المسلم والمستشرق الغربي المسيحي في فترة الاحتلال، حيث تجاوزت الإطار الرسمي لعلاقة الأستاذ بالتلميذ، لتتحول إلى شراكة علمية حقيقية قائمة على التقدير المتبادل.

وقد تأثر ابن أبي شنب بمنهجية باسيه في الدراسات اللغوية المقارنة والاهتمام باللهجات والتراث الشعبي، وهذا التأثير يظهر في أبحاثه حول أصل كلمة شاشية[3](طاقية)، وتليس[4](نوع من الطعام)، كما برز تأثيره في إلمامه

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص ص169-170.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1998م، ص281.

3- Mohammed Ben Cheneb, "Origine du mot Chachiya", **R**.**afr**, 1907, pp55-56.

4- Mohammed Ben Cheneb, "Observation sur l'emploi du mot Tellis son origine", **R**.**afr**, 1912, pp566-570.

بعدد من اللغات واهتمامه بإنجاز المعاجم اللغوية. تجسد عمق تلك العلاقة في إهداء ابن أبي شنب لبعض إصداراته العلمية إلى باسيه، وهي إشارة على التقدير العلمي، وقصيدة يمدح فيها سعة علمه اللغوي يقول فيها:

يا واحدا ماله ثان بمعرفة ** شاعت مفاخره في كل مرتقب

جمعت بين لغات الأرض أكثرها** ونلت من كنهها ما نلت من أرب

إن شئت فصيح العرب أو حبش** أو بربر أو خطيب الترك والعرب[1]

كما عبر عن تأثره الكبير بوفاته في الكلمة التأبينية التي أرسلها إلى المجمع العلمي العربي بدمشق تحت عنوان"المرحوم العلامة رينه باسيه"، وقد اقترح بن أبي شنب على هذا المجمع أن يحل هنري ماسيه- Henri Massé محل ريني باسيه في عضوية المجمع[2].

وإذا تعمقنا أكثر في علاقة بن شنب مع كبار المستشرقين نجده قد أخرج مع ليفي بروفنصال- Lévi Provençal فهرسا لمخطوطات مكتبة فاس العريقة، نشر في المجلة الإفريقية سنة 1921م[3]. كما ساهما معا في تصنيف كتاب"المخطوطات العربية في خزانة الرباط" وفيه وصف لـ: 544 مخطوط، طبع بباريس عام 1921م، وفي الرباط سنة 1922م[4].

كما اشترك مع المستشرق ألفرد بيل-Alfred Bel سنة 1923م في نشر مقدمة كتاب "تكملة الصلة لابن الآبار" ونشر الكتاب كاملا بتحقيق مشترك[5]. وقد كانت القواسم المشتركة بين الرجلين شغفهما بالمخطوطات العربية، واهتمامهما بالتاريخ والتراجم الأندلسية، فلابن أبي شنب بحث في "غزو النصارى لاسبانيا" طبع سنة 1923م[6]، والمعروف أن آخر بحوثه التي قدمها هو بحث عن الشاعر الأندلسي ابن خاتمة[7].

ومما سبق يمكن فهم رؤية ابن أبي شنب للاستشراق والمستشرقين من خلال خطين متوازيين ومتكاملين:

---

1 – عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، ص41.

2 – محمد بن أبي شنب، "المرحوم العلامة رينيه باسيه"، **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، مج4، ج1، كانون الثاني، 1924م، ص ص164-166.

3 – لم تكن علاقة بن أبي شنب مع بروفنصال علاقة زمالة فقط، بل كانت علاقة اجتماعية وطيدة عبّرت عنها إحدى رسائله لبروفنصال بعد أن رزق هذا الأخير بمولود في 29 جوان 1920م جاء فيها: "هنيئا حبيب القلب بالولد البدر وعاش وعشتم في هناء وخير، ونال ونلتم كل ما رجوتم من الفضل والعلم الكثير من العمر". ينظر، عبد الرحمان الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، ص41.

4 – عبد الله بن أحمد الغامدي، **إفريست بروفانسال Evariste Provençal** ، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2021، ص110.

5- Mohammed Ben Cheneb, "La préface d'Ibn El abbar a sa Takmila-t essila", **R.afr**, 1918, pp306-311/ vois aussi, **R.afr**, 1923, pp163-164 .

6- La conquete de l'Espagne par les chrétiens, in mélanges René Basset, T1, Paris, E.leroux, 1923, pp67-77.

7- op-cit, p87.

أولا: امتلاك ابن أبي شنب نظرة واقعية نقدية، فمن جهة فهو يدرك الحالة التي وصل إليها التراث العربي الإسلامي، وتقاعس أهل التراث أنفسهم عن حفظ مخطوطاتهم، مما أوصلها إلى حافة الضياع أو التهريب في أحسن الأحوال. ومن جهة أخرى، فهو يعترف –ولو ضمنيا– بالدور الذي قام به المستشرقون في حفظ هذا التراث عبر جمعه وفهرسته وصيانته.

وما يعزز هذا الموقف ذلك الحوار الشهير لابن أبي شنب مع تلميذه السعيد الزاهري، حيث عبر عن أسفه لاستعداد الأجانب لدفع الأموال الطائلة لجمع «المخطوطات بينما تتوانى الحكومات العربية عن شرائها وحفظها، قائلا: لو أن الحكومة اشترت هذه الكتب، واقتنت هذه النفائس لكان ذلك خير وأنفع»[1].

ثانيا: لم يقتصر موقف بن أبي شنب على النقد والاعتراف بدور المستشرقين فحسب، بل دخل في تعاون علمي مع نخبة منهم، مستفيدا من أدواتهم ومؤسساتهم وقد تجسد هذا التعاون في مشاريع مشتركة، ساهمت في الحفاظ على جزء من التراث وإحيائه من جديد.

اتسم موقف محمد بن أبي شنب من الاستشراق بالتوازن والموضوعية؛ فمن ناحية اعترف بقيمة المنهج العلمي الاستشراقي واستفاد من أدواته في التحقيق والفهرسة، ومن ناحية أخرى حافظ على هويته الإسلامية، ونقد القراءة المتحيزة الغربية للتراث، وقد نجح من خلال إقامته شراكة مع مستشرقين مثل: رينيه باسيه وألفريد بيل في توظيف هذه العلاقة لخدمة التراث الجزائر خصوصا والمغاربي عموما، معبرا بذلك عن نموذج فريد للعالم المسلم الذي يتفاعل مع المنظومة الاستعمارية دون أن يفقد أصالته.

2– علاقة حسن حسني عبد الوهاب بالاستشراق والمستشرقين: تلقى حسن حسني عبد الوهاب تعليمه الثانوي في المدرسة الصادقية، التي كانت آنذاك منارة للتعليم الحديث الذي يدمج بين المناهج العربية التقليدية والمناهج الأوروبية، هذا التكوين الهجين هو الذي مهد الطريق لتفاعله مع الظاهرة الاستشراقية.

إن تَأثُّر عبد الوهاب بالمنهج الاستشراقي، وعلاقته بالمستشرقين لم تكن علاقة تبعية أو معاداة، بل كانت علاقة تفاعلية من خلال إلمامه الكبير بالتراث، وتبنيه للمنهجية العلمية الغربية في التأليف والتحقيق، ومحاورة الاستشراق بلغته، مستفيدا من إيجابياته، وساعيا في الوقت ذاته إلى تصحيح انحيازه وتقديم الرواية الصحيحة.

وقد طور عبد الوهاب من أسلوبه في البحث، حيث انتقل من منهج السرد الانتقائي في بداية تآليفه مثل: مؤلفه بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، والمنتخب المدرسي في الأدب التونسي...، إلى التحقيق العلمي والنقدي للمخطوطات والوثائق، والتحقق من صحتها ونسبتها، مع التمييز بين المصادر الأولية والثانوية، والاعتماد على الآثار والنقوش والعمارة كشواهد مادية في كتابة النصوص التاريخية، ومصادر أولية تكمل

1 – عبد الغني عيساوي، "التراث الاستشراقي بين الحقيقة العلمية الثقافية والحقيقة السياسية الاستعمارية"، **سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن أبي شنب والاستشراق(المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014م)**، منشورات مدرية الثقافة لولاية المدية، الجزائر، 2015م، ص393

النصوص المكتوبة، مثل: بحثه حول العرب والعمران في افريقية، وأثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة، تأسيس القيروان، مئذنة القصبة..، وهو منهج كان المستشرقون رواده في دراسة تاريخ العالم العربي والإسلامي[1].

سعى حسن حسني عبد الوهاب في مؤلفاته الموسوعية مثل "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية" و"كتاب العمر" و"شهيرات التونسيات"، إلى تقديم عمل شامل قائم على جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها، والاستشهاد بمصادر متنوعة، بعيدا عن المبالغة في استعمال الأسلوب الإنشائي، هذا التبني للمنهج لم يكن خاليا من النقد الضمني للمنهجية الاستشراقية السائدة التي كانت في كثير من الأحيان تخدم الرواية الاستعمارية، أو تنطلق من أفكار مسبقة عن الشرق.

لم تكن علاقة عبد الوهاب بالمستشرقين مجرد الأخذ بالمناهج الغربية الحديثة في البحوث التاريخية فقط، بل تجاوزت ذلك إلى تواصل فعلي ومشاركة نشطة في مؤتمراتهم، بدءا بمؤتمر الجزائر سنة 1905م. وقد أسفر هذا التفاعل المباشر عن بناء علاقات متينة تجسدت في أشكال عملية متنوعة، قائمة على أساس من التقدير المشترك والاعتراف المتبادل بالكفاءة العلمية، وكان أبرز مظاهر هذه العلاقة، شراكته البحثية وإسهامه المعرفي المشترك مع نخبة من أعلام المستشرقين الفرنسيين على رأسهم: شارل بيلا-(Charles Pellat) الذي ربطته بعبد الوهاب علاقة علمية تعاونية، في إطار التبادل المعرفي والاحترام الأكاديمي. لقد كانت نظرة بيلا –وهو أحد أعمدة الاستشراق في القرن العشرين- إلى عبد الوهاب ليس مجرد صديق فقط، بل اعتراف له بسبق علمي ومكانة رفيعة، انعكست في إنجازه بحوث ذات قيمة علمية رفيعة تبرهن على سعة معرفة في ميدان كان، إلى ذلك الوقت، مقتصرا على غيره من الباحثين الغربيين[2].

ولم يقتصر الدور على الإثراء النظري، بل تجاوزه إلى الدعم الميداني والمؤسسي، فقد سخر عبد الوهاب معرفته الواسعة بكنوز المكتبات التونسية والعربية وخبرته في التوثيق، في إعانة بيلا على اقتناء«نادر المخطوطات، ونفيس المستندات»[3]، التي كانت بمثابة المادة الخام لأعماله التأسيسية، من ذلك ما يخبرنا به بيلا قائلا: «فأتذكر أنه اعتذر إليَّ مرة فغادر القاعة التي كنا نتجاذب فيها أطراف الحديث ثم عاد وفي يده ظرف غليظ، فناولنيه قائلا:

1 – جاء في سياق الحوار الذي أجرته مجلة الندوة المصرية مع حسن حسني عبد الوهاب ،قوله:«..اعتقادي بأننا في حاجة إلى تاريخ ممحص لا إلى سجل أحداث ولا إلى ألفاظ منمقة فيها براعة وفصاحة ولكن ليس فيها من التاريخ إلا القليل، وذلك ما دعاني إلى الاطلاع على طريقة المستشرقين أيضا في كتابة ما يكتبونه عنّا..ولم يزدني ذلك إلا ثقة بأن للمستشرقين أيما عناية بكل ما يهم العرب والمسلمين». ينظر، عبد الوهاب الدخلي/ جلول ريدان، **العلامة حسن حسني عبد الوهاب(1883–1968)**، دار الكتاب الوطنية، تونس، 2017، ص31.

2 – محمد الجويلي، **شارل بيلا–Charles Pellat** ، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء– المغرب، 2019م، ص124.

3 – جلول ريدان، حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص297.

(C'est une petit chose) ولما فضضت ختام الظرف وجدت داخله صورة شمسية من مخطوطة مبتورة،...اعتمدت عليها في تحرير مقالة حول تشيع الناس لمعاوية في القرن الثالث الهجري»[1].

كما كانت له علاقة مع المستشرق جورج مارسيه- (George Marçais) المتخصص في الفن والعمارة الإسلامية في المغرب العربي، الذي قدم عبد الوهاب له السياق التاريخي والثقافي الذي يفتقده الباحث الغربي عن تونس وبلاد المغرب، مما أعطى أبحاث مارسيه عن عمارة تونس عمقا ومصداقية علمية[2].

كانت تسمية عبد الوهاب عضوا مشاركا في المجمع الفرنسي للنقائش والفنون الجميلة منذ سنة 1939م، ثم عضوا مراسلا للمعهد التاريخي الإسباني في مدريد، وإلقائه لسلسلة محاضرات في تاريخ المغرب في معهد الأبحاث الإسلامية بجامعة السربون[3]، ذروة التأثير والتأثر بالمدرسة الاستشراقية، حيث أصبح جزءا من تلك المؤسسات نفسها، يتفاعل مع أبحاثها وينشر فيها، ويحاور منتوجها المعرفي من الداخل. فهو لم يكن مجرد متلق فقط، بل عمل على نقد وتقويم بعض التأويلات الخاطئة التي وقع فيها المستشرقون بسبب سوء الفهم اللغوي أو الاعتماد على مصادر غير موثوقة. وقد كان يستند في تصحيحه هذا إلى تكوينه كباحث متمكن من أدوات الاستشراق وخبير بالتراث العربي الإسلامي[4].

كما خاض معارك فكرية ضد الرواية الاستعمارية الاستشراقية التي حاولت تهميش الهوية العربية الإسلامية لتونس، وربطها حصريا بالإرث ما قبل الفتح الإسلامي (البونيقي والروماني والبيزنطي). فمن خلال أبحاثه العديدة أثبت عمق وأصالة الحضور العربي الإسلامي، وكيفية تشكيله للهوية الحضارية لتونس[5].

---

1 - شارل بيللا، المرجع السابق، ص60.

2 - **جورج ألفريد مارسيه(1876-1962م)**: المستشرق والرسام والمؤرخ الفرنسي، عرف مارسيه ببحوثه حول الآثار والفن الإسلامي، وشكل الفن المعماري محورا لأهم دراساته، ومن تلك البحوث نذكر: العمارة الإسلامية في بلاد المغرب، الفن الإسلامي، تونس والقيروان...ينظر، محمد لطفي الزليطني، **جورج مارسيه Georges Marçais**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2021.

3 - عبد الوهاب الدخلي/ جلول ريدان، المرجع السابق، ص02.

4 - نشر حسن حسني عبد الوهاب مقال حول"جزيرة شكلي"، جاء فيه:«قرأت في العدد الأول من "البدر" نبذة تاريخية عن تاريخ جزيرة شكلي.. وقد عن لي أن أتحفكم ببعض أخبار تلك الجزيرة الصغيرة بإثبات حقيقتها التاريخية في الدور الإسلامي. وقبل الكلام عنها يظهر لي أن النبذة المنشورة "بالبدر" هي ترجمة بعض فصول الإفرنج الجاهلين بالتاريخ العربي لهذه البلاد والآثار الإسلامية المشاهدة بها. لذلك تراهم مهما وجدوا حصينا منيعا أو معهدا شامخا نسبوا إشادته أما إلى الرومان أو إلى الروم البيزنطيين أن كان قديما وإما إلى الأسبان إن كان البناء حديثا، وقلما نسبوا الآثار الإسلامية لمشيديها لتوهمهم أن العرب لم يتركوا شيئا يذكر من المباني في شمال إفريقيا عدا بعض السبابيل أو المساجد...لهذا نسب ذلك الباحث الإفرنجي حصن جزيرة شكلي إلى الأسبان...ولم يخطر بباله أنه عربي من عصر الفتح الإسلامي». ينظر، جلول ريدان، المرجع السابق، ص509. نقلا عن، **مجلة البدر**، مج02، 1922م، ج02،ص ص98-99.

5 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "الثقافة في تونس"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ع04، مصر، 01أكتوبر 1953م، ص ص534-541.

لم يكن تبني عبد الوهاب للمنهج الاستشراقي مجرد تقليد، بل تجاوزه إلى التوظيف وبناء رواية تاريخية تثبت أصالة الهوية العربية الإسلامية لتونس مستقلة عن الرواية الاستشراقية الاستعمارية. وبذلك يمكن اعتبار تجربته نموذجا تأسيسا لاستيعاب أدوات الاستشراق المعرفية وتوظيفها لخدمة التراث العربي الإسلامي.

المطلب الثاني: مساهمتهما في مؤتمرات المستشرقين.

انعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين في باريس عام 1873م، ثم تتابعت كل ثلاث أو أربعة سنوات في إحدى العواصم الأوروبية كلندن، برلين، روما ، أثينا،... وكانت هذه المؤتمرات بمثابة برلمان أكاديمي للاستشراق، تعرض فيه آخر الأبحاث وتوجه فيه الدراسات، وقد عقدت هذه المؤتمرات في ذروة الهجمة الاستعمارية الأوروبية على العالم العربي والإسلامي، لذلك لم تكن حيادية تماما كما رأينا سابقا.

كان حضور المثقفين العرب والمسلمين نادرا في البداية، ثم بدأ يتزايد تدريجيا مع تتالي المؤتمرات، إلا أن حضورهم كان لا يتجاوز الحضور الشكلي أحيانا، أو استثنائيا عندما يكون الحاضرون من ذوي الكفاءة العلمية العالية مثل: محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.

والإشكال المطروح هنا: كيف شكل حضور محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية نموذجا للمشاركة الفاعلة؟ وما هي انعكاسات هذا الحضور على إحياء التراث العربي الإسلامي وحمايته؟

1- مساهمة محمد بن أبي شنب في مؤتمرات المستشرقين: مثلت مؤتمرات المستشرقين التي انطلقت رسميا منذ عام 1873م في باريس محطات علمية مهمة، وقد شكل محمد بن أبي شنب ظاهرة فريدة في هذه المؤتمرات، حيث تجسدت من خلال صورة العالم المسلم الذي أتقن الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الانتماء للتراث الإسلامي والتمكن من الأدوات الأكاديمية الحديثة.

تعود بداية علاقة ابن أبي شنب بالمستشرقين إلى سنة 1894م، عندما لفت انتباه المستشرق الفرنسي رينيه باسيه عميد كلية الآداب بالجزائر، الذي أعجب بنبوغه وتفوقه فقام بضمه إلى الكلية دارسا ومدرسا. وقد رأى باسيه في ابن أبي شنب المؤهلات التي تمكنه من المساهمة في الحركة الاستشراقية، فشجعه على المشاركة في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين الذي انعقد بالجزائر عام 1905م.

شكل مؤتمر الجزائر للمستشرقين منعطفا في مسيرة ابن أبي شنب العلمية، حيث قدم فيه بحثين علميين في مجال الدراسات الإسلامية، الأول: دراسة حول "كيفية وصول صحيح البخاري إلى أهالي مدينة الجزائر"، استنبطها من خلال استثمار بعض أسانيد وإجازات أعلام مدينة الجزائر ومشايخها عبر القرون[1]، يقول عن تلك

1 - ينظر، أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905.

- Mohammed Ben CHeneb, **De La Transmission Du Recuil De Bokhary aux habittants D'ALGER**, op-cit, PP99-115.

الدراسة الدكتور سعد الله:" وبالنسبة لرواية الحديث نذكر أن محمد بن أبي شنب قدم دراسة سنة 1905م إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر، وقد تناول فيها كيف انتقل صحيح البخاري إلى الجزائر، وكيف ظلوا على روايته وسنده عبر العقود"[1]، وهي شهادة على أسبقيته في دراسة تاريخ الحديث الشريف وروايته في الجزائر.

قدم بن أبي شنب بحثه في سبعة عشرة صفحة، خصص عشرا منها لسلاسل الإسناد التي أوصلت صحيح البخاري إلى الجزائر، وخصص سبع صفحات للمقدمة التي افتتحها بالتنبيه على التفات الكثير من علماء الشرق وأوروبا نحو دراسة الآثار العلمية الإسلامية. والقيمة الكبيرة التي يحظى بها صحيح البخاري بين مصادر التشريع عند المسلمين، فترجم للبخاري، وبين بإيجاز تقسيم الكتاب، ومنهج ترتيب فصوله. وذكر أن الهدف من تلك الدراسة هو إبراز القيمة العلمية لوثائق الإجازات بوصفها مصادر تاريخية تكشف عن شبكات التعليم والتواصل بين العلماء في المغرب والأندلس والمشرق. وتحليل أسماء الشخصيات المذكورة في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، وتمييزها وتوثيقها، بغرض إعادة بناء المشهد العلمي في الجزائر خلال القرن السابع عشر، ودور الإسناد في حفظ الثقة للنص المنقول، وأهميته في قطع الطريق أمام التحريف المقصود أو غير المقصود[2].

أما البحث الثاني"الأعلام المذكورة في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي"، فقد تميز بالعمق والاتساع، بلغ عدد صفحاته الـ400 صفحة[3]، ترجم فيه لما يربو عن 360 عالما من الأعلام التي ورد اسمها في الإجازة، ثم ذيلها بمراجع بيبلوغرافية واكبت الجانب الأكاديمي الذي أنتجته المدرسة الاستشراقية في أبحاثها العلمية[4].

افتتح مقدمة هذا البحث بالحديث عن مفهوم الإجازة عند المسلمين، والإشارة إلى التشابه الموجود بين الإجازة وشهادة التخرج الجامعية "ليسانس"، وأنّ الغرض منها حصول الطالب على رخصة التدريس فيما درسه وامتحن فيه، وتمكنه من تبليغ ما تلقاه رواية أو دراية، من عند شيخ عالم قد شهد له معاصروه بذلك.

ثم أورد ابن أبي شنب ما ذكره "شيربونو-Cherbonneau"، من أن المتعلمين بالأندلس وإفريقيا، كانوا يقصدون من الرحلة إلى المشرق التكوين العلمي، ولقاء أكابر العلماء، بدرجة ليست أقل من مقصودهم زيارة البقاع المقدسة عند المسلمين. ويذكر أسباب اختياره "الأعلام المذكورين في إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي" لهذه

---

1 – ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998م، ص47، نقلا عن، المجلة الإفريقية، 1905، عدد خاص بمؤتمر المستشرقين.

2 – ينظر، أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905.

- Mohammed Ben CHeneb, **De La Transmission Du Recuil De Bokhary aux habittants D'ALGER**, op-cit, PP99-115

3 - Actes Du XIV^{e} Congres International Des Orientalistes ALGER 1905, op-cit, p168.

4 – عبد الحميد برقية، **الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879–1962**، أطروحة دكتوراه في الطور الثالث، إش، محمد شرقي، جامعة 8 ماي 1985 قالمة، 2022/2021، ص 145.

الدراسة، بعدم وجود فيما نشر بلغة الأوروبيين إجازة عامة تذكر مختلف العلوم الإسلامية مع ذكر أسانيدها، وذكر سببا آخر لهذا الاختيار، وهو كون غالب أعلام هذه الإجازة مغاربة.

حاول ابن أبي شنب من خلال بحثه تقريب مفهوم الإجازة للمستشرقين، من خلال مقارنتها بشهادة الليسانس، ثم قدم بعض الفوارق بينهما على غرار؛ الصياغة التفصيلية لما أجيز به الطالب عند المسلمين، وتزويد الطالب بسلسلة من الأعلام الذين أوصلوا إليهم تلك المعارف والعلوم، وكذا البعد الروحي للإجازة أو ما يعرف بـ"بركة السند".

وقد تجاوز بن أبي شنب خلال هذا الدراسة المباحث الشكلية؛ كالتعريف اللغوي بالإجازة وأقسامها وأنواعها، لينفذ إلى أهم ما يرجى من هذه الإجازات، وما تضمنته من فوائد عظيمة في رصد مسارب وصول العلوم الإسلامية ومؤلفاتها، من خلال تتبع تلك الأسانيد عبر التاريخ، ومعرفة الروابط بين علماء الأمة، وانتقال المعارف بينهم.

تميزت إسهامات ابن أبي شنب بالريادة في تعريف الأوساط الأكاديمية الغربية بمنهجية التوثيق الإسلامي الفريد، فقد استطاع من خلال بحثيه في مؤتمر 1905م، أن يقدم للمستشرقين مفهوما عميقا لنظام الإجازة والإسناد، مقارنا إياه بالشهادة الجامعية الحديثة، لكنه أبرز في الوقت نفسه الخصائص المتميزة للمنظومة الإسلامية، ومنها الاتصال المباشر بين العلماء والطلاب. لقد بين ابن أبي شنب أن قيمة الإجازة لا تكمن في شكلها فقط، بل في مضامينها العلمية والروحية، فقام بتحليل إجازة الشيخ عبد القادر الفاسي، مبرزا الشبكة العلمية الممتدة بين المشرق والمغرب، والطرق التي انتقلت بها العلوم الإسلامية عبر القرون.

كما انتدبته الإدارة الفرنسية لتمثيلها في عدة مؤتمرات، منها المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا العربية الذي عقد بالمغرب عام 1928م، فذهب بصحبة عميد كلية الآداب آنذاك م. مارتينو-(M.Martino)، والتقى بالعديد من علماء أهل المغرب والوافدين إليها أمثال: الوزير محمد المقري والسيد أحمد الرهوني وزير عدلية المنطقة الإسبانية، والسيد محمد الحجوي نائب وزير العلوم والمعارف، والسيد حسن حسني عبد الوهاب نائب المملكة التونسية، والشيخ عبد الحي الكتاني وطائفة من المستشرقين منهم: ليفي بروفانصال-(Levy Provencal) وغيرهم الكثير. قدم في هذا المؤتمر بحثا كتبه بالفرنسية عن العلامة ابن القنفد القسنطيني وكتابه: "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- La Farisiya ou les débutes de la dynastie hafside"[1]. فازدادوا بالشيخ إعجابا، ودُعي لإلقاء محاضرة ثانية باللغة العربية فكانت تحت عنوان: "رأي غريب في القرآن" منسوب للجاحظ[2].

---

1 - Mohammed Ben Cheneb, Florilége, op-cit, p72.

2 - على تابليت/ الطيب ولد العروسي، **محمد بن أبي شنب –أعماله وآثاره**، ج1، جامعة الجزائر، انجاز وتصميم منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2010، ص 25 وما بعدها.

أما مشاركته في المؤتمر الدولي السابع عشر للمستشرقين "بأكسفورد- Oxford" عام 1928م، فقد مثل فيها جامعة الجزائر، وقدم بحثا عن "ابن خاتمة شاعر عربي أندلسي من شعراء القرن الثامن للهجرى"[1]. وقد لفت الأنظار بمظهره التقليدي حيث ظل ملتزما بالزي الجزائري، بينما كان يلقي بحثه بالفرنسية ببلاغة وأسلوب علمي رصين، مما دفع محمد كرد علي إلى وصفه بأنه «جمع بين بلاغة القلم وبلاغة اللسان، ووفر له قسطا من العلم والبصيرة»[2].

تشكل مسيرة محمد بن أبي شنب نموذجا ملهما للعالم المسلم الذي استطاع أن يحول المؤتمرات الاستشراقية من مجرد منصات للدراسات الشرقية إلى منابر للتواصل الحضاري الندي. لقد نجح في تقديم التراث العربي الإسلامي بصورة علمية أصيلة، محافظا على هويته الإسلامية مع مناقشة قضاياه بمنهجية علمية عصرية. تظل إسهاماته شاهدا على قدرة العالم المسلم على المساهمة الفاعلة في الحوار العلمي الدولي، مع الحفاظ على أصالته وخصوصيته الحضارية.

2- حسن حسني عبد الوهاب في مؤتمرات المستشرقين: تمثل مشاركات حسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية مراحل متطورة في مشروعه الفكري الذي يجمع بين المنهجية العلمية الرصينة والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية لتونس. وقد توزعت هذه المشاركات على عدة مؤتمرات رئيسية، كل منها يمثل مرحلة نوعية في تطور فكره وأدواته العلمية.

شجع عبد الوهاب الاتصال النظري بالمستشرقين على الاتصال الفعلي، فكان حضوره للمؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين بالجزائر سنة 1905 طليعة نشاطه في هذا الحقل، أين قدم بحثا بالفرنسية عن تاريخ "الاستيلاء العربي على صقلية"[3] نشر في محاضر المؤتمر، كما طبع على شكل كتيب مستقل في تونس في نفس السنة[4]. ركز عبد الوهاب في هذا البحث على إبراز الطابع المغاربي للوجود الإسلامي في صقلية، مبينا الصلاة الوثيقة بين افريقية وجزيرة صقلية، ومؤكدا على الدور المركزي للأغالبة في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى أوروبا.

1 - على تابليت/ الطيب ولد العروسي، المرجع السابق، ص58 وما بعدها.

2 - محمد كرد علي، المعاصرون، المصدر السابق، ص338.

3 - ووقع تعريب هذا البحث ونشر في القسم الثالث من الورقات، ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **الورقات**، ج3، المصدر السابق، ص ص435-476./ عبد الوهاب الدخلي/ جلول ريدان، **العلامة حسن حسني عبد الوهاب(1883-1968)**، دار الكتاب الوطنية، تونس، 2017، ص31.

4 - HASSEN HUSNY ABDUL-WAHAB, **LA Domination Musulmane En SICILE**, **op-cit**, pp2-3.

وفي هذا المؤتمر كان أول احتكاك مباشر لعبد الوهاب وهو شاب في بداية مسيرته بالمجمع الأكاديمي الاستشراقي، أين تعرف على ثلة من العلماء المشاركين عربا كانوا أو غربيين منهم: محمد فريد بك، والشيخ عبد العزيز شاوش، وميشال أسين بالاثيوس، ووليام مارسي، ومحمد بن أبي شنب وغيرهم[1].

أما ثاني مؤتمر حضره حسن حسني عبد الوهاب، فكان المؤتمر الخامس عشر للمستشرقين بـ"كوبنهاقن 1908" بالدنمارك، أين كان من المفترض أن يقدم مداخلة حول "مختلف العناصر التي يتكون منها الشعب التونسي"، والذي طبع مستقلا بعد ذلك في تونس سنة 1917م. إلا أنه عوض ذلك بالتصدي للأب "لامنس" والأب "لويس شيخو" واعترض عليهما لأنهما افتريا على النبي محمد صل الله عليه وسلم بما لا يليق، وتجاسرا بإبداء الطعن على الإسلام جهاراً، ورغم أنه كان المسلم الوحيد الذي حضر هذا المؤتمر، إلا أن معارضته للراهبين المتقدمين كانت له رنّة كبيرة بين المؤتمرين، وتأييد من جانب عظيم منهم[2].

وثالث هذه المؤتمرات هو مؤتمر باريس للمستشرقين الفرنسيين في سنة 1922م، ولم نعثر على ما يفيدنا بشيء حول هذا المؤتمر، غير أن اسمه مسجل في فهرس الأسماء ويتكرر الأمر في عديد المؤتمرات الأخرى التي حضرها.

تختلف الأمور بعد 1925م حيث بينت الكثير من الوثائق، كما بين حسن حسني عبد الوهاب نفسه أنه حضر مؤتمر رباط الفتح بالمغرب عام 1927م، ثم مؤتمر كمبريدج بأنجلترا، واسطنبول ومونيخ في ألمانيا، كممثل للحكومة التونسية[3]. كما دُعي لحضور الندوات العلمية التي دارت بالبندقية في معهد الكونت شيني، وكذلك ملتقى فلورنسة في ايطاليا للتقارب بين المدنيات والأديان وغير ذلك.

وتعد مشاركة حسن حسني عبد الوهاب في مؤتمر الموسيقى العربية بالقاهرة سنة 1932م، تجسيدا لحركة إحياء التراث العربي الإسلامي التي شهدتها الحقبة الحديثة[4]، فبصفته "عالم المعهد العلوي بتونس"-كما ورد في سجل أعضاء المؤتمر- مثل عبد الوهاب حلقة وصل حيوية بين تراث المشرق والمغرب الإسلامي، مما يؤكد على

---

1 - يقول عبد الوهاب: «امتدت علاقتي بجميعهم بعد ذلك»، يقصد بعد مؤتمر الجزائر، وفي مقدمتهم ابن أبي شنب الذي كان يتبادل معه الرسائل ومما كتب بن شنب لعبد الوهاب نجد ما نصه: « جانب سمو الشيخ حسن حسني عبد الوهاب الأكرم، أدام الله بقاءه، وأجزل جزاءه، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فإن أشعة رسائلكم قد احتجبت عني منذ أزمان، وتاقت النفس إلى الإطلاع عليها غاية التوقان، فظنت ظنونا ورنت رنونا...»، وفي رسالة من عبد الوهاب إلى ابن أبي شنب نجد:« وافاني كتابكم كتب الله لكم السعادة، وأغدق عليكم نعمته، وزيادة بوشيكم الرائق وترصيعكم الفائق مثبتا لحياة الترسل بالإيالة الجزائرية، أكثر الله من أمثالكم في الهيئة الإسلامية وعزز ببراعتكم حملة الأقلام العربية». ينظر، الطيب ولد العروسي، **أعلام من الأدب الجزائري الحديث**، المرجع السابق، ص63.

2 - حسن حسني عبد الوهاب، **الخلاصة**، المصدر السابق، ص180.

3 - A.N.T, S.F, C19, D28/1- 28/2- 28/3.

4 - A.N.T, S-F, C19, D43, P10, 09/11/1931, (1930/1931).

الوحدة الحضارية للعالم العربي. وقد تجلى هذا الدور من خلال تمثيله الرسمي لتونس كرئيس للوفد المشارك في المؤتمر، واختياره متحدثا باسم جميع الوفود العربية في حفلي الافتتاح والاختتام[1].

في خطبة الافتتاح، استحضر عبد الوهاب أمجاد الحضارة الإسلامية باستذكاره خلفاء بني أمية والعباسيين والفاطميين، معتبرا المؤتمر استئنافا للدور التاريخي للدولة الإسلامية في رعاية العلوم والفنون، وقد جاءت خطابه مؤصلا للبعد الحضاري للمؤتمر، حيث أشاد بدور مصر كوارث قائلا: «فكان عصر بغداد العباسي قد جُدِّدت، وعهد قرطبة الأموي قد أُحي»[2].

أسهم عبد الوهاب إسهاما فعالا في العملية التوثيقية للمؤتمر من خلال مشاركته في لجنتين محوريتين: لجنة تاريخ الموسيقى والمخطوطات، حيث قدم خبرته في دراسة المخطوطات والتراث المدون، ولجنة التسجيل، التي اضطلعت بمهمة توثيق التراث الموسيقي الشفوي باستخدام تقنيات التسجيل الحديث. وقد مثلت هذه المشاركة نقلة نوعية في حفظ التراث من الاعتماد على الذاكرة والرواية الشفاهية إلى الأرشفة العلمية المنظمة[3].

هذه المشاركات المتتالية تكشف عن تطور منهجي واضح في مشروع عبد الوهاب لإحياء التراث، فقد انتقل من مرحلة التوثيق والحصر إلى مرحلة التحليل والمقارنة، ثم إلى مرحلة بناء المشاريع وإنشاء المتاحف. لقد استطاع عبد الوهاب من خلال هذه المشاركات أن يقدم نموذجا للمثقف العربي المسلم، القادر على التواصل مع الآخر دون أن يفقد هويته، والملتزم بقضايا أمته دون أن يتخلى عن الموضوعية العلمية.

شكلت مشاركة محمد بن أبي شمب وحسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية منعطفا مهما في مسار إبراز التراث العربي الإسلامي في هذه المحافل. فبينما قدم ابن أبي شنب دراسات رائدة في التراجم والسير والأسانيد العلمية، تميز عبد الوهاب بالتوثيق والدفاع عن الهوية الإسلامية. وقد مثلت مشاركتهما تحولا من الحضور الشكلي إلى المساهمة الفاعلة، مستخدمين هذه المنصات لتقديم رواية أصيلة للتراث بعيدا عن الرؤية الاستشراقية المتحيزة.

---

1 – مما جاء في خطبة حسن حسني عبد الوهاب في حفلة افتتاح المؤتمر: «شرفني رفاقي أبناء الشرق في هذا المؤتمر الأغر، من الفرات إلى المحيط الأطلنطي، للإعراب عما تكنه قلوبهم في سويداواتها، وتنطلق به ألسنتهم عاليا من الثناء العظيم على مصر منبع الكرم ومنبت المكارم، وقد أبصر كل منا في المدة التي قضاها في بلاد مصر من شواهد اللطف وعواطف الكياسة والظرف ما صدّق فيه الخبر بالخبر، وفي ذلك بلاغ. أجل، أليس هذا المؤتمر مأثرة لمصر في إظهار مزايا العرب في مضمار المدنية، وإبراز فضائل الشرق الفنية، وقديما عرفت مصر بأنها مصدر التثقيف ومورد التدوين والتأليف». ينظر، وزارة المعارف العمومية، **كتاب مؤتمر الموسيقى العربية**، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1933م، ص58.

2 – المصدر نفسه.

3 – يجدر الإشارة إلى أن مهمة إلقاء خطبة حفلة اختتام المؤتمر تكررت لنفس الشخص–حسن حسني عبد الوهاب–، اعترافا بمكانته بين المؤتمرين. ينظر، "خطبة حضرة السيد حسن حسني عبد الوهاب في حفلة اختتام المؤتمر". المرجع السابق، ص ص66–67.

المبحث الثالث: إحياء التراث من خلال المساهمة في البعثات العلمية والمجامع اللغوية.

المطلب الأول: مساهمات محمد بن أبي شنب.

1- محمد بن أبي شنب في المجمع العلمي العربي بسوريا: تكمن أهمية دراسة مساهمات محمد بن أبي شنب في المجمع العلمي العربي بدمشق في كونها تمثل جسرا للتواصل العلمي بين المشرق والمغرب وإحياء التراث في مرحلة حرجة من تاريخ الأمة العربية الإسلامية.

تأسس المجمع العلمي العربي في دمشق عام 1919م تحت رئاسة محمد كرد علي، في ظل ظروف تاريخية بالغة التعقيد، حمل فيها المجمع على عاتقه مهمة «تعريب العلوم وإحياء التراث»، وكان إصداره لمجلته العلمية المحكمة منذ يناير 1921م، تجسيدا عمليا لهذه الرسالة. وقد مثل المجمع منتدى فكريا اجتمعت فيه أبرز النخب العربية، وسرعان ما أصبح نموذجا تحتذي به المجامع العلمية في الأقطار العربية الأخرى[1].

يعد محمد بن أبي شنب من الشخصيات الرائدة في الجزائر التي ساهمت توثيق التراث وإحيائه؛ إذ لم يكتف بالتعليم والبحث النظري بل تعمق في المخطوطات، وشارك في تحقيقها، ووسع من نطاق المعرفة العربية بتاريخ الجزائر وبلاد المغرب من موقعه عضوا مراسلا في المجمع العربي بدمشق.

فقد كانت عضويته المراسلة في المجمع منذ سنة 1920م ثمرة لتقدير علمي متبادل، إذ رأى فيه محمد كرد علي نموذجا للعالم المغاربي المتضلع في اللغة والتاريخ والمخطوطات، والقادر على إثراء أعمال المجمع بالمادة التراثية النادرة. لقد انخرط ابن أبي شنب في أنشطة المجمع من خلال المراسلات، والملاحظات النقدية، والمقالات، والمقترحات العلمية التي نشرت في مجلة المجمع العلمي بين سنتي 1922 و1929م، والتي شكلت سجلا وثائقيا مهما حول طبيعة إسهاماته.

ففي أول مشاركة له بالمجلة على شكل تعقيب لغوي، يرسل تصحيحا لمقال سبق أن وقع بين يديه عن كتاب "المثلث" لقطرب، فيه نموذجا راقيا للأخلاق العلمية، فيعنونه بـ"ملاحظة"[2] ويورد النص مورد الاختلاف: رأيت في أول صفحة من العدد الثاني لسنة 1922م ما نصه «واشتهر قطرب بتآليف كثيرة لغوية منها كتاب المثلثات المطبوع في ماربوغ سنة 1857م بعناية فيلمار وهي أرجوزة كان أول من جمعها»[3]. هذان السطران يعلق

---

1 – مَهَّد المجمع العلمي العربي في دمشق إلى تأسيس مجامع علمية في مختلف الأقطار العربية، كالمجمع العراقي سنة 1921م، والمجمع الأردني سنة 1924م، والمؤسسة اللغوية في المغرب العربي"بيت الحكمة" التي تأسست بتونس سنة 1938م. ينظر، الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض–السعودية، 1999، ج22، ص ص167–268.

2 – محمد بن أبي شنب، "ملاحضة"، **مجلة المجمع العلمي العربي** ، مج2، دار صادر، دمشق– سوريا، 1922م، ج2، ص151.

3 – قطرب: هو أبي علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب المتوفى سنة 206هـ/821م، وهو من كبار علماء اللغة ومن الموالي، تخرج على سيبويه وبعض الأئمة البصريين واشتهر بتآليف لغوية منها كتاب "المثلثات". ينظر، "من نوادر المخطوطات"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج2، دار صادر، دمشق– سوريا، 1922م، ج2، ص33.

عليهما بملاحظات ثلاث مقدما بين يديها اعتذارا جميلا موجزا لصاحب المقال دون ذكر اسمه أو تجريح في شخصه فيقول: «هذه العبارة تقتضي بعض إصلاح أو إيضاح وارجوا من جانب محررها السماح»[1].

في الملاحظة الأولى يشير إلى تصحيح اسم الكتاب من "المثلثات" إلى "المثلث" وأنه لم يطبعه على حد علمه. ويوضح في الثانية أن قطرب لم ينظم مثلثه فهو كتاب نثري كباقي مؤلفاته وليس نظماً. أما في الملاحظة الثالثة، فيصحح معلومات النشر (مكان الطبع وتاريخه)، وعن الكتاب المطبوع فيقول: «أم الذي طبعه فيلمار في ماربورغ (لاماربوغ) سنة 1856م (لا 1857م) فهو أرجوزة المزدوجة التي نظمها وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن بن عبد الوهاب المهلبي البهنسي الشافعي المتوفى سنة 685»[2]. وهذه الأرجوزة قد طبعت في مصر سنة 1315هـ، منسوبة لقطرب نفسه مع أن صاحبها قال في آخرها:« نظمت في وصفي له مثلثا لقطرب"، والأرجوزة معزوة لمؤلفها المهلبي موجودة في مكتبة برلين عدد 7074 وغوطا عدد 36 و 61 و 410 »[3]، ويعلن استعداده لنسخ مثلث قطرب وإرساله للمجمع إن أراد طبعه إحياء للرفات وأنشارا للأموات. ويختم ملاحظته بإرشاد صاحب المقال إلى مواطن تراجم بعض العلماء الذين أغفل التعريف بهم.

تكشف هذه الملاحظات عن عمق تكوينه في فقه اللغة والاشتقاق، وعن وعيه بأن إحياء التراث لا يقتصر على نشر المخطوطات، بل يشمل أيضا تصحيح اللغة وصونها من التحريف.

أما المشاركة الثانية فكانت مداخلة في سيرة المستشرق الفرنسي"رينه باسه"[4]، أحد رفاق دربه والعضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، اثر وفاته وهو قبل كل ذلك أستاذه الذي كونه وأثر فيه، وهو أيضا عميد الاستشراق الفرنسي في عهد ازدهاره–أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين–، وقد كتب بغزارة عن التراث العربي الإسلامي بالجزائر، وقد كان محمد بن أبي شنب «العضد الأيمن لباسيه في الدراسة العربية ولمخطوطات والعادات واللغة وهو الذي عينه مساعدا له في مدرسة ثم كلية الآداب»[5].

وقبل رصده الدقيق لسيرة هذا المستشرق يقدم التعزية للمجمع الذي وقف دقائق صمت حدادا عليه–كما يقول– ويعزي أسرته وتلامذته ومريديه ويدعو له بالرحمة تعداد حسناته، ليتتبع سيرة الراحل بدقة فائقة ويصنف مؤلفاته المطبوع منها والمخطوط.

لم تكن المقالة مجرد رثاء، بل كانت قراءة مقارنة بين مناهج التحقيق العربية والأوروبية، حيث لاحظ ابن ابي شنب أن بعض المستشرقين تعاملوا مع النصوص العربية كمواد لغوية جامدة، بينما ينبغي النظر إليها بوصفها

1 – المصدر نفسه، ص151.

2 – المصدر نفسه.

3 – شرحها ابن أبي شنب وطبعت بالجزائر عام 1907م تحت عنوان"شرح نظم مثلثات قطرب".

4 – عنوان المقال: "المرحوم العلامة رينه باسه"، ينظر، **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج4، دار صادر، دمشق– سوريا، 1924م، ص164.

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 06، ص30.

عناصر ثقافية حية تنتمي إلى بيئتها الفكرية والاجتماعية، وقد أكد على أن التعاون بين العلماء العرب والمستشرقين ممكن إذا بني على الاحترام المتبادل والمصادر الأصلية.

ويغلب على محمد بن أبي شنب ميله إلى التحقيق والدرس اللغوي، فنجده يلتفت إلى تصحيح بعض الأخطاء الشائعة وتسميات بعض العلماء فيتناول في مشاركة ثالثة بمجلة المجمع العلمي العربي السوري البحث في اسم العلامة أبي حامد الغزالي"الغَزَالي أم الغزَّالي"[1] والاختلاف الحاصل في "زايه" أمخففة أم مشددة؛ ويرجع لتحقيق هذا الأمر الذي يبدو للكثيرين بسيطا هينا إلى كم هائل من كتب التراجم والسير، وإلى ما يربو من عشرة معاجم[2].

وكدليل آخر على تحريه الدقة وحرصه على استوفاء الموضوع حقه وزيادة، مشاركته الرابعة بتسمية: "الجزائر"[3]، فلكي يثبت أن مدينة الجزائر في عهودها السابقة لم تكن رقعة جغرافية واحدة يرجع إلى عدد من أمهات المصادر التاريخية والجغرافية الشهيرة كتاريخ ابن خلدون و كتاب البنيان المغرب لابن عذاري وكتاب المسالك والممالك لابن حوقل،كل هذه المصادر اقتبس منها نصوصا لوصف الموقع الجغرافي للجزائر وكيف صيرها الأتراك رقعة جغرافية واحدة متصلة لا قطعا منفصلة مثلما كانت.

ولكن جغرافية هذا الموضوع لم تستطع إخفاء طبيعة ابن أبي شنب اللغوية، فنجده وهو في أوج البحث العلمي التاريخي يستند إلى معارفه اللغوية ويورد شاهدا من الألفية-ألفة ابن مالك- لجواز حذف المضاف إليه وتعويضه بـ"أل" التعريف تتقدم المضاف، فأصل كلمة الجزائر"جزائر بني مزغني أو مزغان" يقول: « وأما حذف المضاف إليه وتحلية المضاف بأداة التعريف فهذا أمر مشهور في لغة العرب، أما يقال البيت والمراد بيت الله الحرام، والمدينة المقصودة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم»، وقد أشار إلى ذلك ابن مالك في ألفيته:

وقد يصير علما بالغلبة مضاف أو مصحوب أل كالعقبة[4]

أما آخر إسهام له في مجلة المجمع العلمي العربي فكان بعد وفاته، فقد أرسل سيرته العلمية وما يتيح نشرها إلا بعد وفاته، وأول ما يشد انتباه القارئ في هذه السيرة هو تواضعه إذ يستهلها بقوله:"العبد الحقير محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب"، ومما يمكن ملاحظته في هذا المقام حرصه على كتابة اسمه العربي" ابن أبي شنب" في مؤلفاته العربية، بينما نجده في مؤلفاته الفرنسية يثبت اسمه الجزائري"Ben Cheneb" كما جاء في السجلات المدنية. ونجده في هذه السيرة يكتفي بذكر مراحل تعليمه وشهاداته ومؤلفاته العربية والفرنسية وما حققه من مصادر جلها مغاربية وبخاصة جزائرية.

1 - محمد بن أبي شنب، "الغَزَالي أم الغزَّالي"،**مجلة المجمع العلمي العربي**، مج7، دار صادر، دمشق- سوريا، 1927م، ص224.

2 - يرجح في الأخير أن «التشديد هو المشهور الجاري على لسان العلماء، قديما وحديثا وأن التخفيف مبني على قول السمعاني...». ينظر، المرجع نفسه، ص225.

3 - محمد بن أبي شنب، "الجزائر"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج9، دار صادر، دمشق- سوريا، 1929م ، ص99.

4 - المرجع نفسه ، ص101.

إن هذه المداخلات، على تنوعها بين المقالة النقدية والملاحظة اللغوية، والمراسلة التوثيقية، تكشف عن إيمان ابن أبي شنب بوظيفة المجمع بوصفه مؤسسة لإحياء التراث لا لحفظه فقط، فهو يري أن العمل التراثي الحقيقي لا يتحقق إلا بالتحقيق والمقارنة والنقد، وأن مهمة العالم ليست أن يكون ناسخا بل محققا.

وإجمالا، يمكن أن نسجل عدة ملاحظات تحدد بعض ملامح هذه الشخصية العلمية من خلال تلك المساهمات أهمها:

– شخصية موسوعية اجتمعت فيها عدة مواهب، فهو المحقق، والمترجم، الذي يزاوج بين الحس التاريخي والمنهج اللغوي، ويجعل من تحقيق النصوص وسيلة لإحياء التراث وتوثيق اللغة.

– تتبع منهج المستشرقين الذين تتلمذ على أيديهم وتأثر بهم، ففي أبسط الأمور والقضايا يعمد إلى مقابلة النصوص والتعليق عليها والحرص على الدقة في التوثيق.

– يتجلى في جل كتاباته أثر شغفه بالدرس اللغوي وإحاطته بأمهات مصادره.

– تجاوز نشاطه داخل المجمع حدود المشاركة الشكلية إلى مستوى المساهمة الفكرية المؤثرة في رسم ملامح مشروع إحياء التراث العربي الإسلامي في بدايات القرن العشرين.

2– محمد بن أبي شنب والكتابة في دائرة المعارف الإسلامية: تعد دائرة المعارف الإسلامية أضخم المبادرات العلمية التي أنتجها الاستشراق الأوروبي في القرن العشرين تحت إشراف دار النشر الهولندية Brill بمدينة ليدن، حيث ظهرت طبعتها الأولى بين عامي 1913 و1938م[1]، من تحرير نخبة من المستشرقين أمثال: "هوتسما– Houtsma"و"أرنولد– Arnold"و"باسيه– Basset"و"مارسيه– Marçais"، بهدف تقديم معرفة شاملة عن العالم الإسلامي. في هذا الإطار اعتمد القائمون على الموسوعة على تحقيقات عربية أصيلة، كان من أبرزها أعمال محمد بن أبي شنب، لما امتازت به من توثيق وتحقيق علمي دقيق، خاصة في مجالات التاريخ وسير العلماء والأدب في بلاد المغرب[2].

كتب محمد ابن أبي شنب مداخلات علمية دقيقة في دائرة المعارف، تناول فيها سير أعلام من مختلف فروع المعرفة، مثل ابن الحاجب[3] في أصول الفقه، وابن رشيق القيرواني[1] في النقد والأدب، والجزولي وعبد القادر

---

1 – **دائرة المعارف الإسلامية**، نقلها إلى اللغة العربية، محمد ثابت الفندي وآخرون، مج1، 1933، ص ص258–259.

2 – من أبرز ما اعتمدت عليه دائرة المعارف الإسلامية من أعمال، دراسة بن أبي شنب المنشورة سنة 1908م حول الأعلام الذين ذكرهم الشيخ عبد القادر الفاسي في "الإجازة"، والذين يقدر عددهم بـ360 عالما. ينظر

Actes Du XIV[e] Congres International Des Orientalistes ALGER 1905, op-cit, pp168-560.

3 – ابن الحاجب(570هـ–1175م/646هـ–1249م)، جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، نحوي عربي، ولد بصعيد مصر، وحفظ القرآن بالقاهرة، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه وأصول مذهب الإمام مالك، وكذلك درس النحو والأدب. وأهم شيوخه الإمام الشاطبي والفقيه أبو منصور الإبياري وغيرهما. ويعد أول فقيه جمع بين عقائد المالكية في مصر وعقائد المالكية في المغرب. ينظر، محمد بن شنب، "ابن الحاجب"، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للابداع الفكري، 1998، ص152–155.

الفاسي في التصوف المغربي، والجوهري والخليل بن أحمد في اللغة والمعاجم، والذهبي والدارمي والدياربكري في الحديث والتاريخ. وقد تميزت دراساته بصرامة المنهج، ودقة الإحالات، واعتماده المقارنة بين المصادر المخطوطة والمطبوعة، مما منحها طابعا تحقيقيا أصيلا.

إن هذه الأعمال لا تمثل مجرد تراجم تقليدية، بل هي جهد نقدي في إعادة قراءة التراث بوسائل البحث العلمي الحديث، وإعادة تقديم أعلام الإسلام للثقافة الغربية بصورة موضوعية ومتوازنة. وبذلك يكون بن أبي شنب رائدا في حركة إحياء التراث العربي الإسلامي على أسس علمية موثوقة.

وأما كتابه"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للغُبريني، فقد اكتسب مكانة مرجعية في الأوساط الاستشراقية، حيث اعتمدته دائرة المعارف الإسلامية في مداخلات عديدة، بوصفه مصدرا أساسيا في توثيق الأماكن وأسماء العلماء والمدارس في المغرب الأوسط. مما رسخ حضور ابن أبي شنب في الدراسات الإسلامية الأوروبية، واسهم في إدخال التراث الجزائري ضمن البنية المعرفية للدائرة، وجعل من عمله نموذجا لتفاعل التحقيق العربي مع البحث الاستشراقي[2].

ويعد كتاب "طبقات علماء إفريقية" لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، حجر الزاوية في حضور ابن أبي شنب داخل الموسوعة، إذ كشف من خلاله عن الحياة الفكرية والعلمية في القيروان وتونس منذ القرن الثالث للهجرى، وبعث سير علماء طمست أسماؤهم في المصادر الأوروبية. وقد أتاح هذا العمل للمستشرقين والباحثين على التعرف عن طبقات العلماء والفقهاء الذين مثلوا المدرسة المالكية بإفريقية، مثل الإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني وأسد بن الفرات وغيرهم[3]، مما جعله مرجعا رئيسيا عند إعداد مادة تونس"إفريقية". وهكذا ساهم ابن أبي شنب من خلال تحقيقه لهذا النص في تثبيت الهوية العلمية لتونس في الدراسات الموسوعية الغربية، وجعل من التراث المحلي القيرواني مصدرا موثوقا لقراءة التاريخ الفكري لإفريقية الإسلامية.

لا يختلف منهج محمد بن أبي شنب في كتابة مقالاته لدائرة المعارف الإسلامية عن المنهج الاستشراقي السائد في عصره من حيث الشكل والإطار العام، فقد التزم –مثل أقرانه من المستشرقين الأوروبيين– باستخدام عدد من المصادر والمراجع بمختلف اللغات، مم منح أبحاثه طابعا أكاديميا مقبولا في الوسط العلمي الغربي، غير أن

---

1 – ابن رشيق، أو علي الحسن بن رشيق الأزدي، ولد في المحَمَّدية(المسيلة) من أعمال الجزائر حوالي عام 385هـ(995م) أو 390هـ (1000م)، درس أولا في مسقط رأسه، ثم ارتحل إلى القيروان عام 406هـ (1015-1016م) فاتخذه المعز الخليفه الفاطمي شاعر البلاط. ينظر، محمد بن شنب، "ابن رشيق"، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، المرجع السابق، ص206-207.

2 – اعتمده بيل ومارسيه كمصدر أساسي في الترجمة لأبي مدين شعيب. **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص398-403.

3 – «وقد ظهر في هذه الأثناء اثنان من تلاميذ ابن القاسم فقيه المالكية المشهور في مصر هما: أسد بن الفرات الذي ولد لأسرة خراسانية وتوفي في صقلية عام 828م، وتلميذه سحنون(ابن سعيد التنوخي) الذي ولد في الشام لأب من مرتزقة الجد، وولي عام 850م قضاء القيروان فنصر المذهب = =المالكي الذي تهددته حنفية عدد من العلماء. ولاتزال مدونة ابن الفرات عُمدة يرجع إليها؛ وظلت المالكية المذهب الغالب في تونس». **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، المرجع السابق، ص ص2469.

موقعه بوصفه عالما عربيا مسلما ينتمي إلى نفس السياق الحضاري الذي ينتخب منه مقالاته، ولا سيما مقالات التراجم، منحه تميزا جوهريا. فبينما انشغل كثير من المستشرقين بتفكيك الشخصية التاريخية وتحليلها من الخارج، قدم بن شنب نظرة مركزة من الداخل، تتعامل مع المترجم له ليس كمجرد موضوع للدراسة، بل كشخصية حية في ذاكرة الأمة.

بقي أن نشير إلى أن هناك عدة عوامل هيأت لابن أبي شنب الطريق للمساهمة في دائرة المعارف الإسلامية. فمن جهة، تمكنه من بناء سمعة بحثية رصينة عبر إسهاماته المبكرة في تحقيق المخطوطات، والمشاركة البارزة في مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905م، إلى جانب إتقانه عديد اللغات. ومن جهة أخرى، استفادته من علاقته العلمية مع أستاذه رينيه باسيه[1] الذي أشرف على تكوينه، وكذلك من شراكته مع زميله جورج مارسيه الذي تبادل معه الوثائق والمنشورات في مجال الآثار الإسلامية. وقد وفر له هذا التمازج بين الكفاءة العلمية وشبكة العلاقات الشخصية، التأهل للمشاركة في هذا المشروع الموسوعي الدولي.

إنّ دراسة مساهمات محمد بن أبي شنب في دائرة المعارف الإسلامية، تكشف عن دور علمي مزدوج: فهو من جهة كان له السبق في بناء معرفة عالمية بالتراث العربي الإسلامي، ومن جهة أخرى ساعد على إحياء هذا التراث وبعثه من جديد. وبذلك يمكن القول بأن ابن أبي شنب كان رائد المشاركين العرب في الفكر الموسوعي الحديث، وممن ساهموا في إحياء الذاكرة العلمية للحضارة الإسلامية في القرن العشرين.

3- محمد بن أبي شنب وإسهاماته في المجلة الإفريقية: يعد محمد بن أبي شنب من أوائل الذين أدخلوا التراث العربي الإسلامي في نطاق الدراسات الأكاديمية الأوروبية، إذ يشكل نشاطه في المجلة الإفريقية (Revue Africaine) أبرز مظاهر مساهماته في تلك الدراسات، وفضاء للتفاعل المعرفي بين الباحث الجزائري العربي المسلم، والمستشرق الفرنسي الأوروبي المسيحي، في سياق استعماري كانت فيه الثقافة العربية عرضة للتهميش.

تأسست المجلة الإفريقية سنة 1856م بالجزائر العاصمة، تحت إشراف "الجمعية التاريخية الجزائرية"، وكانت تصدر بانتظام حتى سنة 1962م[2]. اتخذت المجلة طابعا علميا يُعنى بالقضايا الثقافية، والتراثية والتاريخية واللغوية والأدبية في الجزائر والمغرب العربي عامة. فنشرت مقالات عن اللهجات العربية، وتحقيقات في التراث العربي الإسلامي، ودراسات عن المدن الجزائرية وعاداتها وتاريخها، ما جعلها مرجعا علميا للباحثين في التاريخ الجزائري والمغاربي خلال الحقبة الاستعمارية[3].

1 - شغل باسيه منصب محرر القسم الفرنسي في دائرة المعارف الإسلامية.

2 - توقفت المجلة عن الصدور ما بين 1914-1918(الحرب العالمية الأولى)، لتواصل النشر بعد ذلك، وقد أصدرت 106 عدد إلى جانب الكتب والمنشورات وأعمال المؤتمرات. ينظر، أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، المرجع السابق، ص ص96-97.

3 - جرد لبعض عناوين المداخلات في المجلة الإفريقية طيلة أكثر من ربع قرن من الزمن:=

ومع مطلع القرن العشرين، أتاحت المجلة مجالا للباحثين الجزائريين لنشر بحوثهم إلى جانب المستشرقين الفرنسيين، ومن بين هؤلاء الجزائريين المساهمين محمد ابن أبي شنب، الذي ارتبط اسمه بالمجلة ارتباطا وثيقا منذ بداية نشاطه العلمي.

فقد كانت المجلة المجال الأرحب الذي أتاحت له عرض أبحاثه ونشر تحقيقاته وترجماته، كما كانت وسيلته إلى مخاطبة الأوساط العلمية الاستشراقية، ومن خلالها عرّف بالتراث العربي الإسلامي إلى جمهور أوسع من الدارسين الأوروبيين. وقد تنوعت إسهاماته في المجلة الإفريقية، ويمكن تصنيفها ضمن أربعة محاور رئيسية:

– في ميدان التحقيق: نشر عدة نصوص عربية نادرة من التراث الإسلامي مثل: مقدمة ابن الأبار في تكملة الصلة(المخطوط الكامل)، مقدما لها بشروح لغوية وتاريخية، وقد ساهم هذا في إخراج النصوص المهملة إلى النور، وإدخالها في المجال العلمي، وحفظها من الضياع أو سوء التأويل والقراءة.

= a- Ed et trad fr, d'une épitre anonyme intitulée «Khatima fi riyadat al-sibyan wa-ta'tibihim wa-ma yalik bi-dhalika», sous le titre «Notions de pédagogie musulmane», **R**.**Afr**, 1897, pp85-267.

b- Trad fr, d'une «Lettre sur l'éducation des enfants d'al-Ghazali», (éditée à Tunis en 1314/1897), **R**.**Afr**, 1901, pp101-110.

c- «Revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les Musulmanes en 1322 et 1323(1904-1905)», **R**.**Afr**, 1906, pp96-261.

d- «La guerre de Crimée et les Algériennes, poéme populaire de Muhammed b.Isma'il, poéte algérois,(1820-1870)», **R**.**Afr**, 1907, pp162-222.

e- «De l'origine du mot chéchia», **R**.**Afr**, 1907, pp5-55.

f- «Notice sur deux ms, Relatifs aux chérifs de la zaouia de Tamasluhat», **R**.**Afr**, 1908, pp14-105.

g- Ed et trad fr, d'un «Poéme en l'honneur du Prophète», par Umm Hani, **R**.**Afr**, 1910, pp90-182.

h- «Observations sur l'emploi du mot tellis»; son origine, **R**.**Afr**, 1912, pp70-566.

i- «La préface d'Ibn al-Abbar à sa Takmilat al-sila», taxte ar, trad, fr, et notes, **R**.**Afr**, 1918, pp93-483.

k- «Listes des abréviations employées par les auteurs arabes», **R**.**Afr**, 1920, pp08-134.

l- En collab, Avec E. Lévi-Provençal, «Essai de répertoire chronologique des édition de Fés», dans R.Afr, 1920, pp73-158. 1921, pp90-275. 1922, pp47-333.

m- «Du nombre trois chez les Arabes», **R**.**Afr**, 1926, pp78-105.

– Mohammed Ben Cheneb, **Florilége**, op-cit, pp 18-277. – للاطلاع أكثر على نصوص هذه العناوين. ينظر.

– في مجال الترجمة: نقل إلى الفرنسية بعض النصوص من التراث العربي الإسلامي، مقرونة بشروح نقدية، مثل ترجمته لرسالة الإمام الغزالي في تربية وتعليم الصبيان، ساعيا إلى تقريب الفكر الإسلامي التربوي من الباحث الغربي ضمن مقاربة تفاعلية حضارية.

– في الدراسات الأدبية المقارنة: كتب مقالات تبين الأصول الإسلامية لبعض الأعمال الأوروبية الكلاسيكية، ومن أشهرها دراسته حول التأثير الإسلامي في الكوميديا الإلهية لدانتي، المنشورة في المجلة عام 1919م[1].

– الدراسات اللغوية والتاريخية: تناول قضايا اللهجات العربية في الجزائر وأصولها الفصيحة، محاولا بناء جسر بين الدراسات اللسانية الغربية والموروث النحوي العربي.

يمكن النظر إلى مساهمات محمد بن أبي شنب في المجلة الإفريقية ضمن مشروع أوسع هو "الإحياء العلمي للتراث" من خلال نقله من فضاء الحفظ التقليدي إلى فضاء البحث الأكاديمي المنهجي.

إن قراءة إسهامات محمد بن أبي شنب في المجلة الإفريقية تكشف عن مشروع متكامل يجمع بين التحقيق العلمي والوعي الحضاري. لقد جعل من المساهمات ليس مجرد نشر في مجلة علمية استشراقية، بل كان فعلا ثقافيا واعيا، حوَّل المنبر الاستعماري إلى وسيلة لإعادة إنتاج الهوية وبعث التراث.

المطلب الثاني: أعمال حسن حسني عبد الوهاب في المجامع اللغوية.

1– حسن حسني عبد الوهاب في المجمع العلمي العربي بدمشق: شكلت عضوية حسن حسني عبد الوهاب في مجمع اللغة العربية بدمشق، أحد أبرز مظاهر التفاعل العلمي بين المشرق والمغرب العربيين، فلم تكن عضويته شرفية فحسب، بل مثلت جسرا للتواصل الثقافي والمعرفي، بما يعكس أهداف المجمع منذ تأسيسه في مطلع القرن العشرين؛ إذ سعى إلى توثيق الصلات العلمية بين أقطار الأمة، وإحياء تراثها الفكري والحضاري.

وقد جسد عبد الوهاب هذه الرؤية من خلال مشاركاته المنتظمة في مجلة المجمع[2]، حيث نشر جملة من الأعمال جمعت بين التحقيق العلمي الدقيق، والعناية بالتراث العربي الإسلامي بوصفه أساسا للنهضة الثقافية الحديثة.

يُعد عبد الوهاب من أوائل المحققين العرب الذين جعلوا من مجلة المجمع منبرا لنشر التراث المخطوط، وفق منهج علمي رصين، ففي مقاله "التبصرة بالتجارة للجاحظ"، أثبت بالأدلة العلمية نسبة الكتاب إلى الجاحظ،

1 – Mohammed Ben Cheneb, "sources musulmanes dans la«divine comédie»", **la revue africaine**, vol 60, année 1919, p483.

2 – انظم حسن حسني عبد الوهاب إلى المجمع كعضو مراسل سنة 1920، وبقي على ذلك حتى فواته سنة 1968م. ينظر.

– https://arabacademy-sy-org/ar/page17766/الأعضاء-المراسلون---تونس

وبين أهميته في تصوير النشاط التجاري والاجتماعي في الحضارة الإسلامية[1]. وقد اعتمد في تحقيقه على نسخة خطية موجودة ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس، وقد بذل جهده في اكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذي يليق به[2].

وفي "تعليقه"[3] عن مقال منشور بمجلة المجمع في الجزء الأخير من المجلد 27، تحت عنوان"التأليف في الملوك" بقلم العلامة الشيخ طاهر الجزائري[4] ، عرض لمخطوطة نادرة بعنوان "لباب الألباب، في شرح أبيات الكتاب" من تأليف سليمان بن بنين بن خلف النحوي المصري. ويظهر هذا المقال منهج عبد الوهاب في الجمع بين النقد النصي والتاريخ الثقافي، إذ لا يكتفي بوصف النصوص بل يربطها بسياقها الاجتماعي والحضاري.

تميز عبد الوهاب بنظرة شمولية للتاريخ الثقافي، إذ رأى التراث في امتداده المتصل من العصور القديمة حتى العصر الحديث، ففي مقاله"الثقافة في تونس"[5]، قدَّم تصورا متكاملا لمسار الحضارة التونسية منذ العهد القرطاجي حتى الفتح الإسلامي، مبرزا تواصل الإبداع العلمي والفكري في القيروان وجامع الزيتونة، ومشيرا إلى أن التفاعل بين الشرق والغرب لم يكن طارئا بل متجذرا في التاريخ[6]. كما نوه بدور الأمراء الأغالبة في تأسيس "بيت الحكمة القيروانية"بوصفها أول جامعة افريقية للعلم والترجمة، وبث المبادئ العقلية في الأوساط المغربية، وشبه دورها بدور بيت الحكة العباسي في بغداد[7].

كما تناول شخصية قسطنطين الإفريقي-المولود بقرطاجنة سنة 406هـ/1015م- بوصفها رمزا للتواصل الحضاري بين العالمين العربي واللاتيني، مؤكدا أن نقل العلوم من العربية إلى اللاتينية أسس لنهضة أوروبا[8]، ويكشف هذا المنحى أن عبد الوهاب نظر إلى إحياء التراث لا باعتباره إحياء للنصوص فقط، بل إحياء للوعي التاريخي والحضاري للأمة.

---

1 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "كتاب التبصرة بالتجارة ((للجاحظ)) توطئة للناشر"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج 12، ج06، ص ص321-351.

2 - المصدر نفسه، ص ص324-325.

3 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "التأليف في الملوك"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج03، ص ص474-475.

4 - المصدر نفسه، ص ص474.

5 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "الثقافة في تونس"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، المصدر السابق، ص ص534-541.

6 - «من القرن الثاني للهجرة بدأ اهتمام أبناء القيروان ومدينة تونس بحمل العلم، فقصدوا موارده بالمشرق: كالمدينة، والبصرة، والكوفة، ثم دمشق وبغداد، والفسطاط، وملأوا من العرفان أوطابهم وعادوا إلى وطن ولادتهم لبث ما لديهم بين أبناء جلدتهم، وقد نبغ من بين الرعيل الأول أفذاذ مبرزون وصلوا بالعلم التشريعي إلى أقصى درجات البحث والاستنباط والتخريج، مثل: علي بن زياد تلميذ مالك ودفين تونس، وأسد بن الفرات صاحب مالك، وأبي يوسف، وسحنون بن سعيد، وسليمان بن عمران وغيرهم»، ينظر، المصدر نفسه، ص535.

7 - أفرد حسن حسني عبد الوهاب "لبيت الحكمة القيروانية" فصلا كاملا في كتاب الورقات وآخر لتراجم علماء بيت الحكمة. ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية**، ج1، المصدر السابق، ص192-264.

8 - المصدر نفسه، ص ص537-538.

تنوعت إسهامات عبد الوهاب في المجمع، ومن أبرزها دراسته حول "جزيرة قوصرة العربية"[1]، التي تناول فيها الأثر العربي الإسلامي في جزر البحر التونسي، مستندا إلى النقوش والنقود والآثار المادية. وقد برهن على عمق الجذور العربية الإسلامية في هذه المناطق عن طريق تحليل الأسماء الجغرافية مثل: "المرسى"، "كدية"، "جبل"..، والمفردات العربية المستعملة في اللهجة القوصرية الايطالية، والعادات والتقاليد. والإشارة إلى وجود نقود عربية مضروبة في عهد الأغالبة والعبيديين وبني حفص، عثر عليها في سواحل قوصرية، مؤكدا أن الوجود العربي لم يكن سياسيا فقط بل وثقافيا واقتصاديا أيضا[2]. ويمثل هذا المقال نموذجا للبحث الميداني في الجغرافيا التاريخية، الذي يجمع بين الملاحظة الأثرية والتحليل اللغوي لإثبات الامتداد الحضاري العربي الإسلامي.

ومن مظاهر دقة حسن حسني عبد الوهاب العلمية، اهتمامه بتصحيح الأخطاء الواردة في المصادر القديمة، ففي مقاله "مستدرك على تصويبات في الوافي بالوفيات" للصفدي[3]، نبه إلى الأغلاط التي وقعت في الجزء الثالث تخص الأعلام والجغرافية التونسية، مثل: قول المؤلف «أنشدنا له أبو يحي بن عريهة» والصواب: ابن عربية، وهو أديب تونسي مشهور. وفي ترجمة محمد بن خلوف «من أشراف أهل ناحية القمح ورؤسائها» والصواب:..من أشراف «باجة القمح»، وهي من المدن المشهورة بالبلاد التونسية من الناحية الغربية. وفي ترجمة محمد بن ربيع أنه «جاء من قرية تونس» والصواب: من قرية بنونش، وكانت موجودة بالساحل الشرقي من القطر التونسي بمقربة من بلدة الشابية[4]. تدل هذه الجهود على وعيه بأهمية الدقة في المصطلحات والتوثيق اللغوي في إعادة بناء التاريخ الصحيح للتراث العربي الإسلامي.

تلك الأعمال جعلت من عبد الوهاب نموذجا للباحث المجمعي الذي جمع بين التحقيق العلمي والتحليل الحضاري، وجعل من التراث مادة حية لبناء الهوية الثقافية، فقد استطاع من خلال أعماله في المجمع العلمي العربي بدمشق، أن يربط بين التراث التونسي والتراث العربي الإسلامي، وأن يعيد قراءة النصوص القديمة في ضوء مناهج علمية حديثة.

2- إسهامات حسن حسني عبد الوهاب بمجمع اللغة العربية بمصر: في يوم الثالث عشر من ديسمبر عام 1932م، صدر مرسوم بإنشاء معهد باسم "مجمع اللغة العربية الملكي" يكون تابعا لوزارة المعارف المصرية. ومن أغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على

1 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "قصة جزيرة قوصرة العربية-1"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج03، ص ص383-393.

2 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "قصة جزيرة قوصرة العربية-2"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج04، ص ص530-541.

3 - ينظر، حسن حسني عبد الوهاب، "مستدرك على تصويبات في الوافي بالوفيات"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج34، سوريا، 1959، ج01، ص ص196-197.

4 - المصدر نفسه.

العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر. وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة، وأن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة، والإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون، وسائر فروع المعرفة المأثورة[1].

وفي السادس من أكتوبر سنة 1933م، صدر المرسوم الملكي بتعيين الأعضاء العاملين للمجمع، وعددهم عشرون عضوا: عشرة من المقيمين بمصر، وخمسة من الشرقيين، وخمسة من المستشرقين، وكان من بين هؤلاء المعينين حسن حسني عبد الوهاب.

لقد توفرت في عبد الوهاب مؤهلات علمية كثيرة جعلته يلج المجمع عن جدارة، يحمل معه كل ما له من تجارب ومعارف وأسفار وأوصاف كان لها أثرها في أثره العلمي بالمجمع. ومما جاء في كلمته الأولى في دورة المجمع الثانية: «وإني لفخور أن أحمل إليكم تحية البلاد المغربية عموما وإعجابها وتونس خصوصا، مظهرا بذلك حسن تقديرها وإكبارها للمجهود المضني الذي تقومون به للأحياء والمحافظة على اللغة العربية والأدب وكذا تنمية تراثنا الغالي ووقايته من أعراض الجمود وإذواء الضمور وعلل الخمول»[2].

كلف حسن حسني عبد الوهاب بعدة مسؤوليات جعلته ممن شيدوا صرح المجمع وعملوا على إنجاح رسالته ولقد قال فيه محمد مهدي علام زميله ومؤلف كتاب "المجمعيون" الذي أصدره المجمع، إن الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من الرعيل الأول الذين اختيروا أعضاء عاملين لمجمع اللغة العربية. فكان من الذين أرسوا قواعده ورسموا له خطة السير، بالإضافة إلى ذلك أنه فاز برئاسة المجمع نيابة عن طه حسين وذلك سنة 1961م[3].

ولعل المهم من نشاطه في المجمع ما يتعلق بالأساس بآرائه العلمية في المسائل التي طرحت على المجمع في دوراته السنوية المتعددة، ولأنه خبير بأصول البحث اللغوي والتفتيش عن التراث، شغله بوجه خاص أمران هما: فرقة اللهجات، وقصور اللغة أحيانا عن أداء مستحدثات العلم والحضارة.

أما فيما يتعلق باللهجات، فقد تمثل دور حسن حسني عبد الوهاب في الدعوة إلى التوسع في دراستها واقترح لذلك وسائل شتى، في مقدمتها الاستعانة بالمنهج المقارن، ورد اللهجات إلى أصولها العربية إن وجدت، وربط بعضها ببعض إن أمكن. ومنها ضبط مخارج الحروف ورسم طريقة محكمة لذلك، يمكن الأخذ بها وتعميمها في تربية النشء العربي شرقا وغربا. وقد كان للتجويد وعلم القراءات أثر واضح في توحيد نطق الألفاظ القرآنية بين المسلمين عامة[4].

---

1 - ينظر، **مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ولائحته الداخلية**، وزارة المعارف العمومية، مصر.

2 - ينظر، محمد رشاد الحمزاوي، "مشاكل اللغة من خلال حياة حسن حسني عبد الوهاب وأعماله بمجمع اللغة العربية"، **حوليات الجامعة التونسية**، ع6، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1969م، ص 20.

3 - ينظر، محمد المهدي علام، المجمعيون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة- مصر، 1966، ص67-70.

4 - **نشرية أبو القاسم الشابي**، مرجع سابق، ص13.

وفي هذا السياق، قدم مشروعا إلى المجمع جاء فيه: «ينبغي أن يعيد (المجمع) النظر في أصول هذه اللغة وقواعدها ومراعاة ما هو جار في أصول اللغات عسانا نهتدي بذلك إلى إدراك سر وقوفها طوال القرون الأخيرة لكي نعمل على تلافيه ونعيد لها خصائصها من حيث قوة الامتصاص والاستنباط والتخريج والصقل بطريقة تكفل لنا طبع الكلمات المستحدثة فيها على غرار الفصيح القديم صيانة لها من اللوث وتسرب الدخيل..» [1].

ونشير هنا إلى موقفه من الاقتراح الخاص باتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية[2]، فقد كان حسن حسني عبد الوهاب واضحا وصريحا في معارضته له كل المعارضة، فهو يرى في الكتابة العربية –مع حركاتها وأشكالها– أداة موفية بجميع الغرض المطلوب منها، وهي التعبير عن مخارج الحروف الموجودة في لغة "الضاد".

وفوق هذا، استعملت هذه الكتابة في لغات غير لغتنا، فكتبت بها الفارسية والأردية، كما كانت تكتب بها التركية. وأكثر من هذا استطاع العرب قديما أن يكتبوا الأسبانية بحروف عربية، ويحرص الأسبان اليوم على أن يصححوا لغتهم ويكملوها في ضوء ما كتب بالعربية[3].

كان حسن حسني عبد الوهاب يهدف من تلك الآراء إلى المحافظة على حروف العربية، وهو الذي انتخب عضوا في اللجنة التي كلفت بوضع مشروع وضع حروف عربية لكتابة الأعلام الأعجمية، وكان من مبادئه:

«أولا: يكتب العلم الإفرنجي بحسب نطقه في اللغة الإفرنجية، ومعه اللفظ الإفرنجي بحروف لاطينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية على حسب ما يقره المجمع في شأن كتابة الأصوات اللاطينية التي لا نظير لها في العربية. ثانيا: تكتب الأعلام بحسب النطق بها في لغتها الأصلية أي كما ينطق بها أهلها وليس كما تكتب مع مراعاة ما يأتي من القواعد» [4].

وكان لهذا المشروع أثر حميد في ميدان ضبط رسم الأعلام الأعجمية والعربية والإسلامية، مما يحول لو طبق وعمم من بلبلة الرسم التي تجعل كتابة كلمة (Angleterre) بالعربية على أربعة أوجه فأكثر: أنجلترا، أنكلترا، أنغلترا، أنقلترا...

ومن المسائل التي ناقشها المجمع توحيد "ألفاظ الحضارة"، على نحو ما يرجى من توحيد المصطلحات العلمية، لاسيما وهي أشد اختلافا، ولم يكن لمجمع اللغة العربية بد من أن يعرض لألفاظ الحضارة، لأنها جزء من متن اللغة كثير الورود والاستعمال، ولأنه ينبغي أن يتخير منها ما يدخل في المعجمات الحديثة، وقد عني بها عناية

1 – يدعوا هذا الاقتراح إلى إقرار لهجة عربية موحدة تستمد أصولها من الفصحى ولهجاتها الحية، لكن المجمع لم ير داعيا لتأييد هذا المقترح. ينظر، محمد رشاد الحمزاوي، "مشاكل اللغة من خلال حياة حسن حسني عبد الوهاب وأعماله بمجمع اللغة العربية"، المرجع السابق، ص ص26–27.

2 – قدم هذا المقترح "عبد العزيز فهمي" أحد أعضاء المجمع المصريين سنة 1943م تحت عنوان: "اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية". طبع –بالمطبعة الأميرية في فيفري 1944م.

3 – ينظر، إبراهيم مدكور، **بحوث وباحثون**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة– مصر، 1993، ص 94.

4 – محمد رشاد الحمزاوي، "مشاكل اللغة من خلال حياة حسن حسني عبد الوهاب وأعماله بمجمع اللغة العربية"، المرجع السابق، ص 24.

خاصة في دوراته الثلاث الأولى. وقد كان لحسن حسني عبد الوهاب في ذلك إسهاما ملحوظ نوه بذلك الأمين العام لمجمع اللغة العربية إبراهيم مذكور بالقول: «لقد كان حسني عبد الوهاب خير عون لنا على هذا التوحيد والتقريب، لأنه كان مؤرخ الحضارة وحجة في شؤون العادات والتقاليد، عرف الحضارة المغربية عامة، والتونسية خاصة، في دقائقها وتفاصيلها، وألمّ إلماما تاما بتاريخها ومراحل تطورها، ولا يكاد يعرض عليه عرف إلا رده إلى أصوله، وربطه بأشباهه ونظائره..وله في هذا الباب خبرة قل أن تتوفر لسواه.. ولا شك في أن التوحيد في ميدان ألفاظ الحضارة أعسر منه في ميدان المصطلحات العلمية»[1].

كان حسن حسني عبد الوهاب مجمعيا مؤسسا، لم يقتصر دوره على النقاشات النظرية، بل قدم مشاريع عملية ومبادئ منهجية استفاد منها المجمع ولا يزال، مما جعله أحد أركان مشروع إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون في العصر الحديث.

لقد شكلت المجامع اللغوية والعلمية منصة حيوية ساهم من خلالها كل من محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث العربي الإسلامي، حيث تجلى دورهما في توثيق النصوص وتحقيقها وتصحيح الأخطاء الشائعة، مع العناية بالبعدين التاريخي والجغرافي للتراث، وقد مثلا نموذجا متميزا للعالم المجمعي الذي يجمع بين التخصص اللغوي الدقيق والاهتمام بالتراث، مساهمين من خلال ذلك في بناء مشروع نهضوي عربي يجمع بين التمسك بالأصالة والتطلع نحو العصرنة، كما شكلت مشاركتهما العلمية صلة وصل معرفي بين المشرق والمغرب العربي.

1 - **نشرية أبو القاسم الشابي**، المرجع السابق، ص15.

خلاصة الفصل.

في سياق التحدي الاستعماري الذي فرضته الهيمنة الاستعمارية في مطلع القرن العشرين، شكلت الظاهرة الاستشراقية حقلا معرفيا جمعت بين الإسهام الأكاديمي والأجندة السياسية. في هذا الإطار برزت تجربة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب كنموذجين رائدين في التعامل مع المنظومة الاستشراقية، حيث تمكنا من توظيف أدواتها المؤسسية والمعرفية في خدمة المشروع الإحيائي للتراث العربي الإسلامي، وقد اتسمت إستراتيجية كل منهما بخصائص منهجية متميزة في مستويات متعددة.

فعلى مستوى التعامل مع المنظومة الاستشراقية، تبنى ابن أبي شنب منهجية التكامل العلمي البناء، من خلال إقامة شراكات بحثية مع مستشرقين بارزين مثل رينيه باسيه وليفي بروفنسال، مركزا على استيعاب المنهجيات الحديثة في التحقيق والفهرسة وتطبيقها بدقة على التراث العربي الإسلامي، مظهرا ثراءه من خلال تلك المنهجية.

بينما تبنى عبد الوهاب منهجية نقدية جدلية أكثر وضوحا، معتمدا على الحوار المباشر والمناظرة العلمية في الرد على القراءات الاستشراقية المتحيزة، كما ظهر في موقفه الشجاع من المستشرق لامنس في مؤتمر كوبنهاقن سنة 1908م.

أما على مستوى التخصص المعرفي، فقد اتجه ابن أبي شنب إلى التركيز على الدراسات النصية واللغوية، متمثلا في تحقيقاته الرصينة للمخطوطات التراثية وإسهاماته العلمية في دوائر المعارف الدولية، حيث قدم تراجم دقيقة لأعلام الفكر الإسلامي، مما ساهم في إدخال التراث العربي الإسلامي ضمن الخريطة المعرفية العالمية. في حين اتسع مجال اشتغال عبد الوهاب ليشمل الخطاب الحضاري الشامل، من خلال دراسات تاريخية وأثرية موسعة، نشر أغلبها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق والمجلات التونسية المتخصصة، أعادت بناء الرواية الحضارية للوجود العربي الإسلامي في إفريقية، مع التركيز على الجوانب العمرانية والفنية والاجتماعية.

وعلى المستوى المؤسسي، عمل ابن أبي شنب ضمن الأطر الأكاديمية الرسمية، مستفيدا من موقعه كأستاذ في جامعة الجزائر للوصول إلى المصادر والمخطوطات النادرة. بينما تجاوز عبد الوهاب هذا الإطار إلى فضاء العمل الثقافي العام والدبلوماسية الفكرية، حيث مثل تونس في المحافل الدولية وترأس وفودها الثقافية، وساهم في صياغة السياسات اللغوية في المجمع اللغة العربية بالقاهرة.

هذا التكامل المنهجي بين العالمين أسس لثنائية معرفية أثرت حقل الدراسات التراثية إثراء ملحوظا، حيث جمعت بين عمق البحث في النصوص التاريخية واتساع الرؤية الحضارية. وقد نجحا معا في تحويل المنصات الاستشراقية والمجامع اللغوية من أدوات للهيمنة الثقافية الغربية إلى جسور لإحياء التراث، مقدمين نموذجا للتفاعل مع المعرفة الحديثة والاستفادة من أدواتها، مع الحفاظ على الأصالة. ويظل مشروعهما العلمي إطارا مرجعيا للمشاريع الفكرية المعاصرة في مجال إحياء التراث.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد كشفت هذه الدراسة المقارنة بين العالمين المغاربيين محمد بن أبي شنب الجزائري وحسن حسني عبد الوهاب التونسي، عن تجربة رائدة في التعامل مع التراث العربي الإسلامي، بوصفه ركيزة للهوية وأداة للمقاومة الثقافية في لحظة تاريخية حاسمة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية، حين كان التراث يواجه تحديات استعمارية، ومحاولات لطمس الهوية، وظهور الحاجة إلى مشروع علمي يوازن بين التشبث بالأصالة والتطلع نحو المعاصرة.

لقد برز العالمان باعتبارهما من أوائل الرواد الذين أدركوا أن بعث التراث ليس مجرد رجوع إلى الماضي، بل هو فعل حضاري يرمي إلى تثبيت الذات في مواجهة التغريب، وإعادة إنتاج المعرفة التراثية في ضوء مناهج البحث العلمي الراهن.

لقد كانا في سياق استعماري واحد، ولكن بسياستين مختلفة بين البلدين، ولكنهما تمكنا من تجسيد رؤيتين متكاملتين للنهضة الثقافية، ففي الجزائر المستعمرة استيطانيا، مثل محمد بن أبي شنب العالم الأكاديمي المجتهد، الذي اختار طريق البحث العلمي المتخصص، منكبا على خدمة التراث العربي الإسلامي عبر تحقيق النصوص الأدبية واللغوية، مستعملا المنهج المقارن بين المخطوطات، مزاوجا بين الانتماء والهوية، والانضباط المنهجي المعاصر. لقد قدم ابن أبي شنب نموذج العالم المقاوم بقلمه، الذي أدرك أن خدمة اللغة العربية وآدابها هي شكل من أشكال المقاومة الثقافية للاستعمار، فأسس من خلال أعماله ومشاركاته في المجلات العلمية مثل المجلة الإفريقية ودائرة المعارف الإسلامية، مدرسة جزائرية رائدة في التحقيق العلمي والنقد التراثي.

أما في تونس الخاضعة لنظام الحماية الفرنسية، فقد جسد حسن حسني عبد الوهاب صورة العالم المثقف والإداري المؤسسي، الذي جمع بين التحقيق والعمل الثقافي الرسمي. فقد أسس من خلال موقعه في وزارة المعارف، والمجمع العلمي العربي بدمشق والقاهرة، ومشاركته في المؤتمرات العلمية، مشروعا وطنيا متكاملا لخدمة التراث، شمل توثيق المخطوطات، وإحياء السير التاريخية، والعناية بالمآثر العمرانية، فربط بين المعرفة بالتراث المادي والاهتمام بالتراث الفكري واللغوي. لقد تحول عبد الوهاب إلى مهندس للذاكرة التونسية الحديثة، واضعا أسس المدرسة التونسية في التحقيق التاريخي والموسوعي.

وقد أظهرت المقارنة بين التجربتين، أن اختلاف السياق السياسي والاجتماعي بين الجزائر وتونس، لم يؤد إلى اختلاف في الهدف، بل إلى تنوع في الوسائل والمنهج، فابن أبي شنب مارس فعلا علميا أكاديميا في بيئة خاضعة للاستعمار، فكان تركيزه على النصوص اللغوية والأدبية وسيلة لإبراز عمق الحضارة العربية الإسلامية في مواجهة الخطاب الاستعماري الذي روج لتفوق الثقافة الفرنسية الغربية. أما عبد الوهاب، فقد استفاد من فسحة الحركة التي وفرتها له مؤسسات الحماية ليتجه إلى مشروع تأصيلي شامل، يجمع بين التنقيب الميداني عن المخطوطات، والنشر المحقق للنصوص التاريخية، وتوثيق التراث المعماري، فكان عمله جسرا بين التاريخ الوطني، والهوية الحضارية الشاملة.

أما على المستوى المنهجي، قدم العالمان نموذجين متكاملين في تطبيق مبادئ التحقيق العلمي للنصوص التراثية، فقد التزما بالمقابلة بين النسخ الخطية، والضبط اللغوي للنصوص، والتعليق النقدي على المواضع الغامضة، مع إعداد مقدمات تحليلية تبرز قيمة النص العلمية والفكرية، كما حرص كل منهما على توثيق مصادره بدقة، وعلى كتابة هوامش تفسيرية تسهل على القارئ المعاصر فهم السياق التاريخي واللغوي للنص. ومن خلال هذا المنهج، جسدا فكرة أن التحقيق ليس عملا تقنيا فحسب، بل هو موقف معرفي يرمي إلى إعادة الحياة للنصوص التراثية وتحريرها من التهميش.

كما اتخذ كل من ابن أبي شنب وعبد الوهاب من الترجمة والتأليف وسيلة للتواصل الحضاري، حيث سعيا إلى تعريف الغرب بالتراث العربي الإسلامي من منظور علمي موضوعي، فقد كتب ابن أبي شنب بالفرنسية كما العربية، محاولا تقديم صورة علمية عن اللغة العربية وحضارتها. فيما قدم عبد الوهاب مؤلفات موسوعية مثل ورقات عن الحضارة العربية بتونس، حاول فيها إعادة بناء الوعي بالتراث المحلي في إطار الانتماء العربي الإسلامي الأشمل. لقد استعمل العالمين لغة المستعمر كوسيلة للتواصل، لا كرمزية للهوية، مما جعل من جهودهما نموذجا للتفاعل الإيجابي مع الفكر الغربي دون التفريط في الهوية.

وقد مثلت جهودهما في جمع الوثائق والمخطوطات عملا إنقاذيا كبيرا، إذ ساهما في الحفاظ على ذاكرة الأمة من الضياع في ظل محاولات الطمس الاستعماري، فقد جمع ابن أبي شنب نسخا نادرة من المخطوطات الأدبية واللغوية من مكتبات الجزائر والمغرب وتونس، في حين انشغل عبد الوهاب بتوثيق المخطوطات التاريخية والوقفية وحماية المعالم الأثرية. ولولا هذه الجهود الميدانية، لفُقد جزء كبير من ذاكرة المغرب العربي الثقافية، وهو ما جعل عملهما اليوم مرجعا لا غنى عنه في أي دراسة تراثية معاصرة.

إن الإرث العلمي الذي خلفه العالمان، يعبر عن وعي مبكر بضرورة العمل المؤسسي إلى جانب الجهد الفردي، فابن أبي شنب مثل النواة الأولى للمدرسة الأكاديمية الجزائرية في الدراسات التراثية، بينما وضع عبد الوهاب الأسس الأولى للمشروع الثقافي الوطني التونسي الحديث. وقد أثمرت جهودهما عن جيل من الباحثين الذين تابعوا مشروعهما في الجامعات والمراكز العلمية، مما جعل تأثيرهما يمتد إلى يومنا هذا، سواء في منهجية التحقيق أو في الوعي بأهمية التراث كعنصر فاعل في بناء الهوية الوطنية.

وتبرز من تجربتهما مجموعة من الدروس المستفادة التي يمكن للباحثين استلهامها اليوم، أهمها: أن النهضة الثقافية لا تقوم على الانبهار بالغرب أو الانغلاق عليه، بل على وعي نقدي يجمع بين الأصالة والتجديد، وأن الحفاظ على التراث لا يتحقق إلا بالمنهج العلمي الدقيق، بعيدا عن العاطفة أو الإطراء غير الواعي. كما تؤكد التجربتان أهمية تحويل الجهود الفردية إلى مشاريع مؤسسية تضمن استدامة العمل العلمي، وأهمية استثمار التقنيات الحديثة في توثيق التراث ونشره رقميا.

انطلاقا من ذلك، نوصي من خلال هذه الدراسة بضرورة تحقيق الأعمال غير المنشورة للعالمين، وإنشاء قاعدة بيانات رقمية تجمع إنتاجهما العلمي، وتشجيع الدراسات المقارنة بين علماء المغرب العربي للكشف عن

الملامح الكاملة للمدرسة الإحيائية المغاربية، إلى جانب إدراج منهجهما في التحقيق والتوثيق ضمن المراكز الجامعية والمراكز البحثية، وبعث مشاريع بحث مشتركة للعلماء في إطار البلاد المغاربية. كما يستحسن توظيف تجربتهما في صياغة سياسات ثقافية حديثة تعيد للتراث دوره في تنمية الفكر الوطني وصناعة الوعي الحضاري.

وفي الختام، يمكن القول أن تجربتي محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب، تمثلان نموذجا للمثقف المغرابي العربي الإسلامي، الذي استطاع تحويل التحدي الاستعماري إلى فرصة للإبداع العلمي، وجعل من التراث العربي الإسلامي مادة حية للتجديد المعرفي، لا مجرد ذاكرة للماضي، لقد نجحا في أن يجسدا بأعمالهما فكرة أن التراث ليس عبئا على الحاضر، بل هو طاقة كامنة يمكن أن تستثمر في بناء المستقبل.

➢ الملاحق

الملحق 01: صور شخصية.

محمد بن أبي شنب

الجزائري (1869–1929م) [1]

حسن حسني عبد الوهاب

التونسي (1883–1968م) [2]

1 - Mohammed Ben Cheneb, **Florilége**, op-cit, (page de garde) .

2 - A.N.T, S-M, Photos 34 23, p24, n°3/3.

الملحق 02: شهادات علمية.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Diplôme de Docteur ès Lettres.

Le Ministre de l'Instruction publique,

Vu le Certificat d'aptitude au grade de Docteur ès Lettres accordé le 19 décembre 1944 par les Professeurs de la Faculté des Lettres d'Alger, Académie d'Alger, à M. Abou Chenafa Mohammed, né à Médéa, département d'Alger, le 16 octobre 1909;

Vu l'approbation donnée à ce Certificat par le Recteur de ladite Académie;

Revêtant le susdit Certificat,

Donne, par les présentes, à M. Abou Chenafa le Diplôme de Docteur ès Lettres, pour en jouir avec les droits et prérogatives qui y sont attachés par les lois, décrets et règlements.

Fait à Paris, sous le Sceau du Ministère de l'Instruction publique,

le 5 mars 1945.

Par spécial ordre,

Le Ministre de l'Enseignement supérieur,

Le Ministre de l'Instruction publique,

Vu et enregistré à l'Académie d'Alger

le 9 avril 1945

شهادة الدكتوراه في الآداب لمحمد بن أبي شنب من جامعة الجزائر[1]

الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية التي منحتها كلية دار العلوم للسيد الأستاذ الجليل تقديرا لخدماته التاريخية والأدبية

شهادة الدكتوراه الفخرية لحسن حسني عبد الوهاب من جامعة العلوم بالقاهرة[2]

1 - تابليت علي/ ولد العروسي الطيب، مرجع سابق، (ملحق)

2 - جلول ريدان، مرجع سابق، ص 548

الملحق 03: واجهة أطروحة الدكتوراه لمحمد بن أبي شنب[1].

UNIVERSITÉ D'ALGER. — FACULTÉ DES LETTRES

MOTS TURKS ET PERSANS
CONSERVÉS DANS
LE PARLER ALGÉRIEN

THÈSE COMPLÉMENTAIRE

Présentée et soutenue devant la Faculté des Lettres d'Alger

EN VUE DU

DOCTORAT ÈS LETTRES

PAR

MOHAMMED BEN CHENEB

PROFESSEUR A LA MÉDERSA D'ALGER
CHARGÉ DE CONFÉRENCES A LA FACULTÉ DES LETTRES

ALGER
ANCIENNE MAISON BASTIDE-JOURDAN
JULES CARBONEL
IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR

1922

1 - Ben Cheneb Mohammed, **Mots Turks et persans conservés dans le parler algérien**, thèse complémentaire présentée et soutenue devant la faculté des lettres d'Alger en vue du Doctorat ès Lettres, ancienne maison bastide-Jourdan, jules carbonel, Alger 1922.

الملحق 04: عائلة عبد الوهاب[1].

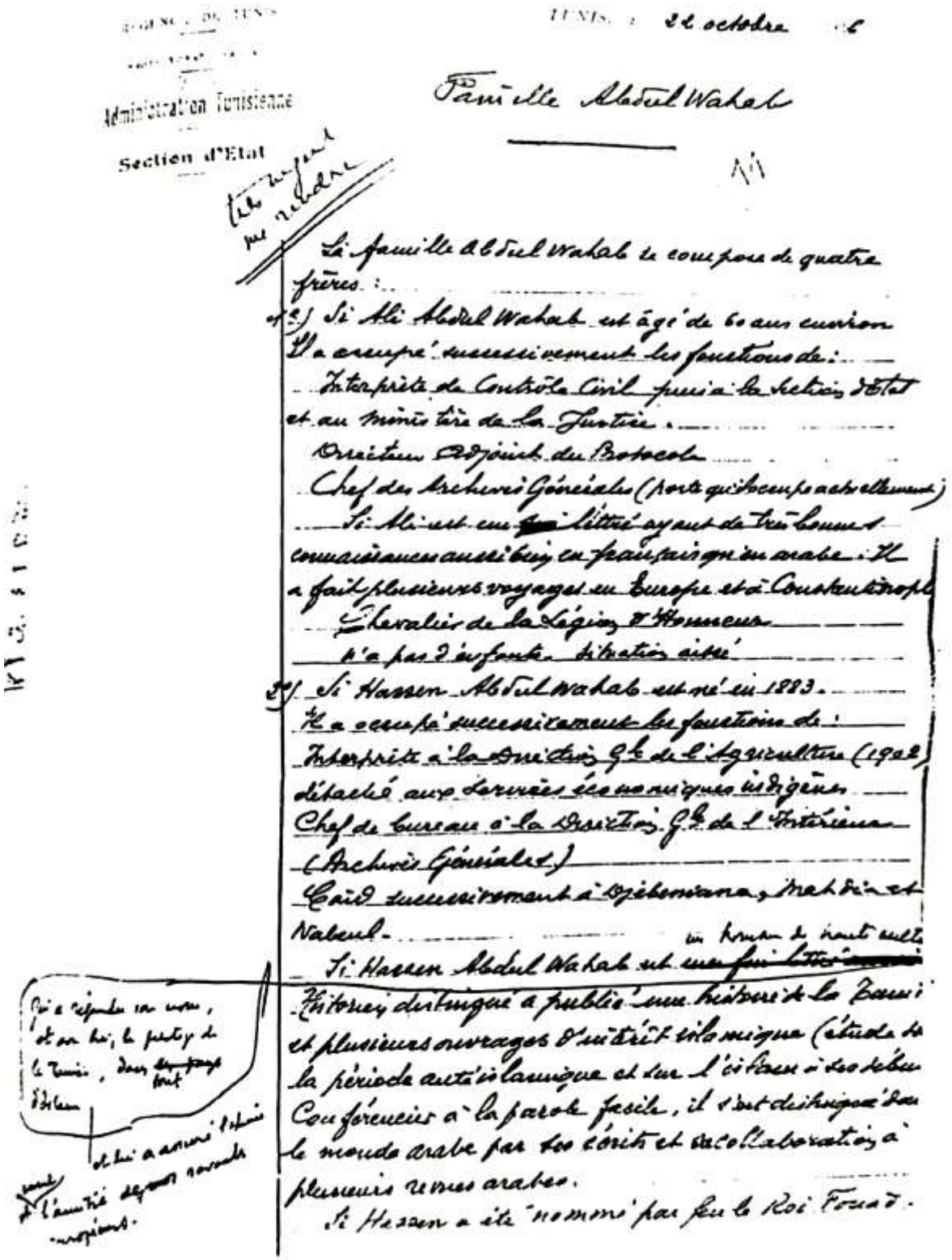

Administration Tunisienne
Section d'Etat

TUNIS, le 22 octobre

Famille Abdul Wahab

La famille Abdul Wahab se compose de quatre frères :

1°) Si Ali Abdul Wahab est âgé de 60 ans environ. Il a occupé successivement les fonctions de :
Interprète du Contrôle Civil puis à la Section d'Etat et au Ministère de la Justice.
Directeur Adjoint du Protocole
Chef des Archives Générales (porte quelques actes allemands)
Si Ali est un lettré ayant de très bonnes connaissances aussi bien en français qu'en arabe. Il a fait plusieurs voyages en Europe et à Constantinople
Chevalier de la Légion d'Honneur
N'a pas d'enfants de mariage légitime

2°) Si Hassen Abdul Wahab est né en 1883.
Il a occupé successivement les fonctions de :
Interprète à la Direction Gle de l'Agriculture (1902)
détaché aux Services des Domaines Indigènes
Chef de bureau à la Direction Gle de l'Intérieur
(Archives Générales)
Caïd successivement à Djebeniana, Mahdia et Nabeul.
Un homme de haut mérite
Si Hassen Abdul Wahab est un lettré
Historien distingué a publié une histoire de la Banu et plusieurs ouvrages d'un intérêt historique (étude de la période antéislamique et sur l'histoire des débuts
Conférencier à la parole facile, il s'est distingué dans le monde arabe par ses écrits et sa collaboration à plusieurs revues arabes.
Si Hassen a été nommé par feu le Roi Fouad.

Il a répondu au nom, et au lui, le parti de la Tunisie, dans tout

de lui a assuré l'histoire

de l'amitié depuis nombreuses

1 – S.E, C539, D14, **Famill Abdul Waheb**, **op–cit**.

الملحق 05: النشاط السياسي لحسن حسني وعلي عبد الوهاب[1].

GOUVERNEMENT TUNISIEN

SURETE PUBLIQUE

Tunis le 9 novembre 1917

NOTE

On signale que le magasin du coiffeur Mohamed ben Ahmed ed Dmergi , 27 bis , boulevard Bab Menara est à nouveau un lieu de rendez-vous d'indigènes qui s'y réunissent pour faire de la politique ; discuter sur les évenements actuels et faire de la propagande en faveur de nos ennemis .

Les assidus seraient les nommés :

Hassen Abdul Wahab

Sadok ben Marzouki Zemerli

Béchir ben Ahmed el Fourti

Béchir ben Ali Bou Alba , secretaire à la Direction de l'Agriculture

Ali Abdul Wahab

Tahar ben Hadj Ali mamlouk

Ahmed Kerrguini , coiffeur

Tahar Kasnbag , habitant le marabout de Si Médiane

El YHadi Aouidj , instituteur

Mohamed Aouidj

Allala Djenan ,libraire rue de l'Eglise ./.

1 – A.N.T, S-E, C550- 15/30, D21 **Gens à surveiller**, **Ali Abdul Wahab** .

الملحق 06: نماذج من الكتب المحققة من طرف محمد بن أبي شنب.

البستان
في
ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان
تأليف
الشيخ الامام العلامة القدوة الهمام ابي عبد الله محمد بن محمد
ابن احمد المكنى بابن مريم الشريف الحسني المديوني
التلمساني رحمه الله
وقف على طبعه واعتنى بمراجعة اصله
حضرة الشيخ محمد ابن ابي شنب المدرس بالمدرسة الثعالبية الدولية
ومدرسة الاداب العليا بالجزائر
الجزائر
طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبيها احمد بن مراد التركي واخيه
١٣٢٦
١٩٠٨

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان

DT
299
B7
G5
1917
عنوان الدراية
فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
تأليف
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
الشيخ ابي العباس احمد بن احمد بن عبد الله التنبكتي
المتوفى في ١٢ ذي القعدة سنة ٧١٤
تغمده الله برحمته
آمين
The American University at Cairo
الطبعة الاولى
بالمطبعة الثعالبية لصاحبيها احمد بن مراد التركي واخيه
بعاصمة الجزائر المحمية
١٣٢٨
١٩١٠

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية

نزهة الانظار
في فضل علم التاريخ والاخبار
المشهور بالرحلة الورثيلانية
للشيخ العالم الرباني والغريف الوراني
سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني
قدس سره
١٢٢١
١٢٠٨
طبع في مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر

نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانية

3630
3630
الجمل
للزجاجي 3630
اعتنى بتصحيحه وشرح أبياته
الشيخ
ابن ابي شنب الأستاذ بكلية الأدب
بالجزائر
BIBLIOTHÈQUE ALGER NATIONALE
خزانة الكتب العربية
١٩٢٦
بمطبعة جول كربونل بالجزائر

الجمل للزجاجي

الملحق 07: نماذج من الكتب المحققة من طرف حسن حسني عبد الوهاب.

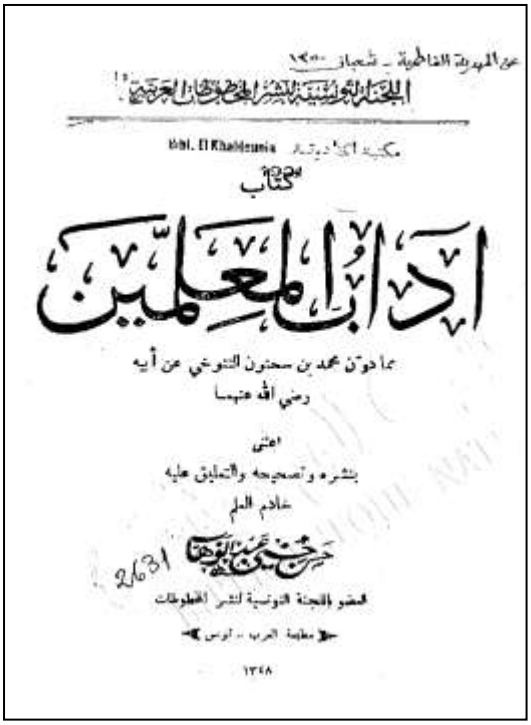
عن المجلة الفاطمية - شعبان ١٣٤٨
الخلدونية للنشر والطباعة والترجمة
Bibl. El Khaldounia
كتاب
آداب المعلمين
عما دوّن محمد بن سحنون التنوخي عن أبيه
رضي الله عنهما
اعتنى
بنشره وتصحيحه والتعليق عليه
خادم العلم
حسن حسني عبد الوهاب
عضو اللجنة التونسية لنشر المخطوطات
مطبعة العرب - تونس
١٣٤٨

كتاب آداب المعلمين

أحكام السوق
ليحي بن عمر
تحقيق ودراسة
حسن حسني عبد الوهاب
راجعه وأعده للنشر
فرحات الدشراوي
الدار التونسية للنشر

أحكام السوق ليحي بن عمر

كتاب أعمال الاعلام
فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام
وما جرّ ذلك من شجون الكلام
تأليف
ذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب
Extraits relatifs à l'Histoire de l'Afrique du Nord et de la Sicile
ANNOTÉS ET PUBLIÉS
PAR
H. H. ABDUL-WAHAB

كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام

وصف
إفريقية والمغرب والأندلس
أواسط القرن الثامن للهجرة
مقتطف
من كتاب «مسالك الابصار في ممالك الامصار» تأليف شهاب الدين
احمد بن يحي العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي
المتوفى سنة ٧٤٨
عني بنشره والتعليق عليه
خادم العلم
حسن حسني عبد الوهاب
مفتش التاريخ الاسلامي
بتونس
تحت إشراف مجلة «البدر» المؤسسة الجامعة الزيتونية بتونس
مطبعة «الهيئة»

وصف إفريقية والمغرب والأندلس أواسط القرن الثامن للهجرة

الملحق 08: من أشهر مؤلفات محمد بن أبي شنب في الأدب والتاريخ.

الذخيرة السنية

في

تاريخ الدولة المرينية

قد اعتنى بنشر هذا الكتاب

الشيخ محمد بن ابي شنب الاستاذ

بالمدرسة الثعالبية

بالجزائر

طبع بمطبعة جول كربطل في ساحة الدولة بالجزائر

سنة

١٩٢٠

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

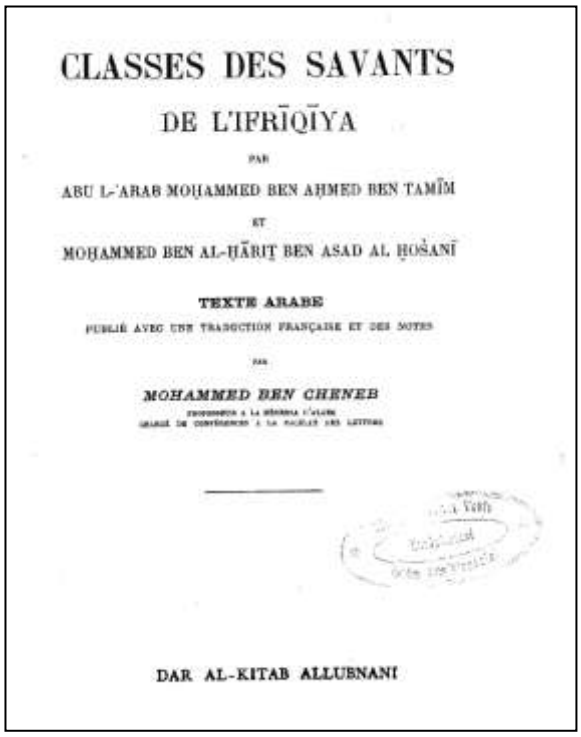
CLASSES DES SAVANTS

DE L'IFRIQIYA

PAR

ABU L-'ARAB MOḤAMMED BEN AḤMED BEN TAMÎM

ET

MOḤAMMED BEN AL-ḤÂRIṬ BEN ASAD AL ḤOŠANÎ

TEXTE ARABE

PUBLIÉ AVEC UNE TRADUCTION FRANÇAISE ET DES NOTES

PAR

MOHAMMED BEN CHENEB

DAR AL-KITAB ALLUBNANI

طبقات علماء إفريقية

تحفة الادب

في

ميزان اشعار العرب

للشيخ

محمد بن ابي شنب

الاستاذ بكلية الادب الجزائرية

الطبعة الثالثة

١٩٥٤

حقوق اعادة الطبع محفوظة

لمكتبة الامريكا والشرق

ادريان ميزونف

باريس

تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب

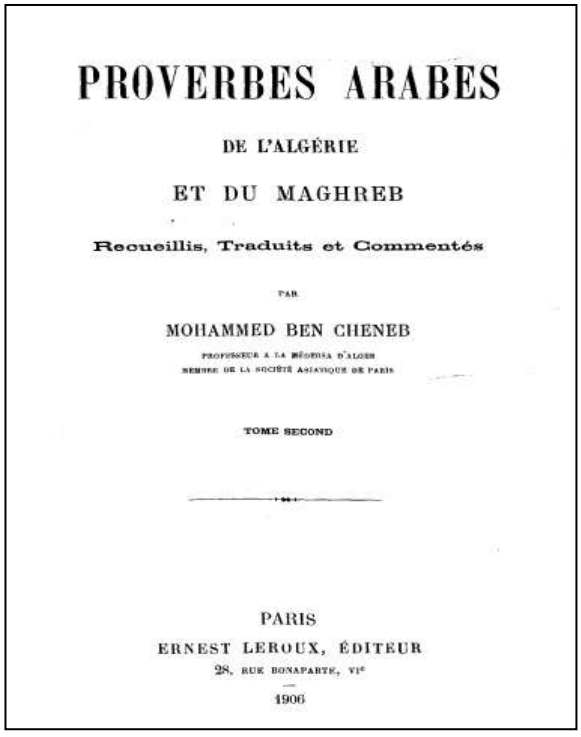
PROVERBES ARABES

DE L'ALGÉRIE

ET DU MAGHREB

Recueillis, Traduits et Commentés

PAR

MOHAMMED BEN CHENEB

PROFESSEUR A LA MÉDERSA D'ALGER

MEMBRE DE LA SOCIÉTÉ ASIATIQUE DE PARIS

TOME SECOND

PARIS

ERNEST LEROUX, ÉDITEUR

28, RUE BONAPARTE, VI^e

1906

الأمثال العربية في الجزائر والمغرب

الملحق 09: من أشهر مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب في التاريخ والحضارة.

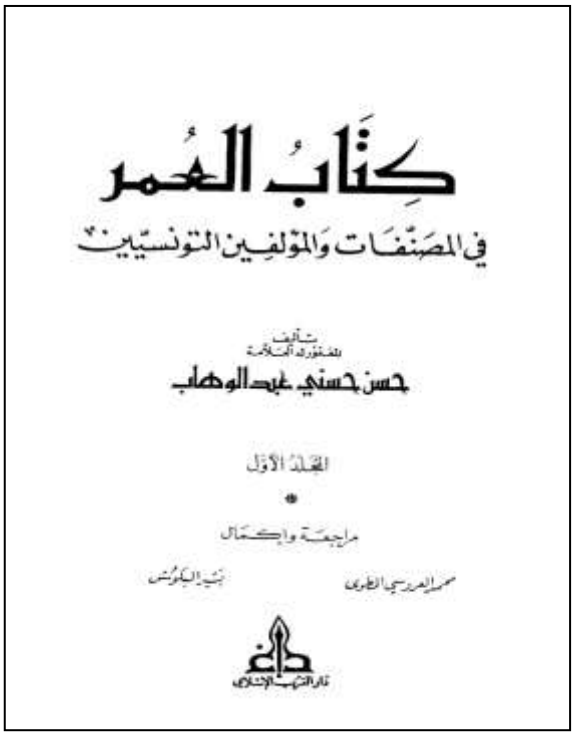

كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين

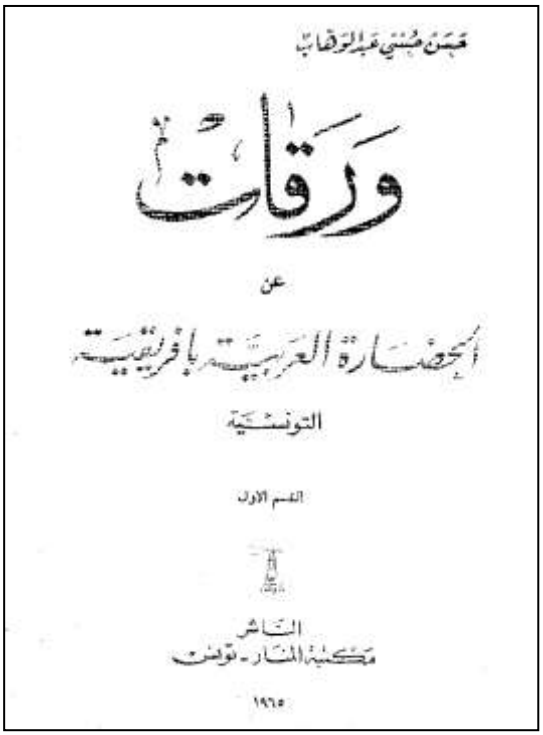

ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية

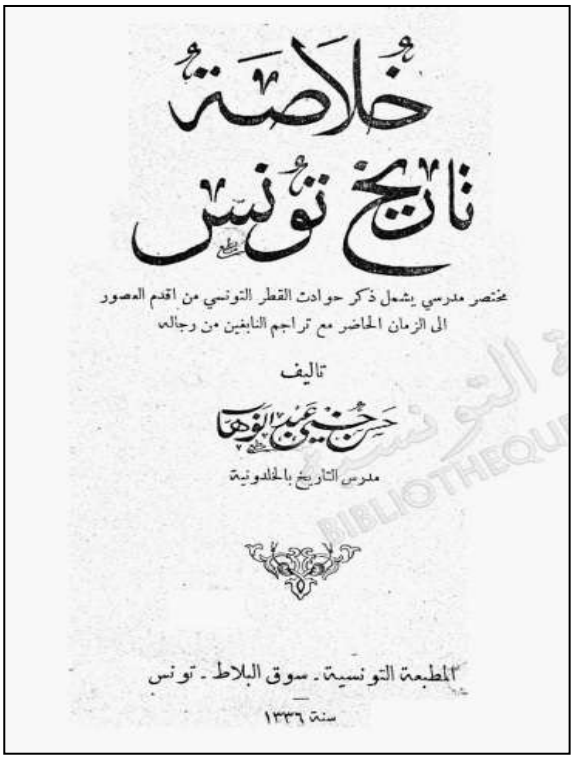

خلاصة تاريخ تونس

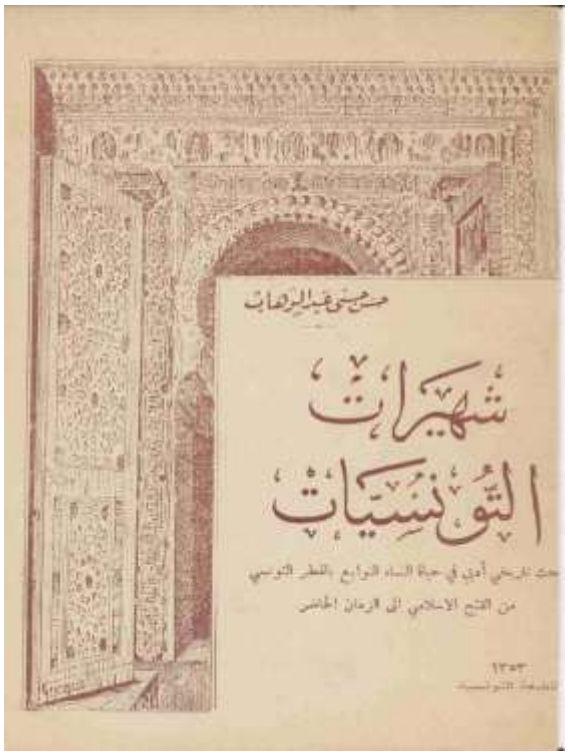

شهيرات التونسيات

الملحق 10: من أشهر مؤلفات حسن حسني عبد الوهاب في التاريخ والأدب.

الإمام المازري

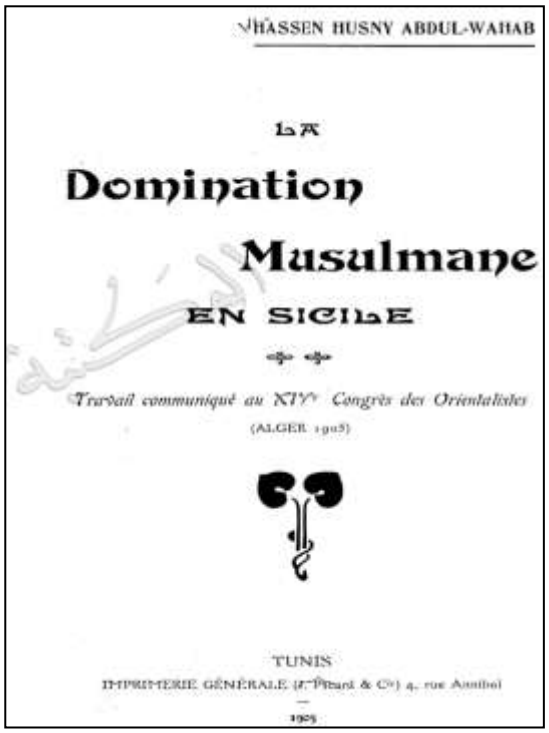

الفتح الإسلامي لصقلية

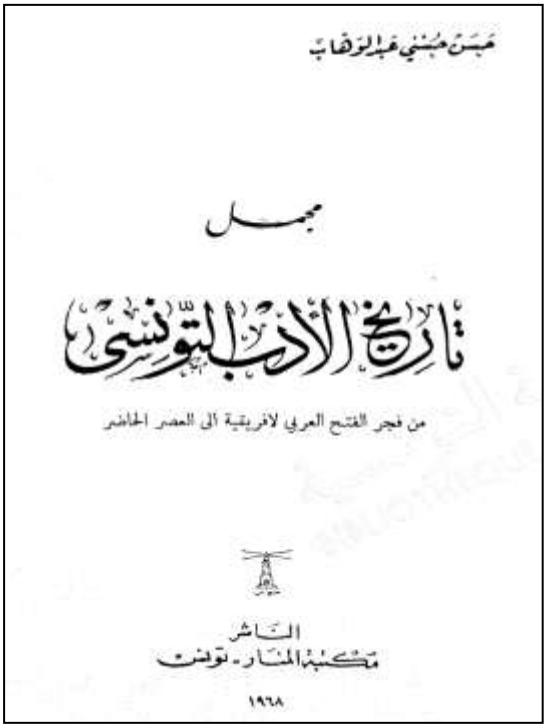

مجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لإفريقية إلى العصر الحاضر

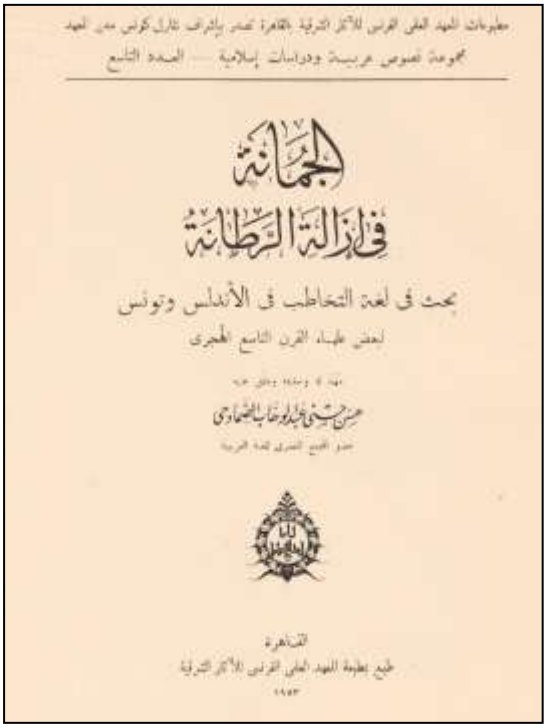

الجمانة في إزالة الرطانة

➢ قائمة المصادر والمراجع.

– قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- الحديث الشريف.

أولا: قائمة المصادر.

1– قائمة المصادر الأرشيفية:

- A.N.T, S-A, C201, D20/10.

- A.N.T, S-A, C201, D20/27, **Mouvement de séculier**, 04/09/1920.

- A.N.T, S-E, C02, D18/1, P13.

- A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 42, 20/05/1917.

- A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 59, Juillet 1918.

- A.N.T, S-E, C530- 15/30, D21 , P 64, 23/11/1918.

- A.N.T, S-E, C539, D14, **Famill Abdul Waheb**.

- A.N.T, S-E, C550- 15/30, D21 **Gens à surveiller**, **Ali Abdul Wahab**, 09/11/2017 .

- A.N.T, S-F, C13, D3/9, P182, 28/11/1931.

- A.N.T, S-F, C19, D28/1- 28/2- 28/3.

- A.N.T, S-F, C19, D43, 1930/1931.

– A.N.T, S-G, C55 , D13, **Notes au sujet d'une demonde presente par hassen hosni abdelwahab pour particip aux travaux de l'Academie arabe du Caire**, **1936**.

- S.M.N, C38 , D1. **Notes et rapports relatifs à la tournée de propagande effectuée par Bourguiba dans le sahel et le Cap Bon avant les incidents d' avril 1938**.

2- قائمة المصادر بالعربية:

- ابن أبي الضياف أحمد ، **إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح، لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ج4.

- ابن الإمام التونسي، **الجمانة في إزالة الرطانة**، تح، تع، حسن حسني عبد الوهاب، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة- مصر، 1953م.

- ابن عاشور محمد الفاضل، **الحركة الأدبية والفكرية في تونس(في القرنين 13-14هـ/19-20م)**، مر، فه، محمد المختار العبيدي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، قرطاج- تونس، 2009.

- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط2، تح، رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، ط1، تح، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1328هـ/ 1910م.

- أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر 1324هـ/1906.

- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح، محمد ابن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908.

- ابن أبي شنب محمد، (**كتاب طبقات علماء افريقية، أبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي**) (**كتاب طبقات علماء افريقية، محمد بن الحارث بن أسد الخشني**) (**كتاب طبقات علماء تونس، أبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي**)، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، د.س.ط.

- ابن أبي شنب محمد ، **تحف الأدب في ميزان أشعار العرب**، ط3، مكتبة الأمريكا والشرق، باريس، 1954.

- ابن شنب محمد، **منتخبات في التأليف والترجمة والتحقيق**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- ابن الخوجة محمود، **صفحات من تاريخ تونس**، تق، تح، حمادي الساحلي والجيلالي بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

- ابن سحنون محمد، **كتاب آداب المعلمين**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية، مطبعة العرب، تونس، 1929م.

- ابن سحنون محمد، **كتاب آداب المعلمين**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، مر/ تع، محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972م.

- ابن عمر يحي، **أحكام السوق**، تح، حسن حسني عبد الوهاب، مر، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975م.

- بن نبي مالك، **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1969م.

- بن نبي مالك، **مذكرات شاهد القرن**، تق، عمر مسقاوي، ط4، دار الفكر، دمشق، 2006.

- تيران إيفون، **المواجهة الثقافية في الجزائر المستعمرة(المدارس والممارسات الطبية والدين 1830م-1880م)**، تر، محمد عبد الكريم أوزغلة، مر، مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

- الثعالبي عبد العزيز، **تونس الشهيدة**، تر، تق، سامي الجندي، دار القدس، بيروت- لبنان، 1975م.

- جوليان شارل أندري، **المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي**، تع، محمد مزالي، البشير سلامة، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

- حداد الطاهر، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، تق، محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2011.

- خوجة عثمان، **المرآة**، تر، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

- روبير أجرون شارل ، **إفريقيا الشمالية تسير(القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر، المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1976.

- روبير أجرون شارل ، **الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919**، تر، م. حاج مسعود، أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

- عبد الوهاب حسن حسني، **النقود العربية في تونس**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1968م

- عبد الوهاب حسن حسني، **بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق**، تق، محمد العروسي المطوي، بيت الحكمة، 2009.

- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، تق، تح، حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015.

- عبد الوهاب حسن حسني، **شهيرات التونسيات**، المطبعة التونسية، 1353هـ/1934م.

- عبد الوهاب حسن حسني، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مر، محمد العروسي المطوى، بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990م، مج01.

- عبد الوهاب حسن حسني، **مجمل تاريخ الأدب التونسي من فجر الفتح العربي لافريقية إلى العصر الحاضر** ، مكتبة المنار، تونس، 1968.

- عبد الوهاب حسن حسني، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، جم/ إش، محمد العروسي المطوي، مكتبة المنار، تونس، 1972م، مج03.
- غيليسبي جوان، **الجزائر الثائرة**، تر، خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت-لبنان، 1961م.
- فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، تر، أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- القصاب أحمد ، **تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)**، تع، حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، قرطاج- تونس، 1986.
- كرد علي محمد، **المذكرات**، مطبعة الرقي، دمشق- سوريا، 1948م، ج1.
- كرد علي محمد، **المعاصرون**، تع، محمد المصري، مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا، 1401هـ/1980م.
- محجوبي علي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تع، عمر ضو وآخرون، سراس للنشر، 1986م.
- محمد الجيلالي عبد الرحمن، **محمد بن شنب حياته وآثاره**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح(1925م-1954م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ج2.
- المدني أحمد توفيق، **كتاب الجزائر**، ط2، القاهرة، 1963م.
- الورتلاني الفضيل، **الجزائر الثائرة**، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة ومدعمة بالصور، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2009م.
- الورثيلاني الحسين بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهور بالرحلة الورثيلانية**، تص، محمد بن أبي شنب، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908.

3- قائمة المصادر بالفرنسية:

- ABDUL-WAHAB HASSEN HUSNY, **LA Domination Musulmane En SICILE**, **travail communique au XIY congrès des orientalistes**(**ALGER 1905**), imprimerie génerale, Tunis, 1905.

- Mohammed Ben CHeneb, **Proverbes Arabes De L'Algerie Et De Maghreb**, Ernest Lerpux Editeur, Paris- France, 1906.

- Mohammed Ben CHeneb, **De La Transmission Du Recuil De Bokhary aux habittants D'ALGER**, (Recuil De Memoires et de textes publie en L'Honneur Du XIV^{e} Congres International des Orientalistes, par les professeurs de L'Ecole Superieure des Letres et des Medersas, ALGER 1905, Kraus Reprint Nendeinl Liechtenstein, 1908.

- Ben Cheneb Mohammed, **Florilége**, editions Casbah, Alger, 2007.

- Mohammed Ben CHeneb, **Proverbes Arabes De L'Algerie Et De Maghreb**, Ernest Lerpux Editeur, Paris- France, 1906, T1,2,3.
- La conquete de l'Espagne par les chrétiens, in mélanges René Basset, T1, Paris, E.leroux, 1923.
- Lammens Henri, **Fatima et les Filles de Mahomet**, **Notes Critiques pour Letude De Sira**, Sumptibus Pontificii Instituti Biblici, Romae, 1912.
- Montet Edouard, **L'Islam**, Librairie Fischbacher, Paris- France, 1923.
- Nettement M. Alfred, **Histoire de la conquêt d' Alger**, éd, librairie Jacques Lecoffre, France, 1867.
- Robert Ageron Charles, **Histoire de L'Algérie Contemporaine**, P.E.F, Paris, 1977.
- Robert Ageron Charles, **Les Algériens musulmans et la France(1871-1919)**, T2, P.E.F, Paris, 1968.

ثانيا: قائمة المراجع.

1- قائمة المراجع بالعربية:

- أ.ج. أربري، **المستشرقون البريطانيون**، تع. محمد الدسوقي النويهي، لندن، 1946م.
- الإبراهيمي أحمد طالب، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929-1940)**، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1997م.
- ابن إبراهيم الطيب، **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر**، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- ابن باديس عبد الحميد، **آثار عبد الحميد بن باديس**، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1406هـ/1985م.
- ابن خلدون عبد الرحمان، **تاريخ ابن خلدون(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشان الأكبر)**، تح، خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيرزت- لبنان، 1988، ج6.
- ابن عمر محمد الزمخشري، **الكشاف**، البهية للطباعة والنشر، القاهرة- مصر، 1995م.

- ابن القاضي المكناسي، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط- المغرب الأقصى، 1976م.

- ابن قنفذ القسنطيني، **كتاب الوفيات**، تح، عادل نويهض، مؤسسة نهيض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت- لبنان، 1982.

- ابن قينة عمر، **شخصيات جزائرية**، دار البعث، قسنطينة، 1983م.

- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تعل، محمد حسين شمس الدين، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 1425هـ/ 2004م.

- ابن محمد مبارك الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964م، ج3.

- أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الُّباهي، **تاريخ قضاة الأندلس(المرقبا العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)**، نشر، ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة- مصر، 1984.

- إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، تر، محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1995م.

- الأشراف مصطفى، **الجزائر(الأمة والمجتمع)**، تر، بن عيسى حنفي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- أطلس محمد أسعد، **التربية والتعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 1957م.

- باشا أحمد فؤاد، **التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة**، دار المعارف، مصر، 1403هـ/1983م، مج01.

- البطوئي عيسى بن محمد الراسي، **مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح**، تح، حسن الفكيكي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط- المغرب، 2000م.

- بنبلغيث الشيباني، **أبحاث في تاريخ تونس الحديث والمعاصر**، مكتبة علاء الدين، صفاقس- تونس، 2008.

- بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 2005.

- بوصفصاف عبد الكريم، **الفكر العربي الحديث (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا)**، دار الهدى، الجزائر، 2005.

- تابليت علي/ ولد العروسي الطيب، **محمد بن أبي شنب –أعماله وآثاره**، ج1، جامعة الجزائر، انجاز وتصميم منشورات ثالة، الأبيار-الجزائر، 2010.

- تامر الحبيب، **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، د.م.ط، د.س.ط.

- تركي رابح، **التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956م**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

- تشايجي عبد الرحمان، **المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1881-1913)**، تر، عبد الجليل التميمي، دار الكتب المشرقية، تونس، 1973.

- الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة دراسات..ومناقشات**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت- لبنان، 1991م.

- الجندي أنور، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م.

- الجويلي محمد، **شارل بيلا Charles Pellat**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2019.

- الحلوجي عبد الستار، **المخطوطات والتراث العربي**، ط1، الدار المصرية البنانية، القاهرة، 2001.

- حمدان محمد، **أعلام الأعلام**، المركز القومي للتوثيق، تونس، 1991م.

- حيولة سليم، **محمد بن أبي شنب-أول دكتور جزائري في الدراسات الأدبية**، الوطن اليوم، الجزائر، 2022م.

- الخربوطلي علي حسن، **المستشرقون والتاريخ الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 1988م.

- خرفي صالح، **محمد السعيد الزاهري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- الخطيب أحمد ، **جمعية العلماء الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- الدخلي عبد الوهاب/ ريدان جلول، **العلامة حسن حسني عبد الوهاب(1883-1968)**، دار الكتاب الوطنية، تونس، 2017.

- درمنغم إميل، **الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة**، تر، عادل زعيتر، ط3، الشعاع للنشر والتوزيع، مصر، 2005.

- درمنغم إميل، **حياة محمد**، تر، عادل زعيتر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2014.

- دودو أبو العيد، **الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان(1830م-1855م)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- دياب عبد المجيد، **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1993.

- الذويب جمال هاشم/ محمد حسين الزبيدي، **الموجز في التاريخ العربي**، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس- ليبيا، 1997.

- الرفاعي عبد الجبار، **جدل التراث والعصر**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، 2001.
- ريدان جلول، **حسن حسني عبد الوهاب 1883-1968**، منشورات نيرفانا، تونس، 2010.
- الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ط05، دار العالم للملايين، بيروت- لبنان، 1980، ج08.
- الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، 2002،ج01.
- الزليطني محمد لطفي، **جورج مارسيه Georges Marçais**، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2021.
- الزمرلي الصادق، **أعلام تونسيون**، تع، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986.
- الزمخشري، **كتاب المفصل في صنعة الإعراب**، تح، علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت- لبنان، 1993م.
- زوزو عبد الحميد، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.
- الزيدي علي، **الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية 1904-1945**، دار نهى، صفاقس-تونس، مارس 2007.
- الزيني محمد عبد الرحيم، **المستشرقون في المغرب العربي**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024م.
- سالم الحاج ساسي، **نقد الخطاب الاستشراقي**، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، 2002.
- السباعي مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم**، دار الوراق للنشر والتوزيع/ المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، د.س.ط.
- سعد الله أبو القاسم، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ط4(منقحة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م، ج2.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1998م، ج02.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان،1998م، ج3.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998م، ج7.
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1998، ج8.
- سعيدوني ناصر الدين، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي(تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999م.
- سلطان جمال، **الغارة على التراث**، ط1، مكتبة السنة، مصر، 1990.

- سلوادي حسن عبد الرحمان، **عبد الحميد بن باديس مفسرا**، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2017م.
- سليمان حسن محمد، **التراث العربي الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.ط.
- شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939م**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة** ، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ج1.
- شترة خير الدين، **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، ط.خ، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة- الجزائر، 2013م.
- الشرقاوي محمد عبد الله، **الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.س.ط.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح. علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1983، ج13.
- الصديق محمد الصالح، **أعلام من المغرب العربي**، ط02، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ج01
- عباد صالح، **الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830-1930**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- عبد التواب رمضان، **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1407هـ/1985م.
- عبد الدايم عبد الله، **التربية عبر العصور من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين**، دار العالم للملايين، ط5، بيروت – لبنان، 1984.
- عبد الله الطاهر، **الحركة الوطنية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990.
- العقيقي نجيب، **المستشرقون**، ط3، دار المعارف، مصر، 1964، ج1.
- علام محمد المهدي، **المجمعيون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية**، القاهرة- مصر، 1966.
- عمارة محمد، **الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين**، ط2، دار الشرق، القاهرة- مصر، 1988م.
- عميراوي احميدة، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية(1827م-1840م)**، دار البعث، قسنطينة، 1987م.
عميراوي احميدة، وآخرون، **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

- عويمر مولود ، **أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر**، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.

- الغامدي عبد الله بن أحمد، **إفريست بروفانسال Evariste Provençal** ، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء- المغرب، 2021.

- فاسي مصطفى، **البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

- الفضلي عبد الهادي، **تحقيق التراث**، مكتبة العلم، جدة- السعودية، 1982م.

- فواز زينب، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1312هـ.

- كريم عبد المجيد وآخرون، **موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964**، منشورات م.ع.ت.ح.و.ت، تونس، 2008.

- لبون غوستاف، **حضارة العرب**، تر، عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر، مصر، 2012.

- لقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي(نشأتها وتطورها)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ديسمبر 1971م.

- مجموعة من الباحثين، **تاريخ الأدب التونسي الحديث والمعاصر**، بيت الحكمة، تونس، 1993.

- محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ج03.

- محمد السيد أشرف صالح، **التراث الحضاري في الوطن العربي**، مؤسسة النور والإعلام، اليمن، 2009.

- مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط06، المطبعة السلفية ومكتباتها، القاهرة- مصر، 1349هـ.

- مدكور إبراهيم، **بحوث وباحثون**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة- مصر، 1993.

- مدكور إبراهيم، **مع الخالدين**، الهيئة العامة لشؤون المطبعة الأميرية، القاهرة- مصر، 1981.

- مراد علي، **الحركة الإصلاحية الإسلامية (1925م-1940م)**، تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

- المراغي أحمد مصطفى، **الحسبة في الإسلام**، تص، محمد عبد الرحمن الشاغور، الجزيرة للنشر والتوزيع، 2005م.

- **مرسوم إنشاء المجمع والمراسيم المعدلة له ولائحته الداخلية**، وزارة المعارف العمومية، مصر، د.س.ط.

- مرسي محمد منير، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 2005، مج1.

- مواعدة محمد، **حركة الترجمة في تونس وأبرز مظاهرها في الأدب(1840-1955)**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986.

- النعيم عبد الله محمد الأمين، **الاستشراق في السيرة النبوية**، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، القاهرة- مصر، 1997م.

- النملة علي إبراهيم، **إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي**، مكتبة فهد الوطنية، الرياض- السعودية، 1417هـ/1996م.

- النملة علي بن إبراهيم الحمد، **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، ط1، مكتبة التوبة، الرياض- السعودية، 1998م.

- النملة علي بن إبراهيم الحمد، **المستشرقون ونشر التراث**، موسوعة الدراسات الاستشراقية2، الرياض- السعودية، 2003م.

- هارون عبد السلام، **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1998م.

- وزارة المعارف العمومية، **كتاب مؤتمر الموسيقى العربية**، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1933م.

- الوكالة التونسية للطبع والتوزيع والنشر، **ذكرى الحج 1358-1940**، المطبعة التونسية، تونس، 1940.

- ولد العروسي الطيب، **محمد بن أبي شنب دراسات وشهادات**، منشورات مدرية الثقافة، المدية، 2009.

2- قائمة المراجع بالفرنسية:

- Bén abou Marcel, **La résistance africaine à la romanisation**, Maspero, Paris, 1976.

- Demeerseman Gérard, **André Demeerseman(1901-1993) à Tunis, soixante ans à l'institut des Belles lettres Arabes (IBLA)**, karthala, Paris- France, 2014.

- Faroua Mohamed , **La gouche en France et la colonisation de la Tunisie (1881-1914)**, édition, L'Harmattan, France, 2003.

- Gaffarel Paul, **L'Algérie histoire (conquête et colonisation)**, éditions, Jaques Gandini, France, 2004.

- Mahjoubi Ali, **Les Origines du mouvement national en Tunisie 1904-1934**, **publication de L'université de Tunis**, Faculté des lettres, 1982.

- Martin Jean François, **Histoire de la Tunisie de Ferry à Bourguiba 1881-1956**, édition, L'Harmattan, France, 2003.

ثالثا: الرسائل الجامعية.

1- قائمة الرسائل الجامعية بالعربية:

- أبو الصفصاف عبد الكريم، **الأبعاد الثقافية والاجتماعية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس،** أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، تونس، موسم 1996م/1997م، ج1.

- برقية عبد الحميد ، **الاستشراق الفرنسي والجزائر فيما بين 1879-1962،** أطروحة دكتوراه في الطور الثالث، إش، محمد شرقي، جامعة 8 ماي 1985 قالمة، 2022/2021.

- بليل وداد، **الترجمة في الجزائر إبان الإبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962،** أطروحة دكتوراه علوم، إ.ش، لخضر عيكوس، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2017/2016.

- حمو عبد الكريم، **الاستشراق الفرنسي والترجمة في الجزائر،** رسالة ماجستير في الأدب العربي، اش، بن سعيد محمد، جامعة وهران (السانيا)، 2008/2007.

- عقيب محمد السعيد، **الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934-1956م،** رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية، 2010/2009م.

- قضومي سليم، **قياد البلاد التونسية (1860-1937)،** مذكرة دكتوراه، إشراف، الهادي تيمومي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2000م.

- اللولب حبيب حسن، **دور الصحافة العربية بتونس في تفعيل الوعي الوطني،** رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف جمال قنان، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم 2000م/2001م.

- المحسن بن علي بن صالح سويسي، "مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها- تكوينها- أهدافها"، **رسالة دكتوراه،** إش، حامد غانم أبو سعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1998، ج1.

2- قائمة الرسائل الجامعية بالفرنسية:

- Ben Cheneb Mohammed, **Mots Turks et persans conservés dans le parler algérien**, thèse complémentaire présentée et soutenue devant la faculté des lettres d'Alger en vue du Doctorat ès Lettres, ancienne maison bastide-Jourdan, jules carbonel, Alger 1922.

رابعا: المجلات والدوريات.

1- قائمة المجلات والدوريات بالعربية:

- ابن أبي شنب محمد، "الجزائر"، **مجلة المجمع العلمي العربي،** ع02، دار صادر، دمشق- سوريا، 1929م، مج9.

- ابن أبي شنب محمد، "الغزَالي أم الغزَّالي"،**مجلة المجمع العلمي العربي**، مج7، دار صادر، دمشق- سوريا، 1927م.

- ابن أبي شنب محمد، "المرحوم العلامة رينيه باسيه"، **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، مج4، ج1، كانون الثاني، 1924م.

- ابن أبي شنب محمد، "ملاحضة"، **مجلة المجمع العلمي العربي** ، مج2، دار صادر، دمشق- سوريا، 1922م، ج2.

- ابن شنب محمد، "ابن الحاجب"، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998.

- ابن شنب محمد، "ابن رشيق"، **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998.

- ابن الخوجة محمد، **"الصرة كيف كانت نشأتها وكيف استقر قرارها"، المجلة الزيتونية**، جانفي 1937م، ج5.

- ابن الخوجة محمد، "كيف دخل الزي الأوروباوي العادات التونسية"، **المجلة الزيتونية**، ج4، جانفي 1938.

- المدني أحمد توفيق، "أفضع جرائم الاستعمار"، **البصائر**، ع 267، 1994.

- بلقاسم بوعلام، "سياسة التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي بين 1845و 1945"، **حولية المؤرخ**، إتحاد المؤرخين الجزائريين، السداسي الثاني، 2002، ج1.

- بكوش محمد الصالح ، " دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر"، **مجلة أول نوفمبر**، ع170، الجزائر، 2007.

- بوباية عبد القادر، "إسهامات محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث التاريخي العربي"، **مجلة المواق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ**، ع6، الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 01 ديسمبر 2011.

- بوشمة الهادي، "الفكر، الهوية والتأزم في حياة محمد بن أبي شنب قراءة سوسيو بيوجرافية"، **محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري-أعمال الملتقى الدولي بالجزائر 15-17 ديسمبر 2009**.

- بوشمة خالد، "عبد الرحمن بن عبد القادر الراشدي المجاجي الجزائري وكتابه التعريج والتبريج في ذكر أحكام المغارسة والتصيير والتوليخ"، **مجلة التراث**، جامعة الجلفة، ع16، ديسمبر 2014.

- بويحي الشاذلي، "حسن حسني عبد الوهاب(1301-1388هـ/1884-1968م)"، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد 06، تونس، 1969.

- بيل الفريد، "محمد بن شنب فقيد العلم"، تر، عائشة حمار، **مجلة أشير**، ع2، الجزائر، سبتمبر 2004.

- حباسي شاوش، "من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع10، معهد التاريخ بجامعة الجزائر، 1997م.

- الحمزاوي محمد رشاد، "مشاكل اللغة من خلال حياة حسن حسني عبد الوهاب وأعماله بمجمع اللغة العربية"، **حوليات الجامعة التونسية**، ع6، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1969م.

- **الحوليات التونسية**، مر، جورج طعمة، بيروت- لبنان، 1975.

- **حوليات الجامعة التونسية**، ع02، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1965.

- **دائرة المعارف الإسلامية**، نقلها إلى اللغة العربية، محمد ثابت الفندي وآخرون، مج1، 1933.

- ريغ دانيال، "الاستشراق العالم"، تر، محمد يحياتن، **مجلة معالم**، ع4، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.

- زرمان محمد، "محمد بن أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية"، **مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة**، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007.

- عبد الوهاب حسن حسني، "حسن حسني عبد الوهاب"، **حوليات الجامعة التونسية**، ع6، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1969م.

- عبد الوهاب حسن حسني، "التأليف في الملوك"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج03.

- عبد الوهاب حسن حسني، "الثقافة في تونس"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ع04، مصر، 01أكتوبر 1953م.

- عبد الوهاب حسن حسني، "قصة جزيرة قوصرة العربية-1"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج03.

- عبد الوهاب حسن حسني، "قصة جزيرة قوصرة العربية-2"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج27، سوريا، 1952م، ج04.

- عبد الوهاب حسن حسني، "كتاب التبصرة بالتجارة ((للجاحظ)) توطئة للناشر"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج 12، ج06.

- عبد الوهاب حسن حسني، "مستدرك على تصويبات في الوافي بالوفيات"، **مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق**، مج34، سوريا، 1959، ج01.

- عبد الوهاب حسن حسني، "من صاحب المملكة التونسية إلى عاهل الحرمين الشريفين"، **مجلة الثريا**، نوفمبر 1944م.

- "العلامة محمد أبو شنب"، **مجلة المجمع العلمي العربي** ، مج10، دمشق- سوريا، ذي القعدة 1348هـ/ نيسان 1930م، ج4.

- العلاونة أحمد، "عمر فروخ في خدمة الإسلام"، **كتاب الأمة**، ع102، السنة الرابعة والعشرون، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر ، 2004م.

- عيساوي عبد الغني، "التراث الاستشراقي بين الحقيقة العلمية الثقافية والحقيقة السياسية الاستعمارية"، **سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن أبي شنب والاستشراق(المدية من 07 إلى 10 ديسمبر 2014م)**، منشورات مدرية الثقافة لولاية المدية، الجزائر، 2015م.

- غزالي الهواري، "المقاومة الثقافية مطلع القرن العشرين بالجزائر دراسة لترجمة محمد بن شنب لنص في البيداغوجيا الإسلامية"، **محمد بن أبي شنب المرجعية الثقافية والبعد الفكري– أعمال الملتقى الدولي بجامعة الجزائر 15–17 ديسمبر 2009**، الوكالة الإفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، 2009م.

- القليبي الشاذلي، "العلامة حسن حسني عبد الوهاب في ذكراه الثلاثين"، **المجلة الصادقية**، ع11، تونس، أكتوبر1998م.

- قنان جمال،"مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 1882م-1914م"، **مجلة المصادر**، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ع09، ماي 2004م.

- كرد علي محمد، "أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية"، **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**، ع 10، سوريا، 01 أكتوبر 1927م، مج 07.

- كرد علي محمد، "الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية"، **مجمع اللغة العربية بدمشق**، سوريا، 1923م، مج3، ج5.

- **مجلة الشهاب**، ع04، مج05، ماي 1929م.

- **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج4، دار صادر، دمشق- سوريا، 1924م.

- محساس أحمد، "التعليم والثقافة في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية"، **مجلة الثقافة**، العدد 85، جانفي-فيفري 1985م.

- محمد السعيد الزاهري، "الأدب والعلم في الجزائر-محمد بن أبي شنب-"، **مجلة المقتطف**، ع4، مصر، نوفمبر 1929.

- مصطفى المراغي أبو الوفاء، "قضية إحياء التراث العربي"، **مجلة الوعي الإسلامي**، س14، ع157، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ديسمبر 1977م.

- مقدم عبد الحفيظ، "الحرب النفسية والاستعمار الفرنسي"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع10 ، جامعة الجزائر، 1997م.

- مكي محمود علي، "كتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي"، **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، مج04، مدريد- اسبانيا، 1956م، ع1-2.

- "من نوادر المخطوطات"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، مج2، دار صادر، دمشق- سوريا، 1922م، ج2.
- **الموسوعة العربية العالمية**، الطبعة الثانية، الجزء22، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، 1999.
- النادي الثقافي(أبو القاسم الشابي)، **أربعينية العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب 10 جانفي 1969م**، مطبعة المنار، تونس.
- نويوات مختار، "آثار العلامة محمد بن أبي شنب"، **مجلة اللغة العربية**، ع17، صادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية، 01 جويلية 2007.

2- قائمة المجلات والدوريات بالفرنسية:

- ABDUL-WAHAB HASSEN HUSNY, "Du nom arabe de la Byzacéne", **Revue Tunisienne**, Nouvelle série-N° 38, 39 et 40- 2°, 3°, et 4° trimestres, 1939.

- Actes Du XIV^{e} Congres International Des Orientalistes ALGER 1905, Troisieme Partie, Ernest Leroux, Edituer, PARIS, 1908.

- Alfred Bel, "Mohammed Ben Cheneb", **journal asiatique**, Paris, janvier-mares, 1929

- Ben Cheneb Mohammed / Lévi-Provençal, "Essai de répertoire chronologique des édition de Fés", **R.Afr**, 1920, 1921, 1922.

- Ben cheneb Mohammed, " Observation sur l'emploi de mot tellis son origine" , **R.Afr**, n°56, 1912.

- Ben Cheneb Mohammed, "Du nombre trois chez les Arabes", **R.Afr**, 1926.

- Ben Cheneb Mohammed, "La guerre de Crimée et les Algériennes, poéme populaire de Muhammed b.Isma'il, poéte algérois,(1820-1870) ", **R.Afr**, 1907.

- Ben Cheneb Mohammed, "La préface d'Ibn al-Abbar à sa Takmilat al-sila", **R.Afr**, 1918.

- Ben Cheneb Mohammed, "La préface d'Ibn El abbar a sa Takmila-t essila", **R.Afr**, 1918.

- Ben Cheneb Mohammed, "Lettre sur l'éducation des enfants d'al-Ghazali", (éditée à Tunis en 1314/1897), **R**.**Afr**, 1901.
- Ben Cheneb Mohammed, "Listes des abréviations employées par les auteurs arabes", **R**.**Afr**, 1920.
- Ben Cheneb Mohammed, "Notice sur deux ms, Relatifs aux chérifs de la zaouia de Tamasluhat", **R**.**Afr**, 1908.
- Ben Cheneb Mohammed, "Observations sur l'emploi du mot tellis", **R**.**Afr**, 1912.
- Ben cheneb Mohammed, "origine du mot chachiya", **R**.**Afr**, n°51, 1907.
- Ben Cheneb Mohammed, "Poéme en l'honneur du Prophète", par Umm Hani, **R**.**Afr**, 1910.
- Ben Cheneb Mohammed, "Revue des ouvrages arabes édités ou publiés par les Musulmanes en 1322 et 1323(1904-1905)" , **R**.**Afr**, 1906.
- Ben Cheneb Mohammed, "sources musulmanes dans la«divine comédie»", **R**.**Afr**, vol 60, année 1919.
- Ben Cheneb. M, "Itinéraire de Tlemcen à la Mekke", **R**.**Afr**, Alger, 1900.
- Ben Cheneb. M, "La Plantation à frais communes en droit malékite", **Revue Algérienne et Tunisienne de Législation et de jurisprudence**, T11, Alger, 1895.
- Ben Cheneb. M, "Notions de Pédagogie Musulmane", **R**.**Afr**, Alger, 1897.
- Ben Cheneb. M," Lettre sur l'éducation des enfants par Abou Hamed El Ghazali", **R**.**Afr**, Alger, 1901
- Mared Ali, "Conformation de presse Islamique à Algérien", **IBLA**, N°02, Vol127, 1964.

خامسا: المعاجم والقواميس.

- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، ط2، بيروت- لبنان، 1992، مج2.

- البستاني بطرس، **محيط المحيط**، تح، محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009، ج07.

- جبور عبد النور/ سهيل إدريس، **المنهل(قاموس فرنسي- عربي)**، ط07، دار العلم للملايين/ دار الأدب، بيروت- لبنان، 1983.

- دوزي رينهارت، **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، تر، أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان، 2012.

- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، بيروت- لبنان، 1980م.

سادسا(لقاء خاص): مع عبد الحفيظ منصور-أستاذ الشريعة وأصول الدين، ومحقق وباحث في المخطوطات- على هامش الندوة التاريخية حول حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الوطنية، تونس، 17 أفريل 2017، على الساعة الثانية ونصف بعد الزوال.

سابعا: مواقع إلكترونية.

-https://arabacademy-sy-org/ar/page17782/الأعضاء-المراسلون-في-البلدان-الأجنبية-كافة -

- https://arabacademy-sy-org/ar/page17766/الأعضاء-المراسلون---تونس -

➢ فهرس الأعلام والأماكن.

– فهرس الأعلام والأماكن:

يجدر الاشارة في البداية الى أننا رتبنا هذا الفهرس على حسب التسلسل الهجائي دون احتساب (ال) التعريف، وقد أحجمنا عن إدراج الأسماء والأماكن المتكررة باستمرار في البحث مثل: (الجزائر)، (تونس)، وكذا (محمد بن أبي شنب)، (حسن حسني عبد الوهاب) باعتبارهما الموضوع الأصلي للبحث.

1– فهرس الأعلام:

–أ–

– الأب أندريه ديمرسمان: 72.
– الأب لويس شيخو: 190.
– أبا يعلى الزواوي: 25.
– أبراهام دنينوس: 157.
– إبراهيم بن الأغلب: 56.
– إبراهيم على النملة: 171.
– إبراهيم مذكور: 68، 204.
– ابن أبي دينار: 115.
– ابن الآبار: 182، 199.
– ابن الإمام التونسي: 135، 236.
– ابن الجزار: 32.
– ابن الحاجب: 95، 196.
– ابن الخطيب: 59، 98، 115.
– ابن العرب الخشني: 115، 124، 125.
– ابن العنابي: 21.
– ابن القاضي المكناسي: 100، 101.
– ابـــن خلـــدون: 95، 98، 99، 101، 115، 120، 134، 145، 164، 165، 166، 194.
– ابن ددوش أحمد بن حامد: 94.
– ابن رشيق: 32، 59، 69، 74، 146، 151، 183، 196.
– ابن شبل الاندلسي: 122، 123.
– ابن شرف القيرواني: 59.
– ابن عرفة: 32.

- ابن فضل الله العمري: 59.
- ابن قنفذ القسنطيني: 53، 98، 100، 101.
- ابن مريم: 52، 91، 92، 94، 95، 96، 98، 134.
- ابن مسايب: 162، 163.
- ابن مغدور القفصي: 32.
- أبو البقاء خالد بن زكرياء: 101.
- أبو العباس أحمد المالقي: 100.
- أبو القاسم الزجاجي: 53.
- أبو القاسم بن سديرة: 45، 46، 49، 158.
- أبو القاسم سعد الله: 16، 51، 75، 77، 84، 96، 111، 128، 181، 187.
- أبو بكر اللباد: 122.
- أبو دلامة: 44، 46، 53، 141.
- أبو راس الناصري: 162، 181.
- أبي العباس الغبريني: 52، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 135، 136.
- أبي العباس عبد الله الأبياني: 113، 122.
- أبي العرب محمد بن أحمد تميم التميمي: 135، 196، 237.
- أبي العلاء المعري: 59.
- أبي القاسم محمد الحفناوي: 103، 105، 162.
- أبي بكر بن العربي: 120.
- أبي جعفر أحمد القصري: 60، 122، 124.
- أبي حامد الغزالي: 52، 119، 138، 164، 194، 199.
- أبي عبد الله التميمي: 101.
- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي: 98.
- أبي علي المسيلي: 103.
- أبي محمد عبد الحق الإشبيلي: 103، 106.
- أبي محمد عبد العزيز القيسي: 100.
- أبي محمد عبد الله بن عباد: 100.
- أبي مدين شعيب: 97، 103، 196.
- أحمد السقا: 30.

- أحمد الصافي: 29.
- أحمد بابا التنبكتي: 95، 98.
- أحمد باي: 17.
- أحمد بلخوجة: 57.
- أحمد بن خالد الحافظ: 122.
- أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: 111.
- أحمد بن مراد التركي: 93، 101.
- أحمد بيرم: 158.
- أحمد توفيق المدني: 80، 81.
- أحمد تيمور باشا: 46.
- أحمد طبيجي بشطرزي: 45، 47.
- أحمد كريم: 35.
- إدوارد سعيد: 171.
- إدوارد مونتيه: 172.
- أسد بن الفرات: 56، 116، 196، 200.
- اسكندر المعلوف: 68.
- ألفريد بيل: 44، 66، 71، 183.
- الإمام الذهبي: 114، 196.
- الإمام المازري: 59.
- الإمام مالك: 100، 118، 119، 124، 125.
- الأمير خالد: 18.
- الأمير عبد القادر: 14، 17، 21، 25.
- إميل درمنغم: 175.
- الأمين الجريدي: 108.
- أوجين كوب: 21.

-ب-

- الباي علي بن حسين: 28.
- بشير البكوش: 60، 145.
- البشير صفر: 35، 69، 144، 156، 159.

- بطرس المحترم: 174.
- بيجو: 158.
- بيير فونتانا: 107.

-ت-

- تيران ايفون: 20.

-ج-

- الجاحظ: 74، 200.
- جاك مادول: 18.
- جان شارل زكار: 157.
- جرب ردي أرالياك: 173.
- جمال الدين الأفغاني: 17، 76، 149.
- جورج غروي: 156.
- جورج مارسيه: 67، 176، 185، 197.
- جول كامبون: 158
- جوني فرعون: 157.

-ح-

- الحبيب بورقيبة: 30، 82.
- حسن قلاتي: 80.
- الحسين بن محمد الورثيلاني: 52، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 135.
- الحفناوي بن الشيخ: 25.
- حمدان بن عثمان خوجه: 19.

-خ-

- خليل بن اسحاق: 94.
- خير الدين باشا: 31، 53، 55، 56.

-د-

- الداي حسين: 12، 26، 40.
- دوفال: 24.
- دي برمون: 12.

–ر–

- رابح بونار: 103.
- روبير هنري: 15.
- ريموند مارتينو: 63، 64، 76.
- رينيه باسيه: 44، 47، 63، 75، 89، 173، 174، 178، 180، 183، 190.

–ز–

- زينب فواز: 144.

–س–

- سالم بوحاجب: 33.
- سعيد بن أحمد المقري: 91.
- سلفستر دي ساسي: 154، 171، 172، 173.

–ش–

- الشاذلي القليبي: 69.
- الشاذلي بو يحي: 68، 69، 144.
- شارل العاشر: 13.
- شارل بيلا: 181.
- شارل جونار: 13، 15، 106، 177.
- شارل روبير أجرون: 14.
- الشريف الإدريسي: 132.
- شهاب الدين الخفاجي: 139.

–ص–

- الصادق الزمرلي: 153.
- صالح بن عبد الوهاب: 52، 77.

–ط–

- الطاهر الحداد: 29.
- طاهر باي: 78.
- الطيب بن إبراهيم: 169.

–ع–

- عادل نويهض: 103.

- عبد الجبار الرفاعي: 37.
- عبد الجليل الزاوش: 78.
- عبد الحليم بن سمايه: 23، 43، 46، 47، 140.
- عبد الحميد بن باديس: 13، 19، 21، 43، 59.
- عبد الرحمان الأخضري: 106.
- عبد الرحمان الثعالبي: 101.
- عبد الرحمان الجيلالي: 45، 48، 74، 89، 103، 134، 138، 139، 140.
- عبد الرحمان الكعاك: 144.
- عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي: 48، 159، 183، 184.
- عبد الرزاق الاشرف: 44.
- عبد الستار الحلوجي: 36.
- عبد السلام سحنون: 112، 153.
- عبد العزيز آل سعود: 53.
- عبد العزيز الثعالبي: 27، 28، 30، 78، 79، 80.
- عبد العزيز شاوش: 186.
- عبد القادر المجاوي: 24.
- عبد القادر المغربي: 66.
- عبد القادر بن محمد الصغير: 107.
- عبد الله التجاني: 58.
- عبد الله الشقراطسي: 150.
- عبد الله بن الدايم: 118.
- عثمان الكعاك: 153.
- عز الدين باش شاوش: 143.
- علقمة بن عبدة التميمي: 53.
- علي الشنوفي: 107.
- علي باش حامبه: 27، 78.
- علي بن أبي زرع الفاسي: 177.
- علي بن الحاج موسى: 101.
- علي بن خليفة النفاتي: 27.

- علي بن منصور الشرقي: 91.
- علي بن يحي السلكسيني: 91، 92.
- علي بورقيبة: 54.
- علي بوشوشة: 155.
- عمر الشيخ: 33.
- عمر بن قدور: 24.
- عمر بوليفة: 155.
- عمر راسم: 24.
- عمر فروخ: 168.
- عيسى بن محمد بن يحي البطوئي: 90.

-غ-

- غوستاف لوبون: 172، 175.

-ف-

- فانيان أدموند: 47.
- فرحات الدشراوي: 58، 120، 121.
- فرحات عباس: 12.
- الفريق حسين: 52، 54، 55.
- الفضيل الورتلاني: 20.

-ق-

- قدور بن محمد بن مصطفى: 44.

-ك-

- كلود كولو: 15.

-ل-

- لويس تيرمان: 13.
- لويس فليب: 13.
- لويس ماسينيو: 174.
- ليفي بروفنصال: 89، 98، 178، 184.

-م-

- مارتينو: 130.

- مالك بن نبي: 175.
- محسن زكريا: 78.
- محمد الأصرم: 56، 153، 155.
- محمد البشير الإبراهيمي: 60، 61، 62، 76، 129، 134.
- محمد الحبيب باي: 78.
- محمد السعيد الزاهري: 48، 58، 59، 110، 130، 174، 179.
- محمد السنوسي: 27، 93.
- محمد السيد: 36.
- محمد الصادق باي: 26، 31، 40.
- محمد الطاهر بن عاشور: 67.
- محمد العروسي المطوي: 58، 113، 118، 141، 154.
- محمد العروسي زروق: 56.
- محمد العيد آل خليفة: 48، 140.
- محمد الفاضل بن عاشور: 67.
- محمد المقراني: 15.
- محمد الندرومي: 91، 94.
- محمد أمقران: 104.
- محمد بن أحمد بن محمد الشريف المليتي: 91.
- محمد بن اسماعيل الجزائري: 160.
- محمد بن الحارث بن أسد الخشني: 133.
- محمد بن سحنون: 59، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 121، 122، 155.
- محمد بن عبد الله الحداد: 92.
- محمد بن محمد بن موسى الوجديجي: 92.
- محمد بيرم الخامس: 57.
- محمد رشيد رضا: 17.
- محمد عابد الجابري: 39.
- محمد عبده: 17، 26، 35، 48، 76، 149.
- محمد فريد بك: 190.

- محمد كحول: 25.
- محمد كرد علي: 46، 47، 61، 68، 77، 178، 189، 192.
- محمود علي مكي: 123، 124، 126.
- المختار بن الحاج محمد: 94.
- مصطفى جواد: 86.
- المكي بن عزوز: 29.
- منصور الطنبذي: 60، 165.
- المولود بن الموهوب: 26.
- ميشال آسين بلاثيوس: 178.

-ن-

- نابليون بونابرت: 22، 24، 156.

-هـ-

- الهادي نويرة: 149، 150.
- الهاشمي بن الونيس: 158.
- هنري لامنس: 175.
- هنري لاوست: 177.
- هنري ماسيه: 77، 182.

-و-

- وود ولسن: 18، 30.
- ويليام مارسيه: 65، 113، 176، 177.

-ي-

- ياقوت الحموي: 140.
- يحي بن عمر: 113، 121، 122، 124.

2- فهرس الأماكن:

-أ-

- إفريقية التونسية: 04، 53، 59، 68، 145، 151، 164، 184.
- أكسفورد: 61، 66، 77، 172، 173، 189.
- ألمانيا: 79، 81، 190، 171.
- أنجلترا: 14، 66، 163، 190، 204.
- الأنـــــدلس: 46، 59، 60، 92، 100، 101، 120، 135، 153، 164، 172، 173، 187، 236.
- إيطاليا: 31، 32، 33، 80، 190.

-ب-

- باردو: 28، 154،
- بـاريس: 47، 49، 52، 54، 57، 58، 60، 74، 81، 157، 158، 160، 173، 174، 177، 182، 186، 190.
- بجاية: 21، 52، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 135، 136، 196.
- بني ورثيلان: 106، 109.
- بورسة التركية: 47.
- بوزريعة: 45، 48.

-ت-

- تركيا: 33، 81، 140.
- تلمســـان: 21، 52، 91، 92، 92، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 134، 148، 162، 163.

-ج-

- جـــامع الزيتونـــة: 29، 32، 33، 35، 54، 57، 58، 61، 152، 154، 155، 184، 200.
- جزيرة شكلي: 185.

-ح-

- الحجاز: 109، 110، 111، 120، 121، 149.

-د-

- دمشـــــــق: ب، د، 46، 57، 60، 66، 176، 177، 182، 192، 193، 199، 202، 205، 207.

- الدنمارك: 164، 190.

-ر-

- روسيا: 163.

-س-

- سوق أهراس: 74.

-ش-

- الشام: 120، 128، 140، 149، 196.

-ص-

- صقلية: 32، 59، 60، 70، 164، 165، 189، 190، 196.

-ط-

- طرابلس: 60، 109، 111.

-ع-

- عين الذهب: 44، 47.

-ف-

- فاس: 90، 98، 182.

- فرنســــــا: 14، 15، 16، 20، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 33، 34، 35، 53، 54، 61، 65، 66، 67، 77، 78، 79، 80، 81، 84، 136، 155، 157، 163، 176، 177.

- فيينا: 173.

-ق-

- القارة الإفريقية: 15.

- القالة: 14.

- القاهرة: ب، 57، 59، 71، 95، 111، 176، 177، 191، 205، 207.

- قسنطينة:21، 46، 98، 137، 148.

- القصبة: 14، 45.

- القـــــــيروان: 56، 59، 69، 70، 74، 114، 116، 121، 122، 135، 146، 147، 151، 152، 165، 183، 184، 185، 196، 200.

-ك-

- كوبنهاقن: 164، 190، 205.

-ل-

- ليبيا: 29، 30، 80، 110، 111، 148.

-م-

- المدية: 44، 45، 47، 48، 76، 83، 137.
- المدينة المنورة: 109، 148، 181.
- مرسيليا: 14، 157.
- مصـــــــر: 46، 68، 76، 109، 110، 111، 120، 121، 128، 148، 175، 176، 191، 193، 202.
- المغرب الإسلامي: 101، 105، 114، 120، 127، 128، 134، 135، 166، 191.
- مكة المكرمة: 17، 52، 148، 162، 163، 181.
- مليانة: 45.
- منزل تميم: 82.
- المهدية: 54، 55، 57، 60، 79، 82.
- ميلة: 106.

-ن-

- نابل: 55، 82.

-هـ-

- هولندا: 14.

-و-

- وامري: 45، 48.
- الولايات المتحدة الأمريكية: 171.

➢ الفهرس العام.

الفهرس العام

إهــداء.....
شكر وعرفان.....
➢ المقدمة..... 6
المختصرات الواردة في الهوامش..... 11
➢ الفصل التمهيدي: الجزائر وتونس في عصر محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.... 12
المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر..... 14
المطلب الأول: أوضاع الجزائر السياسية..... 14
المطلب الثاني: الواقع الاقتصادي والاجتماعي للجزائر..... 18
المطلب الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر..... 20
المبحث الثاني: الأوضاع العامة في تونس..... 27
المطلب الأول: أوضاع تونس السياسية خلال فترة الاحتلال..... 27
المطلب الثاني: الواقع الاقتصادي والاجتماعي لتونس..... 30
المطلب الثالث: موقف الإدارة الاستعمارية من الثقافة العربية الإسلامية في تونس..... 32
المبحث الثالث: مفهوم التراث العربي الإسلامي وأهميته..... 36
المطلب الأول: مفهوم التراث..... 37
المطلب الثاني: مفهوم التراث العربي الإسلامي..... 39
المطلب الثالث: أهمية إحياء التراث العربي الإسلامي..... 40
خلاصة الفصل..... 42
➢ الفصل الأول: سيرة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب ومكانتهما عند الأخر. 43
المبحث الأول: نبذة عن حياة وآثار محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب..... 44
المطلب الأول: نبذة عن حياة محمد بن أبي شنب وأهم مؤلفاته..... 44
المطلب الثاني: نبذة عن حياة حسن حسني عبد الوهاب وأهم مؤلفاته..... 53
المبحث الثاني: مكانة محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب..... 60
المطلب الأول: مكانة محمد بن أبي شنب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب..... 60
المطلب الثاني: مكانة حسن حسني عبد الوهاب عند المثقفين والمفكرين العرب والأجانب. 68

المبحث الثالث: موقف محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب من الاستعمار الفرنسي وعلاقتهما به. 75
المطلب الأول: موقف محمد بن أبي شنب من الاستعمار الفرنسي وعلاقته به..... 75
المطلب الثاني: موقف حسن حسني عبد الوهاب من الاستعمار الفرنسي وعلاقته به..... 78
خلاصة الفصل. 83
➢ الفصل الثاني: جهود محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث العربي الإسلامي من خلال التحقيق. 85
المبحث الأول: تحقيق التراث العربي الإسلامي وأهميته..... 86
المطلب الأول: مفهوم تحقيق التراث..... 86
المطلب الثاني: أهمية تحقيق التراث. 88
المبحث الثاني: جهود محمد بن أبي شنب في تحقيق التراث..... 89
المطلب الأول: منهج محمد بن أبي شنب في التحقيق..... 89
المطلب الثاني: نماذج من أعمال محمد ابن أبي شنب في التحقيق..... 91
المبحث الثالث: جهود حسن حسني عبد الوهاب في تحقيق التراث..... 112
المطلب الأول: حسن حسني عبد الوهاب وبداية التحقيق العلمي للمخطوط بتونس. 112
المطلب الثاني: نماذج من أعمال حسن حسني عبد الوهاب في التحقيق..... 113
خلاصة الفصل. 128
➢ الفصل الثالث: دور محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في إحياء التراث من خلال التأليف والنشر والترجمة. 130
المبحث الأول: إحياء التراث من خلال عملية التأليف والنشر..... 131
المطلب الأول: التأليف والنشر عند محمد بن أبي شنب. 131
المطلب الثاني: الكتابة والتأليف عند حسن حسني عبد الوهاب. 142
المبحث الثاني: إحياء التراث من خلال الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية..... 156
المطلب الأول :حركة الترجمة في العهد الاستعمار. 156
المطلب الثاني : إسهامات محمد بن أبي شنب في الترجمة والتأليف باللغة الفرنسية. 159
المطلب الثالث: إسهامات حسن حسني عبد الوهاب في مجال التأليف باللغة الفرنسية..... 163
خلاصة الفصل. 167

➢ الفصل الرابع: دور محمد ابن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال المحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية..... 169
المبحث الأول : التعريف بالاستشراق. 170
المطلب الأول :الاستشراق في اللغة والاصطلاح. 170
المطلب الثاني: نشاة الاستشراق، وسائله ودوافعه..... 172
المطلب الثالث: المستشرقون وعلاقتهم بالتراث العربي الإسلامي..... 177
المبحث الثاني: محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب في المؤتمرات الاستشراقية. 180
المطلب الأول: المدرسة الاستشراقية وأثرها على محمد بن أبي شنب وحسن حسني عبد الوهاب.. 180
المطلب الثاني: مساهمتهما في مؤتمرات المستشرقين. 186
المبحث الثالث: إحياء التراث من خلال المساهمة في البعثات العلمية والمجامع اللغوية. 192
المطلب الأول: مساهمات محمد بن أبي شنب..... 192
المطلب الثاني: أعمال حسن حسني عبد الوهاب في المجامع اللغوية. 199
خلاصة الفصل. 205
➢ الخاتمة..... 206
➢ الملاحق..... 210
➢ قائمة المصادر والمراجع..... 221
➢ فهرس الأعلام والأماكن. 240
➢ الفهرس العام..... 253

الملخص بالعربية:

تتناول هذه الأطروحة إشكالية إحياء التراث العربي الإسلامي بوصفه ممارسة علمية ومنهجية ارتبطت بسياقات تاريخية وسياسية خاصة، وذلك من خلال دراسة مقارنة لتجربتي محمد بن أبي شنب (1869–1929) وحسن حسني عبد الوهاب (1883–1968)، خلال الفترة الممتدة بين 1884 و1968.

وتهدف الدراسة إلى إبراز دور العالمين في خدمة التراث العربي الإسلامي وتحقيقه، والكشف عن الأساليب العلمية التي اعتمداها في جمع المخطوطات، فهرستها، تحقيق النصوص ونشرها، إضافة إلى توظيف الترجمة لإدماج التراث ضمن الحقل المعرفي الأكاديمي العربي والأوروبي. كما تسعى إلى توضيح العلاقة بين نشاطهما العلمي والبنى المؤسسية، لاسيما المحافل الاستشراقية والمجامع اللغوية، وتأثير ذلك في توجيه جهود بعث التراث العربي الإسلامي.

وتعتمد الأطروحة المنهجين التاريخي والمقارن من خلال ربط الممارسة العلمية بالسياق الاستعماري الذي تشكّلت فيه، فتُبرز أن إحياء التراث لم يكن نشاطاً معزولاً، بل ارتبط بوظائف محددة فرضتها طبيعة الهيمنة الاستعمارية. فقد اتخذ هذا الإحياء عند محمد بن أبي شنب طابعاً دفاعياً يهدف إلى الحفاظ على المرجعية الثقافية ومواجهة سياسات الإدماج في ظل الاستعمار الاستيطاني بالجزائر. بينما ارتبط عند حسن حسني عبد الوهاب بوظيفة تنظيمية إصلاحية ذات بعد معرفي ومؤسسي، في إطار نظام الحماية بتونس ثم دولة الاستقلال.

وتخلص الدراسة إلى أن التجربتين تمثلان نموذجين للمثقف المغاربي الذي أسهم في إحياء التراث العربي الإسلامي وبعثه وفق أدوات علمية حديثة، بما مكّن من تحويله إلى رصيد معرفي فاعل في بناء الوعي التاريخي وصون الذاكرة الجمعية.

الكلمات المفتاحية:

-محمد بن أبي شنب – حسن حسني عبد الوهاب – التراث العربي الإسلامي – التحقيق – الاستشراق – المجامع اللغوية – الجزائر – تونس – الاحتلال الفرنسي.

Abstract in English: This thesis addresses the issue the issue of reviving the Arab-Islamic heritage as a scientific and methodological practice linked to specific historical and political contexts, through a comparative study of the experiences of Mohamed Bencheneb (1869–1929) and Hassan Hosni Abdelwaheb (1883–1968), during the period between 1884 and 1968.

The study The study aims to highlight the role of both scholars in serving and authenticating the Arab-Islamic heritage, and to reveal the scientific methods they adopted in collecting manuscripts, cataloging them, editing texts and publishing them, in addition to employing translation to integrate heritage within the Arab and European academic knowledge field. It also seeks to clarify the relationship between their scientific activity and institutional structures, especially Orientalist circles and linguistic academies, and the impact of this on directing efforts to revive the Arab-Islamic heritage.

The thesis adopts historical and comparative methodologies by linking scholarly practice to the colonial context in which it was formed, showing that the revival of heritage was not an isolated activity, but was associated with specific functions imposed by the nature of colonial domination. For Mohamed Bencheneb, this revival took on a defensive character aimed at preserving cultural reference and confronting assimilation policies under settler colonialism in Algeria. In contrast, for Hassan Hosni Abdelwaheb, it was linked to an organizational and reformative function with an epistemic and institutional dimension, within the framework of the protectorate system in Tunisia and then the independent state.

The study concludes that the two experiences represent models of the Maghreb intellectual who contributed to the revival and resurrection of Arab-Islamic heritage using modern scientific tools, enabling its transformation into an active knowledge asset in building historical awareness and preserving collective memory.

Keywords:

– Mohamed Bencheneb - Hassan Hosni Abdelwaheb – Arab-Islamic heritage – critical edition – Orientalist – linguistic academies – Algeria – Tunisia – French colonialism.